كتاب
فتوح البلدان

تأليف
أحمد بن يحيى بن جابر
المعروف بالبلاذري

القسم الأول

نشره ووضع ملاحقه وفهارسه
الدكتور صلاح الدين المنجد

ملتزمة النشر والطبع
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي باشا ـ القاهرة

كتاب

فتوح البلدان

تأليف

أحمد بن يحيى بن جابر

المعروف بالبلاذري

القسم الأول

نشره ووضع ملاحقه وفهارسه

الدكتور صلاح الدين المنجد

ملتزمة النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا - القاهرة

مطبعة لجنة البيان العربي
١ شارع مصطفى كامل - بالفجالة ت: ٣٧٠٧٩

فتوح البلدان

« لا نعلم فى فتوح البلدان

أحسن منه » .

المسعودى

اللوح رقم ١ — فتوح البلدان



صفحة العنوان فى مخطوطة مكتبة جامعة ليدن
الموجودة فيها حالياً . برقم **Warn 430**

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال أحمد بن يحيى بن جابر أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث
والسيرة وفتوح البلدان سقت حديثهم واختصرته ورددت من
بعضه على بعض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة
من مكة نزل على كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد
ابن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس
بقباء وكان يتحدث عند سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك أحد بني
السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس حتى ظعن ثم انتقل عنده ﷺ وكان
المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقباء مسجدا يصلون فيه والصلوة يومئذ
إلى بيت المقدس فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء صلى
بهم فيه فأهل قباء يقولون المسجد الذي قال الله تعالى فيه
لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه وروي أن
المسجد الذي أسس على التقوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حدثنا عفان بن مسلم الصفار قال حدثنا حماد بن سلمة قال
أخبرنا هشام بن عروة عن عروة أنه قال في هذه الآية والذين
اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب

الصفحة الأولى فى مخطوطة ليدن
السابقة الذكر

[illegible]

ابن زيد ان اباه زيد بن ثابت قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتعلم

له كتاب يهود وقال اني لا آمن يهود على كتابي فلم يمر بي نصف شهر

حتى تعلمته فكنت اكتب له الى يهود واذا كتبوا اليه قرأته

تم كتاب فتوح البلدان والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله واصحابه وسلم

[illegible]

الصفحة الأخيرة فى مخطوطة ليدن

اللوح رقم ٤ — فتوح البلدان

فى الأعلى قطعة من ترجمة البلاذرى التى وجدت على ظهر مخطوطة ليدن ، وهى بخط السخاوى لا المقريزى كما ظن دخويه وكما يتبيّن من مقارنتها بالقطعة السفلى وهى اجازة من السخاوى بخطه للقسطلانى فى مخطوطة عمدة القارىء (دار الكتب ٣٢٩ ، حديث)

المقدمة

مصادر ترجمة البلاذُرى

لا بُدّ ، لدراسة البلاذُرى ، مؤرخاً ، ونسّابةً ، وراويةً من الرجوع أولاً إلى تواليفه التى وصلت إلينا وهى :

١ — أنساب الأشراف .

٢ — فتوح البلدان .

ثم إلى المصادر القديمة التى ترجمت له أو ذكرت بعض أخباره . فقد ترجم له كثيرون منذ القرن الرابع حتى القرن التاسع . ولكن بعض هذه الترجمات الأساسية لم يصل إلينا .

ونكاد لا نجد له ترجمة فى مصدر من مصادر القرن الثالث الذى عاش فيه ، وإنما نجد ذلك فى مصادر القرن الرابع وما بعده .

فمن ترجم له أو ذكره :

١ — الجهشيارى (— ٣٣١ هـ) فى كتاب الوزراء والكتاب :

أورد بعض أخباره ، وتكلم على جدّه . وفى معجم الأدباء (٥ : ٩٢ ٩٥) نقولٌ عن الجهشيارى لا توجد فى المطبوع .

٢ — الصولى (— ٣٣٦ هـ) فى كتاب الوزراء :

لم يصل إلينا الكتاب . وفى معجم الأدباء (٥ : ١٠٠) نقولٌ عنه يتحدث بها عن ضائقته أيام المعتمد .

٣ — المرزُبانى (— ٣٨٤ هـ) فى معجم الشعراء :

لم يصل إلينا القسم الذى فيه ترجمة البلاذرى من المعجم . وفى تاريخ دمشق (مخطوط) ومعجم الأدباء (٥ : ٩٩) نقول عنه .

٤ ــ التَّنُوخى (ــ ٣٨٤ هـ) فى نشوار المحاضرة :

لم يصل إلينا القسم الذى يتحدث فيه التنوخى عن البلاذرى . وفى بغية الطلب لابن العديم (مخطوط) نقلٌ عنه يتعلق بخبره مع المستعين .

٥ ــ ابن النديم (ــ ٣٨٥هـ) فى الفهرست :

ترجم له ترجمة طويلة . نقل عنها ياقوت ومن جاء بعده . لم نجد فى المطبوع منه إلاّ بعضها .

٦ ــ ابن عساكر (ــ ٥٧١هـ) فى تاريخ مدينة دمشق :

(مخطوطة الظاهرية ، الجزء الثانى . ورقة ١٣٥ ا ــ ١٣٦ ب) .

ذكر من سمع منهم بدمشق وحمص . .

وبعد ابن عساكر نكاد لا نجد فى التراجم أشياء أصيلة ، وإنما حفظت لنا ما ذكرته مصادر القرن الرابع .

٧ ــ ياقوت (ــ ٦٢٦هـ) فى معجم الأدباء :

ترجم له ترجمة جامعة طويلة .

٨ ــ ابن العديم (ــ ٦٦٦) فى بغية الطلب فى تاريخ حلب :

(مخطوطة أحمد الثالث . الجزء الأول ، ورقة ١١٧ ا ــ ١١٩ ب) .

حفظ لنا ما ذكر التنوخى عن صلة المستعين إياه .

٩ ــ ابن خلكان (ــ ٦٨٢هـ) فى وفيات الأعيان :

نقل دغويه عنه . ولكننا لم نجد فى طبعة أوروبة ولا طبعة القاهرة منه ترجمة البلاذرى .

١٠ — الذهبي (— ٧٤٨ﻫ) :

ترجم له فى الميزان (ميزان الاعتدال) .

ذكر ذلك المقريزى (أنظر بعد) ولكننا لم نجد الترجمة فى نسخة الميزان المطبوعة .

وكذلك ترجم له فى تاريخ الإسلام (مخطوطة دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ) .

وفى سير أعلام النبلاء (مخطوطة أحمد الثالث . المجلد ٩ ، ورقة ٧١) .

١١ — الصفدى (— ٧٦٤ﻫ) فى الوافى بالوفيات :

(مخطوطة أحمد الثالث . الجزء الثامن ، ورقة ١٠٨ — ١٠١) .

ترجم له ترجمة جامعة فيها خلاصة ما ذكرته المصادر التى سبقته .

١٢ — المقريزى (— ٨٤٦ﻫ) :

كتب ترجمة له بخطه على ظهر مخطوطة الفتوح المحفوظة بليدن .

ونشرها هماكر ، ثم دخويه .

١٣ — ابن حجر (— ٨٥٢ﻫ) فى لسان الميزان :

١٤ — ابن تغرى بردى (— ٨٧٤ﻫ) فى النجوم الزاهرة :

جزم بأن وفاته كانت سنة ٢٧٩ ﻫ .

١٥ — السخاوى (— ٩٠٢ﻫ) فى الإعلان بالتوبيخ :

ذكر أن له كتاب التاريخ والبلدان وأنساب الأشراف .

١٦ — حاجى خليفة (— ١٠٦٧ﻫ) فى كشف الظنون :

ذكر كتبه فى الأنساب وحدها .

٢ — المصادر الحديثة

(ا) المصادر العربية

نذكر من المصادر العربية فى عصرنا :

١ — جرجى زيدان (— ١٩١٤ م) فى تاريخ الآداب العربية .

ترجم له ترجمة منقول بعضها عن بروكلمن فى طبعته الأولى ، وفيها أخطاء .

٢ — يوسف إليان سركيس (١٩٣٢ م) فى معجم المطبوعات العربية :

ترجم له ، وذكر تواليفه المطبوعة .

(ب) المصادر الغربية

١ — دخويه (— ١٩٠٩م) M. J. De Goeje :

ترجم له باللغة اللاتينية فى مقدمة طبعته فتوح البلدان سنة ١٨٦٦ م

٢ — بروكلمن (— ١٩٥٦م) K Brockelmann :

تكلم عليه بالألمانية فى كتابه (تاريخ الآداب العربية) GAL فى الأصل والذيل

٣ — بيكر (بعد — ١٩٢٥م) K. H Becker :

ترجم له فى دائرة المعارف الإسلامية *EI* .

رجعنا إلى الطبعة الفرنسية .

٤ — سوفاجه (— ١٩٤٩ م) J. Sauvaget :

تكلم على بعض كتبه فى كتابه المدخل . . أنظر كتابنا : رائد التراث العربى ص .

وكذلك ترجم له فى كتابه « المؤرخون العرب » *Les Historiens Arabes*

(أنظر بعد : ترجمات فتوح البلدان)

ترجمة جديدة للبلاذري

— ١ —

لا تسعف المصادرُ الباحث بشيء عن أسرة أحمد بن يحيى بن جابر بن داود وأصله. كل ما نعرفه أن جدّه جابر كان يكتب للخصيب [١] ، صاحب خراج مصر أيام الرشيد. ولم تترجم المصادر لجده. ويذهب بيكر Becker [٢] وسوفاجه Sauvaget [٣] إلى أن أصله من الفرس. وقد يكون ذلك صحيحاً. لأننا لا نعرف من نسبه شيء بعد اسم جدّه ، ولو كان عربياً لأثبت نسبه وفخر به ، أو ذكره من ترجم له ، ثم كان أحد النقلة من الفارسية إلى العربية.

وقد اتفقت المصادر على أن اسمه أحمد. ولكنها اختلفت فى كنيته [٤] فجعلته أبا جعفر وأبا بكر وأبا الحسن [٥]. ولا ندرى إذا كان أوتى أولاداً فكنى بأسمائهم ، فحياته الخاصة غامضة جداً.

ونرجح أنه ولد فى بغداد ، فى أواخر القرن الثانى. وأول ما نعرفه عن حياته العامة أنه مدح المأمون بمدائح [٦]. ولا ندرى متى اتصل به. ومن المؤكد أنّ ذلك كان قبيل وفاة المأمون سنة ٢١٨ هـ ، وقد تجاوز العشرين على أقل تقدير. فما كان يُتاح له أن يمدح الخليفة بمدائح إلاّ وقد كان له علم ونباهة.

---

(١) النديم ، الفهرست ، ١١٣.

(٢) مادة البلاذرى. C. H. Becker, *dans, E. I.*

(٣) Sauvaget, *Les Historiens Arabes*, p. 15

(٤) لم يفرّق دخويه بين الاسم والكنية فذكر أن الاختلاف فى اسمه.

(٥) ابن عساكر ، تاريخ دمشق (مخطوط) ورقة ١٣٦ آ.

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ٥ : ٩٩ ، وابن عساكر ، المصدر السابق.

نشأ أحمد بن يحيي إذن مع القرن الثالث من الهجرة . وكان هذا القرن من أخصب عصور الخلافة العباسية فى الثقافة والحضارة والسياسة . كان عصر الترجمة من الفرس واليونان ، التي أغنت التراث الإسلامى، وعصر الفن الذى تجلى فى قصور المعتصم والمتوكل ، وعصر الترف الذى رفّ بما تدفق على بغداد من أموال وخراج ، وعصر الرواية والعلم الذى تجلّى فى كتب الواقدى والمدائنى وابن سعد والقاسم ابن سلاّم وابن الكلبي . كلّ ذلك أثر فى صاحبنا وأثّر فى تكوينه وثقافته وحياته .

ويختفى اسم صاحبنا بعد وفاة المأمون ، فلا نكاد نجد له ذكراً أيام المعتصم (— ٢٢٧هـ) وأيام الواثق (— ٢٣٢هـ) ، حتى إذا كان أواخر أيام المتوكل وجدناه يجالس الخليفة ويحضر مجالسه فينادمه ويحادثه . ونراه فى الإعذار العظيم الذى أقامه المتوكل لابنه المعتز متصدّراً فى بركوارا —قصر الهناء— ، وهو من أعظم قصور المتوكل—مع البحترىّ ، وعلىّ بن الجهم ، والحسين بن الضحاك ، وعلىّ بن ربَّن الكاتب، ويعقوب بن السكيت، وأبناء حمدون النديم[1] . وهذا يدل على مكانته عند المتوكل وشأنه .

وقد وصلت إلينا طُرف من مجالسه مع المتوكل[2] ، فيما كان يجادل فيه ويُناقش ، أو فيما كان يرويه عن المتوكل فى كتابه فتوح البلدان .

لكنّ أيام المتوكل لم تطل ، فقد قُتل سنة ٢٤٨ هـ . ولعله بقى معه فى العشر السنوات الأخيرة من خلافته .

وخلف المتوكل ابنه المنتصر ، فلم يلبث طويلا حتى قتل أيضاً ، سنة ٢٤٨هـ ، وكانت خلافته ستة شهور . فخلفه المستعين ، وإذا بصاحبنا يتصل به فيكون

---

(١) الأوحدى ، الذخائر والتحف (مخطوط) .

(٢) أنظر ياقوت ٥ : ٩٣ ، وفيه خبر تخطيئه إبراهيم بن العباس الصولى فى حضرة المتوكل .

أثيراً عنده، و إذا بأموال الخلافة تغمره فيدخر منها . وقصته مع المستعين ذات شأن لأنها تنير طرفاً من حياته . وقد حفظها لنا ابن النديم فيما نقله عن التنوخي . فقد مدحه مدحاً جميلا ، فبعث إليه سبعة آلاف دينار وكتب إليه بخطه رقعة فيها :

« قد أنفذت إليك سبعة آلاف دينار . وأنا أعلم أنك ستُجفى بعدى وتُطَرّح ، وتجتدِى فلا يُجدى عليك. فاحفظ هذه الدنانير عندك، فإذا بلغت بك الحال إلى هذا فأنفق منها ولا تتعرّض لأحد ليبقى ماء وجهك عليك . ولك علىّ أن لا تحتاج ماعشتَ إلى شيء فى أمر دنياك كبيرٍ أو صغير على حسب حكمك وشهوتك »[1].

وتابع المستعين جراياته وأرزاقه عليه فكان ينفق ولا يحتاج أحداً . و بلغ صاحبنا غاية ما يريد فى كنف المستعين وعطفه وحدبه .

وانقضت خلافة المستعين بعد أربع سنوات ، فقد أمر المعتز بقتله سنة ٢٥٢هـ وهو شاب قد تخطى الثلاثين .

وقد كان من المتوقع، وقد تولى المعتز الخلافة، أن يُجفى صاحبنا و يُطَرّح لصلته بالمستعين . لكننا نجده قريباً منه يعهد إليه بتأديب ابنه عبد الله ، وعمر عبد الله خمس سنوات . ولعلّ ذلك لصلته القديمة بأبيه المتوكل . ولقد رأينا أن صاحبنا كان فى إعذار المعتز يوم أعذره أبوه .

ثم صار أمر المعتز إلى ما صار إليه المستعين من قبل . فأمر صالح بن وصيف التركى ، بعد أربع سنوات من توليه ، أن يُدخل فى حمام و يسدّ عليه بابه . فمات وهو فى ريعان صباه لم يتجاوز الخامسة والعشرين . وخلّف ابنه عبد الله وهو يحدر نحو التاسعة .

ولا ندرى إذا كان صاحبنا تابع تأديب ابن المعتز فى خلافة المهتدى (قتل سنة ٢٥٦ هـ) والمعتمد (مات سنة ٢٧٩هـ) . فنحن لا نجد شيئاً فى المصادر يدلّنا

(١) ابن العديم ، بغية الطلب . ورقة ١١٨ آ ، ب

على ذلك والغريب أن ابن المعتز لا يذكر استاذه بشيء في تواليفه ، حتى في طبقات الشعراء ، في حين أنه ذكر فيها شعراء أقل منه شأنا .

وبدأ مجد أحمد بن يحيي بالزوال ، ونجمه بالأفول منذ توفى المعتز . فانعزل وجفا القصور . وكان عهد المعتمد أشد عهود حياته سوءاً وحاجة وفقرا . قضاه في صراع عنيف وضيق ، فقد نفد مال المستعين وأدركته الحاجة وركبته الديون ، فلجأ أول ما لجأ ، إلى عبيد الله بن يحيي . وكان عبيدالله وزيراً للمعتمد سنة ٢٥٦هـ ، فسأله العطاء . ويحدثنا عن ذلك فيقول :

« كانت بيني وبين عُبيد الله بن يحيي بن خاقان حرمة منذ أيام المتوكل وما كنت أكلفه حاجة لاستغنائي عنه . فنالتني في أيام المعتمد على الله إضاقة ، فدخلتُ إليه وهو جالس للمظالم . فشكوتُ إليه تأخر رزقي وثقل ديني وقلتُ : إن عيباً على الوزير — أعزه الله — حاجةُ مثلي في أيامه وغضُّ طرفه عني ... » فوقّع لي ببعض ما أردت .[1] ولكن عبيد الله حجبه إذ جاء إلى بابه في مرة ثانية [2] .

ثم لجأ صاحبنا إلى اسماعيل بن بلبل ، أبي الصقر . وكان تولى الوزارة للمعتمد بعد عبيد الله سنة ٢٦٥هـ ، وبقي إلى سنة ٢٧٧هـ . فمدحه رغبة أن يطلق له بعض المال . وكتب إليه كتاباً حسنا ، فوعده ولم يفعل . فهجاه ونعته باللئيم ، وسمى من يلجأ إليه بالذليل[3] . حتى إذا ما مضى أبو الصقر عن الوزارة ، وتولاها أحمد ابن صالح شيرزاد سنة ٢٧٧ ، عاد فلجأ إليه . فتشاغل عنه . فهمّ أن يهجوه ، فخاف وقضى حاجته[4] .

---

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ٥ : ٩٥ .

(٢) المصدر السابق ٥ : ٩٥ .

(٣) ياقوت ، نقلاً عن الصولى ٥ ، ١٠١ — ١٠٢ .

(٤) المصدر السابق ٥ : ٩٦ .

وهكذا كانت تقترب حياة أحمد بن يحيى من نهايتها ، وهو مبعد عن الخلفاء صفر اليدين ، يطلب الرزق من أبواب الوزراء فيُعطى مرة ويُجفى مرات ، فلا يجد ما ينفّس به ألمه وعجزه ونقمته وأنفته إلا الهجاء . .

وقد حفظ لنا ياقوت بعض أهاجى صاحبنا فى هؤلاء الوزراء وغيرهم من الكتاب. ولعلّ هذه الأهاجى هى التى جعلت المصادر تذكر أنه كان هجاءً آخذاً فى الأعراض .

ومات أحمد بن يحيى فى آخر خلافة المعتمد سنة ٢٧٩ ﻫ على الأرجح . وقد تجاوز الثمانين من عمره ، إذا افترضنا أنه وُلد فى أواخر القرن الثانى وأتيح له أن يمدح المأمون الذى توفى سنة ٢١٨ﻫ ، وهو فى العشرين .

وقد كان لموته قصّة ذكرها ابن النديم[(١)] وتابعته المصادر عليها . ذكر أنه شرب فى آخر عمره حب البلاذُر فوسوس ، وشدّ فى المارستان ومات فيه . وسمّى بعد موته بالبلاذُرى .

وهذه القصة تثير الشك . وقد شك بها ياقوت منذ القرن السابع . ذلك أن الجهشيارى ينعت جدّ أحمد بن يحيى، الذى كان كاتباً للخصيب ، بالبلاذرى . قال ياقوت : « قال الجهشيارى فى كتاب الوزراء : جابر بن داود البلاذرىّ كان يكتب للخصيب بمصر . هكذا ذكر . » ثم يعقب ياقوت فيقول : ولا أدرى أيهّما شرب البلاذُر : أحمد بن يحيى أو جابر بن داود . إلا أن ماذكره الجهشيارى يدلّ على أنّ الذى شرب البلاذُر هو جدّه . لأنه قال : جابر بن داود ، ولعلّ ابن ابنه لم يكن حينئذ موجودا »[(٢)] .

ومن المؤسف أن طبعة كتاب الجهشيارىّ التى بين أيدينا ناقصة

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١١٣ .

(٢) ياقوت ، معجم الأدباء ٥ : ٩٢ .

فقد رجعنا إليها لنرى نص الجهشيارى الذى ذكره ياقوت فوجدنا خلطاً عجيباً . قال :

« وكان يكتب للخصيب أبو عبد الحميد بن داود البلاذرى المؤلف لكتاب البلدان . وغيره من الكتب »(١) .

وهذه العبارة تخالف فى تركيبها ما ذكره ياقوت ، وتخالف الواقع أيضاً . فمؤلف كتاب البلدان ليس « أبا عبد الحميد بن داود البلاذرى » .

ويذكر الذهبى فى سير النبلاء(٢) أن شربه البلاذُر كان للحفظ . وهذا ما يؤكد الشك فى الرواية . فماذا يريد أن يحفظ من بلغ الثمانين أو تجاوزها ، وألحت عليه الحاجة ، ولجأ إلى الناس ؟ وإنما يبغى الحفظ من كان ناشئاً فى بداءة الشباب ، يطلب العلم ويجمعه .

ويذكر صاحب الفهرست أنه « شُدّ » فى المارستان ، وعبارة الذهبى « رُبط » . والعادة أن يربط أو يشد من يخشى قوته وبطشه من المجانين . فهل عند من جاوز الثمانين مثل ذلك ؟

وكيف كان سبب موته ، ورغم شكوكنا هذه ، فإننا ما نزال نحتاج إلى نصوص جديدة صحيحة لكتاب الجهشيارى وغيره ، لتبيّن لنا كيف مات ، وتبين لنا هل كان «البلاذرى» لقباً له أم لجده .

---

(١) الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتاب ، (طبعة السقا والأبيارى وشلبي) ص ٢٥٦ .

(٢) الذهبي ، سير النبلاء (مخطوط) ورقة ٧١ ، المجلد التاسع .

تلك هى حياة أحمد بن يحيى العامة . أما حياته العلمية فقد كانت أخصبَ وأكثر ثمارا . فقد نشأ فى بغداد وأخذ عن علمائها فى النصف الأول من القرن الثالث . وحضر حلقاتهم فى الحديث والأدب والسِّير . وكان أكثر من أخذ عنهم الحسين بن على الأسود (— ٢٥٤هـ) والقاسم بن سلّام (— ٢٢٤هـ) وعلى بن محمد المدائنى (—٢٢٥هـ) ومحمد بن سعد كاتب الواقدى (— ٢٣٠هـ)[(١)]. وقد ذكرت المصادر معرفته الفارسيّة[(٢)] . ولعله تعلّمها ، وكانت لغة أجداده — إذا ذهبنا إلى أن أصله من الفرس — وكذلك يبدو أنه أحاط بطرف من ثقافة الروم . فنحن نراه يُجادل أمام المتوكل فى كيفية التأريخ عندهم[(٣)] .

وبعد أن أخذ طرفاً كبيراً من علم أهل العراق توجّه إلى الشام . فسمع فى دمشق عالمها هشام بن عمّار (— ٢٤٦هـ) وأبا حفص الدمشقى (— ٢٢٥هـ) . وطاف فى بلاد الشام فزار حمص وسمع فيها من محمد بن مصفّى (— ٢٤٦هـ) ثم حلب ومنبج ، وأنطاكية ، وثغور الروم ، والجزيرة ، والرقة[(٤)] وتكريت .

لا ندرى على الدقة متى كانت رحلته إلى الشام ، فهو لم يذكر متى طاف بهذه البلاد ، ولكننا نرجح أنّ ذلك كان بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨هـ ، أى فى زمن المعتصم ، فنحن لا نسمع شيئاً عنه فى هذه الفترة ، يُضاف إلى ذلك أن أبا حفص الدمشقى الذى سمع منه بدمشق توفى سنة ٢٢٥ هـ . فلا بُدّ أنه سمع منه قبل ذلك .

---

(١) انظر فهرس الرواة فى آخر الكتاب .
(٢) ابن النديم ، الفهرس ، ص ١١٣ .
(٣) ياقوت ، معجم الأدباء ٥ : ٩٣ وما بعدها .
(٤) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق (المصدر السابق) وابن العديم ، بغية الطلب (المصدر المذكور) .

وهكذا جمع صاحبنا إلى علم أهل العراق علم أهل الشام. وقد كانت رحلته هذه وسيلة لاكتسابه ثقافة جديدة أفادته فى كتابه فتوح البلدان . فقد أخذ كثيراً عن أهل دمشق وحمص ومنبج والرقة والثغور وأنطاكية أخبار فتوحهم وأثبتها فى كتابه إلى جانب أخبار أخرى .

وقد كان لأساتذته وثقافته ورحلاته وتردّده على قصور الخلفاء أثر فى إنتاجه وفى نوع هذا الإنتاج. فقد استفاد بطريق ابن سعد جميع روايات الواقدى فى الفتوح . واستفاد من المدائنى نفسه رواياته فى كتبه الكثيرة فى الفتوح والبلدان . وأخذ بطريق حفيد ابن الكلبى مارواه جده فى الأنساب . وأخذ عن القاسم بن سلاّم أمور العشر والخراج . فكان بعد ذلك مؤرخاً للبلدان ، وكان نسّابة ، وراوية شاعراً . وهذه الاتجاهات هى التى ظهرت بعد فى كتبه .

وثمة تأثير آخر لمعرفته الفارسية هو نقله آثار الفرس إلى العربية ، حتى نعته ابن النديم بأنه كان أحد النقلة إلى اللسان العربى .

هذه الثقافة الحضارية المطعّمة أهّلته أن يكون عالماً مؤلفاً وأن يكون نديماً للخلفاء ، وأن يأخذ عنه كثيرون .

وقبل أن نتكلم على إنتاجه بالتفصيل يجدر أن نذكر أن تلاميذ أحمد بن يحيى كانوا كُثرا . يكفى أن نذكر أنه أستاذ وكيع القاضى ، وجعفر بن قدامة صاحب الخراج . وقد ذهب دخويه[1] إلى أن صاحب الفهرست محمد بن إسحق النديم كان تلميذه . وهذا خطأ . ومصدره الترجمة التى كتبت بخط المقريزى فى أول فتوح البلدان . والصحيح أن الذى أخذ عنه هو يحيى بن النديم . فقد تصحفت يحيى إلى محمد . والمعروف أن صاحب الفهرست لم يُدرك البلاذرى ومات بعده بما يقرب من مئة سنة ، فقد مات يقيناً بعد سنة ٣٧٥ . ويحيى بن النديم هذا هو يحيى بن المنجم ، وكان من أسرة كانت ندامى للخلفاء[2] .

---

(١) فى مقدمة نشرته .

(٢) ويذكره الذهبى باسم يحيى بن المنجم .

فأما ما نقله عن الفارسية فقد عرفنا منه « عهد اردشير » الذى نقله شعراً . ولم يصل هذا الكتاب إلينا .

كانت ثمار ثقافة أحمد بن يحيى « كتباً جياداً » أو « حسنة » كما نعتتها المصادر . وأشهر هذه الكتب كتاب أنساب الأشراف . وقد نقل ياقوت والصفدى أن اسم الكتاب « جمل نسب الأشراف » وقال : هو كتابه المعروف المشهور . لكن المطبوع من ابن النديم لا يذكر له هذا الكتاب ، بل يذكر كتاباً باسم « كتاب الأخبار والأنساب » لم يذكره أحد ممن نقل عن ابن النديم . والمطبوع من الفهرست ناقص لاشك . أما حاجى خليفة فيذكر للبلاذرى كتابين متقاربين الأول : أنساب الأشراف ، ويذكر أنه فى عشرين مجلداً ولم يكمله . والثانى : الاستقصاء فى الأنساب والأخبار فى أربعين مجلداً ولم يكمله . وهو لايثبت مبتدأ الكتاب كعادته ممايدل على أنه لم يره . ولم يذكر أحدٌ من المتقدمين كتاب الاستقصاء بهذا الاسم . ويذكر السخاوى[1] أن له كتاب التاريخ وكتاب أنساب الأشراف . وقد ظن دخويه[2] أن الأنساب والأخبار هو التاريخ الذى ذكره السخاوى . وينعته الذهبى بأنه صاحب التاريخ الكبير . والمرجّح أن كتاب الأنساب والأخبار هو كتاب أنساب الأشراف ، بُدِّل اسمه ، وأن الأنساب هو التاريخ نفسه .

وقد بدأ البلاذرى كتابه بسيرة النبى ، وسير الصحابة . ثم أورد العباسيين بعد العلويين ، و بنى عبد شمس بعد بنى هاشم . وذكر الأمويين فى بنى عبد شمس ، لكنه لم يُفرِد لهم مكاناً خاصاً . ثم تحدث عن بقية قريش و بطون أُخرى من مُضر . وشغل الجزء الأخير من كتابه عن قيس ، وخص بالذكر منهم ثقيف ، واستفاض فى سيرة الحجاج[3] .

(١) الأعلان بالتوبيخ ص ١٥٤ .

(٢) فى مقدمة نشرته .

(٣) بيكر ، فى دائرة المعارف الإسلامية .

وقد نشر الأستاذ الدكتور حميد الله قائمة بمواد الكتاب كلها عن النسخة الوحيدة منه الموجودة فى استامبول (١) .

وألّف أحمد بن يحيي كتاب البلدان الكبير وكتاب البلدان الصغير . أما الكبير فلم يتم . ويظن بعض العلماء أن كتاب فتوح البلدان الذى بين أيدينا هو كتاب البلدان الصغير . ولا يذكر حاجى خليفة كتاب فتوح البلدان . على أن ابن النديم يذكر أن له كتاب الفتوح إلى جانب كتابيه فى البلدان . وقد نقل هذا عنه ياقوت والصفدى . ولا يوجد اسم كتاب الفتوح فى المطبوع من ابن النديم . ونرجح أن يكون كتاب الفتوح هذا هو فتوح البلدان الذى وصل إلينا والذى سنتكلم عليه بالتفصيل (٢) . ونعتقد أن كتابيه فى البلدان هما على نمط كتب البلدان التى ظهرت فى القرن الثالث فكان منها كتاب البلدان لليعقوبى وكتاب البلدان لابن الفقيه الهمدانى .

---

(١) أنظر Bulletin de l'Institut Français de Damas, 1954

(٢) يؤكد اعتقادنا هذا أنه أثبت فى آخر مخطوطة لندن ما يلى : « هذا تمام كتاب الفتوح للبلاذرى » .

كتاب فتوح البلدان

عنى المؤرخون المسلمون في القرن الثاني عناية كبرى بتدوين السير والمغازى . فقد غلب عليهم تدوين أخبار الرسول وحياته وكان ذلك شغلهم الشاغل [1]. أما فى القرن الثالث ، فقد ظهرت العناية بتدوين الفتوح وكان أبرزَ من دوّنها ، قبل أحمد بن يحيى ، أبو حذيفة إسحاق بن بشر (—٢٠٦) ، والواقدى (—٢٠٧) وأبو عبيدة معمر بن المثنى (— ٢١٠) وعلى بن محمد المدائنى (— ٢٢٥) وقد لحق هؤلاء فيما بعد ابن عبد الحكم المتوفى سنة (— ٢٥٧) .

ألّف أبو حذيفة فى فتوح بيت المقدس [2] . والواقدىّ فى فتوح الشام وفتوح العراق [3] . ونسبت إليه كتب فى فتوح إفريقية ، ومنف ، والاسكندرية ، والجزيرة ، والعجم . أما المدائنى فقد زاد على من سبقه وأربى . فألّف فى الفتوح عدداً كبيراً من الكتب . كفتوح الشام ، والعراق ، والبصرة ، وخراسان ، وسجستان ، وفارس ، والأبلّة ، وأرمينية ، وكرمان ، وكابل ، وعُمان ، وطبرستان ، ومصر ، والرىّ ، والجزيرة ، والأهواز ، والبحرين ، وبرقة ، ومكران ، والحيرة . . . أفرد لكل بلد كتاباً [4] . وألف ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب [5] .

وهكذا كان بين يدى أحمد بن يحيى مادة خصبة فى الفتوح وجدها قبل أن يؤلف كتابه .

---

(١) أنظر للتفصيل: هوروفتس، المغازى الأولى ومؤلفوها، ترجمة الدكتور حسين نصّار.
(٢) أنظر كشف الظنون .
(٣) ابن النديم ، الفهرست ٩٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
(٥) أنظر كشف الظنون .

لاندرى متى ألّف كتابه ، فهو لا يذكر شيئاً . على أن بعض الحوادث المذكورة فى الكتاب تدلنا على ذلك . فهو يذكر المعتز بالله ، ولا يذكر بعده أحداً ممن تولى الخلافة . مما يرجّح أنه أتمه بعد سنة ٢٥٥ هـ وهى السنة التى قتل فيها المعتز .

ولنر الآن ماهى المصادر التى اعتمد عليها فى تأليف كتابه .

لقد أحصينا الرواة التى روى أحمد بن يحيى عنهم كتابه فوجدنا أنه أخذ معظم أخباره عن :

الحسين بن الأسود الكوفى نزيل بغداد .

والقاسم بن سلاّم .

ومحمد بن سعد كاتب الواقدى .

وعلىّ بن محمد المدائنى .

وعمرو بن محمد الناقد .

والعباس بن هشام الكلبى .

أما ما سواهم فقد أخذ عنهم أخباراً قليلة .

٢ — استفاد مباشرة أو عن طريق راوية من روايات الواقدى ، وأبى مخنف ، وابن الكلبى ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى .

٣ — أخذ عن أهل كل بلد وذكر أسماء من أخذ عنه أحياناً . وأغفل أسمائهم أحياناً . فكان يقول : أخبرنى بعض أهل فارس — أخبرنى شيخ من أهل حمص — أخبرنى بعض أهل الثغر — حدثنى بعض أهل منبج — حدثنى عدة من أهل قزوين — حدثنى مشايخ من أهل أنطاكية — حدثنى عدة من مشايخ قاليقلا .

ولا شك أنه كان يستمع إلى هؤلاء أثناء رحلته أو أثناء اجتماعه بهم فى بغداد

٤ — أخذ عن مجهولين لم يذكر أسماءهم ولا عيّن بلادهم . فكان يقول : حدثنى جماعة من أهل العلم — حدثنى من أثق به .

٥ — استكتب علماء البلاد فى شؤون بلادهم . فقد ذكر أنه كتب إليه العطّاف قاضى قاليقلا . ولم يكتب إليه العطاف فى أمر فتح بلده إلا بعد أن طلب منه ذلك .

٦ — إلى جانب العلماء والرواة كان يستقى أخباره من أشخاص رسميين كالخلفاء أو الكتاب فى ديوان الخليفة . فكان يقول : حدثنى من أثق به من الكتاب أن المتوكل . . . ، أو أخبرنى المتوكل . . .

٧ — كان يتصرّف بأقوال الرواة يمزج بعضها ببعض ويختصرها ويرويها رواية جديدة ويقول : قالوا . وقد افتتح كتابه بقوله : أخبرنى جماعة من أهل العلم بالحديث والسيرة وفتوح البلدان سقتُ حديثهم واختصرته ورددتُ فى بعضه على بعض » .

تلك هى مصادر أحمد بن يحيى فى فتوحه . أما الفتوح نفسها فقد بدأ بالجزيرة العربية ، ثم بالشام ، وقبرس ، والجزيرة ، والثغور ، ثم أرمينية ، ثم مصر والمغرب وإفريقية ، والأندلس ، ثم جزائر البحر . وعاد إلى السواد والعراق . ثم تكلم على فتوح فارس والجبال وسجستان وكرمان وكابل وخراسان والسند . فكأنه تتبع الفتوح تتبعاً تاريخياً قدر الامكان .

وقد امتاز الفتوح بأمور يجدر الاشارة إليها :

١ — اختار أحمد بن يحيى من المواد الخصبة التى سمعها أو قرأها ، فكان فى انتقائه جيداً . لا يخرج عن الموضوع الذى يتكلم عليه ولا يستطرد إلى غيره . فقد حافظ على وحدة الموضوع جزئياً وكلياً .

٢ — لاحظ بيكر على حق أن سرده الحوادث تخلله إشارات ذات قيمة فى ناحية تاريخ الحضارة والنظم الاجتماعية . مثل كلامه على نقل الدواوين إلى العربية ، وأمر القراطيس ، ونقل ديوان الفارسية ، وأمر الخاتم ، والنقود ، والخط .

٣ — عنى كذلك بتبيان أحكام الخراج ، وأحكام العشر ، فى مختلف مصادرها الحجازية أو العراقية .

٤ — تابع أمور البلاد المفتوحة فى عصره ، فوصف ما نالها أيام الخلفاء العباسيين . والكتاب فيما يتعلق بالعصر العباسى على غاية من الفائدة .

٥ — تظهر شخصية المؤلف فى كتابه بالملاحظات النقدية التى نجدها بين حين وحين . فهو ليس راوياً ينقل الأخبار ، ولكنه بعد أن يرويها يفضل بعضها على بعض ويرجح ما يراه جديراً بالترجيح . فيقول بعد سرد الأخبار : والثبت كذا .

وهذا لا نجده عند الواقدى ولا فى فتوح مصر لابن عبد الحكم .

٦ — إلى جانب الشمول من حيث الموضوع يمتاز الفتوح بالإيجاز . فأسلوب المؤلف موجز جداً ، ولكنه واضح . على أنك لا تستطيع الاكتفاء به وحده فقد نجد تفصيلاً أكثر فى مصادر ثانية .

٧ — وثمة ملاحظة أخيرة ذكرها دخويه هى أنه رغم صلته ببعض الخلفاء العباسيين لم يُغرق كتابه الفتوح بمدحهم . وإن كان تنقص من قدر الأمويين فلم يسمّ أحداً منهم بالخليفة الا عمر بن عبد العزيز .

ولاحظ بيكر أيضاً أنه تكلم فى أنساب الأشراف عن بنى أمية فلم يحلّهم محلاً خاصاً يليق بهم .

وهاتان الملاحظتان تفسّران لنا شيئاً من موقف المؤلف أمام الأمويين . ونضيف أنه كان ينعت الخلافة العباسية « بالدولة المباركة » ولا يتكلم بشيء عن الخلافة الأموية .

* * *

ولا نعرف مؤلِّفاً فى الفتوح بعد أحمد بن يحيى ، فهو ، كما قيل ، خاتمة مؤرخى الفتح . وإذا علمنا أن كتب الواقدى لم تثبت صحة الكثير منها ، وأن كتب المدائنى لم تصل إلينا ، رأينا أن كتاب البلاذرى هذا هو أهم مصدر من المصادر التاريخية ، وأكثرها صحة ، عن الفتوح العربية ، حتى قال المسعودى عنه فى مقدمة مروج الذهب : « لا نعلم فى فتوح البلدان أحسن منه . » . وقد نقل منه ياقوت فى معجم البلدان نقولاً كثيرة واعتمد عليه وجعله من مصادره .

نشرات فتوح البلدان

نشر فتوح البلدان ، كله أو بعضه ، عدة مرات :

١ — فأول من نشره كاملاً المستشرق الهولندى دغو يه فى ليدن ، فى ثلاثة أقسام ، من سنة ١٨٦٣ إلى ١٨٦٦ [1] ، باسم :

Liber expugnationis regionum.

Auctore Imamo Ahmed ibn Iahja ibn Djabir al-Beladsori.

وألحق به فهرساً للأعلام ، وآخر للرواة والفقهاء ، وثالثاً للأماكن ، ومعجماً للألفاظ ، ومستدركا .

٢ — ونشر أهلورد **Ahlward** الألمانى الجزء الأول منه سنة ١٨٨٣ م .

٣ — ثم نشرته شركة طبع الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٠١ م عن طبعة دخويه . وهى نشرة بلا شكل أو ضبط ، و بلا فهارس . وقد ترجمت فى أولها أقسام من مقدمة دخو يه ترجمة غير صحيحة وفيها تصرّف .

٤ — ثم نشرته المكتبة التجارية بالقاهرة فى سنة ١٩٣٢م ، وعُنى بالتعليق عليه الأستاذ رضوان محمد رضوان . ولم يذكر أىّ نسخة اعتمد عليها فى نشرته ، لكنه قال إنه قابله على نسخة الأستاذ الشنقيطى المحفوظة بدار الكتب .

وقد تبيّن لنا بعد دراسة هذه النشرة أن الأستاذ رضوان اعتمد على نشرة شركة طبع الكتب العربية ، وأثبتها كما هى ، بحواشيها وأخطائها ، دون أن يشير

---

(١) ذكر جرجى زيدان ومن قبله بروكلمن أنه طبع سنة ١٨٧٠ وهو خطأ .

إلى ذلك . واستمد فى مقدمته من الترجمة الجزئية لمقـدمة دخويه التى أثبتت فى نشرة شركة طبع الـكتب . وهـذه النشرة بلا شكل أو ضبط للألفاظ والأماكن والأعلام . ولا توجد فى الصفحات تعليقة واحدة تدل على أن الـكتاب قوبل على نسخة مخطوطة . وكذلك لا فهارس لها .

وقد رجعنا إلى دار الـكتب للبحث عن نسخة الشنقيطى فلم نجد مخطوطة له ، وإنمـا وجدنا فى مكتبته نسخة مطبوعة فى أوروبة هى نشرة دخويه ، وعلى هوامشها تعليق لا شأن له . وهى برقم ٣٥ تاريخ ش .

٥ — نشر رينو الفرنسى **Reinaud** قطعاً منه فى :

Reinaud, *Fragments arabes et persans* **p.161—181.**

٦ — نشر أمارى الإيطالى **Amari** (— ١٨٧٩ م) قطعاً منه فى :

Amari, *Biblioteca arabico-sicula,* **p. 161.**

ترجمات فتوح البلدان

١ — تُرجم إلى الإنـكليزية ، مع نقص :

Ph. K Hitti, ***The origins of the islamic state,*** **2 Vol., 8o, New-york, 1916.**

٢ — ترجمه إلى الألمانية : **O. Rescher,**

2 Vol, Leipzig, 1917 et 1923.

٣ — بدأ **Hamaker** ، وكان أستاذ اللغات السامية بليـــدن ، بترجمته إلى اللاتينية ، ولم يتمه .

ويقول دخويه إن هذه الترجمة لم تفده قط عند نشره الـكتاب لأنها أشبه بالموجز . ويقول عن المترجم إنه لم يكن خبيراً فى قراءة المخطوطات لذلك تحرفت الأسماء فى ترجمته .

٤ — ترجم سوفاجه قطعة صغيرة منه فى كتابه عن المؤرخين العرب ، مع تعريف موجز به .

Sauvaget, ***Les Historiens Arabes,*** **p. 12—17. (Paris. 1946).**

خطتنا فى النشر

عندما عهدت إلينا إدارة الثقافة العامة نشر هـذا الـكتاب حاولنا أن نجد مخطوطات جديدة له يمكن تحقيق النص بها . فلجأنا إلى بروكلمن ، فلم نجده ذكر شيئاً . ثم علمنا أن فى الخزانة التيمورية قطعة من الفتوح للبلاذرى سجلت برقم ٢٦٢٧ تاريخ ، فرجعنا إليها فوجدنا أوراقاً مجموعة ناقصةمن الأول والآخر ، كما أن فى ثناياها أوراقاً ناقصة بحيث لايستقيم الـكلام . وقد كتبت على الأغلب فى القرن السابع . ولـكننا ما كدنا نفحصها حتى ظهر أنهـا ليست من فتوح البلاذرى كما أثبت فى البطاقة الخاصة بها خطئاً . وتبين لنا أن مؤلفها متأخر عن البلاذرى ، فهو ينقل عن الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

وأمام فقـدان نسخ مخطوطة جديدة فقد رجعنا إلى نشرة دخويه — لأنها النشرة الوحيدة التى اعتُمد فى نشرها على نسخ مخطوطة — فهى نشرة علمية نقدية . أما النشرتان اللتان ظهرتا فى مصر فلم تعتمدا على أصول خطية كما رأينا لأن أولاهما صورة مشوهة عن نشرة العـالم الهولندى ، وثانيتهما صورة عن النشرة الأولى . وإن كان ناشرها أراد أن يدلس بذكره أنه نشرها على نسخة الشنقيطى ؛ وما نسخة الشنقيطى غير نشرة دخويه نفسها .

ذكر دخويه فى مقدمته اللاطينية أنه اعتمد فى نشره فتوح البـلدان على ثلاث نسخ مخطوطة ، نسرد وصفها فيما يلى :

فالأولى هى مخطوطة فى مكتبة جامعة ليـدن . ولا يذكر دخويه رقمها وآخرها . كل مايذكره أنها كتبت بخط جميل لا شكل ولا نقط فيه . وقد رمز إليها بحرف A .

والثانية مخطوطة فى مكتبة جامعة ليدن أيضاً رقمها (430 warn) وهى نسخة كتبت فى أوائل القرن السابع الهجرى ، قليلة النقط ، جميلة الخط .

أثبت على أول ورقة منها مايلى :

كتاب فتوح البلدان
تأليف الإمام أبى العباس أحمد بن يحيي بن جابر
البلاذرى . رحمة الله عليه .

كما أثبت فى آخرها مايلى :

« فرغ من كتابته العبد الفقير إلى رحمة الله القدير
أحمد بن نعمة المقدسى سامحه الله وتجاوز عن سيئاته
فى العشر الأوسط من شهر المحرم من سنة ثلاث وعشرين
وستماية ، حامداً مصلياً . وحسبي الله ونعم الوكيل »

وقد رمز إليها دخويه بحرف B .

وناسخ هـذه النسخة عالم ومؤرخ معروف ، وله تواليف [1] ، ويمكن الاطمئنان إلى نسخته هذه .

وقد كتبنا إلى حافظ المخطوطات فى مكتبة جامعة ليدن الدكتور فورهوف نسأله عن هاتين المخطوطتين ورجوناه أن يرسل إلينا الصفحات الأولى والأخيرة منهما . فأعلمنا أنه لايوجد الآن فى المكتبة إلا النسخة الثانية . ولعل الأولى قد فقدت .

أما النسخة الثالثة التى اعتمد عليها دخويه فهى مخطوطة المتحف البريطانى (Br. Mus 23, 264 Taylor) . وقد كتبت فى القرن التاسع من الهجرة .

وقد أثبت فى آخرها ما يلى :

« هـذا تمام كتاب الفتوح للبلاذرى . فرغ ناسخه من نسخه له فى آخر سنة إحدى وخمسين وثمان مئة ... »

---

(١) انظر كتابنا : المؤرخون الدمشقيون ص ٣٥ .

و بعد ذلك كتب بخط آخر :

« بلغ مقابلة من أوله إلى آخره على أصله المنقول منه ، وهو أصل قديم جداً فى مجالس آخرها يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . قال ذلك إبراهيم بن عمر البقاعى صاحبه » .

والبقاعى هذا هو المؤرخ المشهور (١) معاصر السخارى . وهذه النسخة قد نقلت كما ذكر عن أصل قديم جداً ، وقابلها البقاعى فى مجالس عدّة . لذلك يمكن الاطمئنان إليها .

لهذا كلّه اطمأن قلبنا إلى الأصول التى اعتمد عليها دخويه ، واتخذنا نشرته أساساً لنشرتنا هذه .

ولا بد أن نذكر أن دخويه قد بذل غاية جهده فى التحقيق . وطلب يومئذ من العلماء تنبيهه إلى ما أخطأ فيه ، ولم يجد غضاضة فى ذلك . فصحّح له صديقاه Fleischer , Noldeke بعض ما أخطأ فيه . وكتب له صديقاه Wustenfeld و wrighte اختلاف الروايات بين نسخ ليدن ونسخة المتحف البريطانى ، وما ورد فى معجم البلدان لياقوت . وأثبت هذا التصحيح كله فى القسم الثالث من الكتاب فى ثمان وعشرين صفحة .

وبالإضافة إلى المقدمة التى قدم بها الكتاب باللغة اللاتينية فقد وضع فى آخر الكتاب معجماً لبعض ألفاظه وسرد معناها ومواضع استعمالها . هذا عدا الفهارس .

وقد صححنا نحن أولاً طبعة دخويه حسب ما استدرك من تصحيح فى آخر الكتاب . ثم صححنا نحن ما بدا لنا فيها من الخطأ أو فاته التنبيه عليه . ولم نشر إلى هذه الأخطاء ، فعمل هذا المستشرق الجليل ، الذى نشر عشرات من تراثنا

(١) انظر كتابنا : المؤرخون الدمشقيون ص ٧١ .

العربي قبل قرن ، أجلّ من أن يُطعن عليه لأخطاء يتعرض لها كل عالم ، وخاصة في كتاب كفتوح البلدان كلّه أعلام وأسماء أماكن و بقاع .

وقد ضبطنا كثيراً من الكلمات التي لم يضبطها دخويه بالشكل .

وصححنا الرسم في الأسماء التي حذفت ألفها كابراهيم واسحق ..

وفصلنا المئات عن الأعداد ، فكتبنا ثلاث مئة بدلاً من ثلاثمائة .

ورقمنا الأحاديث والأخبار .

وجعلنا الإسناد بحرف أدق من حرف المتن (١) .

أما اختلاف النسخ التي أثبتها دخويه فلم نثبتها نحن ، لأنها على الأغلب روايات غير صحيحة لا فائدة منها ، وما وجدناه فيها أصحّ مما أثبته صححناه .

ورأينا أن كتاباً كهذا لا يتم الانتفاع به إلا إذا عُرفت الأماكن المذكورة فيه لذلك لم نشأ أن نجعل تعليقاتنا وشروحنا في أسافل الصفحات بل ألحقنا بالكتاب معجماً لأسماء الأماكن بيّنا فيه مواضعها اليوم إذا أمكن ، وذكرنا المصادر التي تكلمت عليها . وقد آثرنا جعل ذلك في آخر الكتاب لئلا نثقل النص بتعليقات طوال .

أما الفهارس فقد أفردنا واحداً لشيوخ البلاذري الذين روى الكتاب عنهم ، وثانياً للأعلام الواردة في النص ، وثالثاً للألفاظ اللغوية ، ثم ختمنا ذلك بالمستدرك .

وصنعنا خريطة مجملة تبيّن البلدان التي فتحها العرب ، ولم نثبت فيها كل المدن والمواقع لتعذّر ذلك .

ولعل عملنا هذا أن يكون إتماماً لعمل ذلك العالم الهولندي الجليل ، وقد يكون هناك خطأ فاتنا لم ننتبه إليه ، فالشكر سلفاً لمن يصححه و يخبرنا به .

القاهرة . ديسمبر ١٩٥٦

صلاح الدين المنجد

---

(١) أنظر رسالتنا : قواعد تحقيق النصوص .

استدراك على المقدمة

١ — ذكرنا فى مصادر ترجمة البلاذرى أنّ ابن العديم صاحب بغية الطلب توفى سنة ٦٦٦ ـ (ص ٤) والصحيح أنه توفى سنة ٦٦٠ هـ .

٢ — وذكرنا أن ابن خلّكان صاحب وفيات الأعيان توفى سنة ٦٨٢ هـ (ص ٤). والصحيح أنه توفى سنة ٦٨١ .

٣ — وذكرنا أن المقريزى كتب ترجمة البلاذرى بخطه على ظهر مخطوطة ليدن . (ص ٥) واعتمدنا فى ذلك على قول دخويه فى مقدمته . ثم وصلت إلينا بعد طبع القسم الأول من مقدمتنا ، صورة هذه الترجمة . فتبيّن لنا أنها بخط السخاوى وليست بخط المقريزى كما ظنّ دخويه . وقد جزمنا بذلك بعد أن عارضنا خط هذه الترجمة بخطوط السخاوى المحفوظة لدينا فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

٤ — الصفحة التى ورد فيها ذكر البلاذرى فى كتابنا : رائد التراث العربى هى صفحة ٨٨ (انظر ص ٦) .

٥ — ذكرنا أننا لم نجد أصولا خطية للفتوح . وبعد طبع هذا القسم الأول من الكتاب. أخبرنا الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال أنّ أصلا قديماً للكتاب ، أفسدت الرطوبة بعض صفحاته ، فى مكتبة جامعة ييل بالولايات المتحدة . فرجعنا إلى ما كتبه الأستاذ كوركيس عواد عن المخطوطات العربية فى دور الكتب الأميركية فوجدناه يذكر فى مخطوطات هذه المكتبة (ص ١٧) نسخة من فتوح البلدان ، قديمة جداً . بخط نسخى غير منقوط . وقال نعلّها فى مخطوطات المئة الخامسة أو السادسة ـ تملّكها بعضهم سنة ٩٧٤ هـ .

كتاب فتوح البلدان

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

١ — قال أحمد بن يحيى بن جابر : أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث والسيرة وفتوح البلدان سقتُ حديثهم واختصرتُه ورددتُ من بعضه على بعض أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة من مكة نزل على كلثوم ابن الهِدْم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن أميّة بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بقُباء ، وكان يتحدث عنده سعد بن خَيْثَمَة بن الحارث بن مالك أحد بني السلم بن امرئ القيس بن مالك ابن الأوس حتى ظنّ قومٌ أنه نزل عنده .

وكان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقُباء مسجداً يصلّون فيه ، والصلاة يومئذ إلى بيت المقدس ، فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم قُباء صلّى بهم فيه . فأهل قُباء يقولون إنه المسجد الذي يقول الله تعالى فيه ﴿ لمسجدٌ أُسِّسَ على التقوى مِنْ أولِ يومٍ أحقُّ أن تقوم فيه ﴾[1] وروى أن المسجد الذي أُسّس على التقوى مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ — حدثنا عفان بن مسلم الصَفّار قال : حدثنا حماد بن سلمة قال : أخبرني هشام بن عروة ، عن عُروة أنه قال في هذه الآية (ص٢) ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وَكُفْراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرْصاداً لِمَنْ حارب الله وَرسولَه من قَبْلُ ﴾[2] قال : كان

(١) السورة ٩ ، الآية ١٠٨
(٢) « ٩ ، الآية ١٠٧

سعدُ بن خَيْثَمَـةَ بنيٰ مسجدَ قُبآء ، وكان موضعه للبِـّة تربط فيه حمارها . فقال أهل الشقاق : أنحن نسجد فيٰ موضع كان يربط فيه حمار لبّـة ؟ لا ، ولـكنا نتخذ مسجداً نصليّ فيه حتى يجيئنا أبو عامر فيصلى بنا فيه . وكان أبو عامر قد فرّ من الله ورسوله إلى أهل مكة ثم لحق بالشام فتنصّر ، فأنزل الله تعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكُفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرْصاداً لمن حاربَ الله ورسوله مِن قَبْلُ ﴾ ، يعنى أبا عامر .

٣ — وحدثنا روح بن عبد المؤمن المقرى قال: حدثنى بَهْزُ بن أسد قال: حدثنا حماد بن زيد قال : أخبرنا أيوب ،

عن سعيد بن جُبير أن بنى عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً فصلّى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيـه ، فحسدهم اخوتهم بنو غنم بن عوف فقالوا : لو بنينا أيضاً مسجداً وبعثنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه كما صلى فى مسجد أصحابنا ، ولعل أبا عامر أن يمر بنا إذا أتى من الشام فيصلى بنا فيه . فبنوا مسجداً وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يأتيه فيصلى فيه . فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم لينطلق إليهم أتاه الوحى فنزل عليه فيهم ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكُفْراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حاربَ الله ورسوله﴾ قال : هو أبو عامر . ﴿لا تَقُمْ فيه أبداً . لمسجدٌ أُسّس على التقوىٰ من أول يوم أحقُّ أن تقوم فيه . فيه رجالٌ يحُبّون أن يتطهروا والله يحبّ المطَّهرين . أفمن أسّسَ بنيانه على تقوى من الله (ص٣) ورضوان ﴾ قال : هذا مسجد قُبآء .

٤ — وحدثنا محمد بن حاتم بن ميمون قال : حدثنا يزيد بن هارون عن هشام ،

عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ فيه رجالٌ يحبّون أن يتطهّروا ﴾

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مسجد قبآء فقال : ما هذا الطهور الذي ذُكرتم به ؟ قالوا : يا رسول الله ! إنا نغسل أثر الغائط والبول .

٥ — وحدثنا محمد بن حاتم قال : حدثنا وكيع عن ابن أبي ليلى ،

عن عامر قال : كان ناس من أهل قُبآء يستنجون بالماء ، فنزلت فيهم ﴿ فيه رجال يحُبّون أن يتطهروا ﴾ الآية .

٦ — حدثني عمرو بن محمد الناقد وأحمد بن هشام بن بهرام قالا : حدثنا وكيع بن الجراح قال : أخبرنا ربيعة بن عثمان عن عمران بن أبي أنس ،

عن سهل بن سعد قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسّس على التقوى . فقال أحدهما : هو مسجد الرسول . وقال الآخر : هو مسجد قُبآء . فأتيا النبيّ صلى الله عليه وسلم فسألاه . فقال : هو مسجدي هذا .

٧ — حدثنا عمرو بن محمد ومحمد بن حاتم بن ميمون قالا : حدثنا وكيع عن ربيعة بن عثمان التيمي عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ،

عن ابن عمر قال : المسجد الذي أسّس على التقوى مسجدُ الرسول صلى الله عليه وسلم .

٨ — حدثنا محمد بن حاتم قال : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن قال : حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد ،

عن أُبيّ بن كعب قال : سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسّس على التقوى فقال : هو مسجدي هذا .

٩ — حدثنى هُدْبة بن خالد قال : حدثنا أبو هلال الراسبى قال : أخبرنا قتادة ،
عن سعيد بن المسيِّب فى قوله ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّس على التقوى﴾ قال : هو مسجد
(ص٤) النبى صلى الله عليه وسلم الأعظم .

١٠ — حدثنا على بن عبد الله المدينى قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن أبى الزناد ،
عن خارجة بن زيد بن ثابت قال : المسجدُ الذى أُسِّس على التقوى مسجدُ
الرسول عليه السلام .

١١ — حدثنا عفان قال : حدثنا وُهَيب قال : حدثنا داود بن أبى هند ،
عن سعيد بن المسيِّب قال : المسجد الذى أسس على التقوى مسجد المدينة الأعظم .

١٢ — حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون السمين قال : حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ،
عن أبيه قال: هو مسجدُ الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعنى الذى أُسِّس على التقوى .

١٤ — قالوا : وقد وُسِّع مسجدُ قُباء بعدُ وزيد فيه . وكان عبد الله بن عمر إذا
دخله صلى إلى الاصطوانة المُخَلَّقة ، وكان ذلك مصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٥ — قالوا : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُباء يوم الاثنين والثلاثاء
والأربعاء والخميس ، وركب منها يوم الجمعة يريد المدينة . فجمع فى مسجد كان بنو
سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بنوه ، وكانت تلك أول جُمعة جمع فيها .

ثم مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنازل الأنصار منزلاً منزلاً ، وكلهم يسأله النزول
عليه ، حتى إذا انتهى إلى موضع مسجده بالمدينة بركت ناقتُه فنزل عنها ، وجاء أبو
أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار

ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج فأخذ رحله، فنزل صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب. وأراده قوم من الخزرج على النزول عندهم فقال: المرء مع رحله. فكان مقامه فى منزل أبى أيوب سبعة أشهر. ونزل عليه تمام الصلاة بعد مقدمه بشهر، ووهبت الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل فضل كان فى خططها، وقالوا: يا نبيّ الله! (ص٥) إنْ شئت فخذ منازلنا. فقال لهم خيراً.

١٦ — قالوا: وكان أبو أمامة أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار نقيب النقباء يُجَمِّعُ بمن يليه من المسلمين فى مسجد له، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه. ثم إنه سأل أسعد أن يبيعه أرضا متّصلة بذلك المسجد كانت فى يده ليتيمين فى حجره يقال لهما سهل وسهيل ابنا رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم، فعرض عليهم أن يأخذها ويغرم عنه لليتيمين ثمنها، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وابتاعها منه بعشرة دنانير أدّاها من مال أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

ثم إن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أمر باتّخاذ اللبن فاتّخذ، وبُنى به المسجد، ورُفع أساسه بالحجارة، وسُقف بالجريد، وجُعلت عمُدُه جذوعاً. فلما استُخلف أبو بكر رضى الله عنه لم يُحدث فيه شيئاً، واستُخلف عمر رضى الله عنه فوسّعه وكلّم العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فى بيع داره ليزيدها فيه، فوهبها العباس لله والمسلمين فزادها عمر رضى الله عنه فى المسجد.

ثم إن عثمان بن عفان رضى الله عنه بناه فى خلافته بالحجارة والقَصّة، وجعل عمدَهُ حجارةً وسقفه بالساج، وزاد فيه، ونقل إليه الحصباء من العقيق. وكان أول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحكم بن أمية بناها بحجارة منقوشة، ثم لم يحدث فيه شيء إلى أن وُلى الوليدُ بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز، وهو عامله على المدينة، يأمره بهدم المسجد و بنائه،

(ص ٦) و بعث إليه بمالٍ وفُسَيْفساء ورخام وثمانين صانعاً من الروم والقبط من أهل الشام ومصر . فبناه وزاد فيه ، وولّى القيام بأمره والنفقة عليه صالح بن كيسان مولى سُعْدى مولاة آل مُعَيْقيب بن أبي فاطمة الدَّوسى ، وذلك فى سنة سبع وثمانين ، ويقال فى سنة ثمان وثمانين . ثم لم يحدث فيه أحد من الخلفاء شيئاً حتى استخلف المهدى أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

١٧ — قال الواقدى : بعث المهدى عبدَ الملك بن شبيب الغسّانى ورجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة لبنـاء مسجدها والزيادة فيه ، وعليها يومئذ جعفر بن سليمان بن على ، فمكثا فى عمله سنة ، وزادا فى مؤخره مئة ذراع ، فصار طوله ثلاث مئة ذراع وعرضه مائتى ذراع .

١٨ — وقال على بن محمد المدائنى : ولّى المهدى أمير المؤمنين جعفرَ بن سليمان مكة والمدينة واليمامة ، فزاد فى مسجد مكة ومسجد المدينة . فتم بناء مسجد المدينة فى سنة اثنتين وستين ومئة ، وكان المهدى أتى المدينة فى سنة ستين قبل الحج ، فأمر بقلع المقصورة وتسويتها مع المسجد . ولمـا كانت سنة ست وأربعين ومائتين أمر أمير المؤمنين جعفرُ المتوكل على الله رحمه الله بمرمّـةِ مسجدِ المدينة ، فحمل إليه فسيفساء كثير ، وفُرغ منه فى سنة سبع وأربعين ومائتين .

١٩ — حدثنى عمر بن حماد بن أبى حنيفة قال : حدثنا مالك بن أنس قال : حدثنا هشام ابن عروة عن أبيه ،

عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يفتح من مصر أو مدينة عنوة ، فإن المدينة فتحت بالقرآن .

٢٠ — حدثنا شيبان بن أبى شيبة الأبلىّ قال : حدثنا أبو الأشهب قال :

أخبرنا الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنّ لـكل نبىٍ حرماً وإنى

حرّمتُ المدينة كما حرّم إبراهيم عليه السلام مكة ما بين (ص٧) حرّتيها ، لا يُختَلَىٰ خلاها ولا يعضد شجرها ولا يحمل فيها السلاح لقتال . فمن أحدث حدثاً أو آوى مُحْدِثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صَرف ولا عدل .

٢١ — وحدثنى روح بن عبد المؤمن البصرى المقرى قال : حدثنا أبو عوانه عن عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه ،

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إن إبراهيم عبدك ورسولك وأنا عبدك ورسولك ، وإنى قد حرّمْتُ ما بين لا بتيْها كما حرم إبراهيم مكة . فكان أبو هريرة يقول : والذى نفسى بيده لو أجد الظباء ببَطِحان ما عانيتها .

٢٢ — وحدثنا شيبان بن أبى شيبة قال : حدثنا القاسم بن الفضل الحدّانى عن محمد بن زياد ،

عن جده ، وكان مولى عثمان بن مظعون وكانت فى يده أرض لآل مظعون بالحرة ، قال : كان عمر بن الخطاب ربما أتانى نصفَ النهار واضعاً ثوبه على رأسه ، فيجلس إلىّ ويتحدث عندى ، فأجيئه من القِثّاء والبقل . فقال لى يوما : لا تبرح ، فقد استعملتك على ما هاهنا ، ولا تدعنّ أحداً يخبط شجرة ولا يعضدها ، يعنى من شجر المدينة ، فإن وجدتَ أحداً يفعلُ ذلك فخذ حبله وفأسه . قال قلتُ : آخذُ ثوبه ؟ قال : لا .

٣٢ — وحدثنى أبو مسعود بن القتات قال : حدثنا ابن أبى يحيى المدنى عن جعفر بن محمد ،

عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَرَّم من الشجر ما بين أُحُدٍ إلى عَيْر ، وأذن لصاحب الناضح فى الغضا ، وما يُصلح به محارثه وعَرَبَه .

٢٤ — حدثني بكر بن الهيثم : قال حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن هشام ابن سعد عن زيد بن أسلم ،

عن أبيه قال : سمعتُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لرجلٍ استعمله على حِمى الرَّبَذَة نسى بكر اسمه (ص٨) : اضمُم جناحك عن كل مسلم، واتّقِ دعوةَ المظلوم فإنّها مُجابة ، وأدخل ربّ الصُّريمة والغُنيمة ، ودعنى من نعم ابن عفان وابن عوف ، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى زرع، وإنّ هذا البائس إن تهلك ماشيتُه يجىء فيصرخ يا أمير المؤمنين ! يا أمير المؤمنين ، فالكلاء أهون على المسلمين من غرم المال ذهبه وورِقه . والله إنّها لأرضُهم قاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها فى الإسلام ، وإنهم ليرون أنى أظلمهم ، ولولا النعم التى تُحمل عليها فى سبيل الله ما حميتُ عن الناس من بلادهم شيئاً أبدا .

٢٥ — حدثنا القاسم بن سلام أبو عبيد قال: حدثنا ابن أبى مريم عن العمرى عن نافع ،

عن ابن عمر قال : حمىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم النقيع لخيل المسلمين . قال لى أبو عبيد : بالنون . وقال : النقيع فيه قاع ذرَق وهو الحندقوق .

٢٦ — وحدثنى مصعب بن عبد الله الزبيرى عن أبيه عن ابن الدَّرَاوَرْدى عن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه ،

عن سعد بن أبى وقاص أنّه وجد غلاماً يقطع الحِمى ، فضربه وسلبه فأسه . فدخلت مولاته أو امرأة من أهله على عمر رضى الله عنه فشكت إليه سعداً ، فقال عمر : رُدَّ الفأس والثياب أبا إسحاق رحمك الله . فأبى وقال : لا أعطى غنيمة غنَّمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . سمعته يقول : من وجدتموه يقطع الحِمى فاضربوه واسلبوه . فاتخذَ من الفأس مِسحاةً فلم يزل يعمل بها فى أرضه حتى توفى .

٢٧ — وحدثنا أبو الحسن المدائنى ،

عن ابن جُعْدُبَة وأبى معشر قالا : لما كان النبى صلى الله عليه وسلم بظُرَيْب — التأويلُ مقدمَه من غزوة ذى قَرْد — قالت له بنو حارثة من الأنصار : يا رسول الله ! ها هنا مسارح إبلنا ومرعى غنمنا ومخرج نسائنا ، يعنون موضع الغابة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قطع شجرة فليغرس مكانها ودِيَّة . فغُرِست الغابة .

٢٨ — وحدثنى عبدُ الأعلى بن حماد النرسى (ص ٩) قال : حدثنا حماد بن سلمة قال : أخبرنا محمد بن إسحاق عن أبى مالك بن ثعلبة ،

عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى وادى مَهْزور أن يُحبس الماء فى الأرض إلى الكعبين فإذا بلغ الكعبين أُرسل إلى الأخرى ، لا يمنع الأعلى الأسفل .

٢٩ — وحدثنا اسحاق بن أبى إسرائيل قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد .

عن عبد الرحمن بن الحارث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى سيل مَهْزُور أنّ الأعلى يمسك على مَنْ أسفل منه حتى يبلغ الكعبين ثم يرسله على مَن أسفل منه .

٣٠ — وحدثنى عمر بن أبى حنيفة قال : حدثنا مالك بن أنس عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ،

عن أبيه قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سيل مَهْزور ومُذَيْنِب أن يحبس الماء حتى يبلغ الكعبين ثم يرسل الأعلى إلى الأسفل .

قال مالك : وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سيل بَطِحان بمثل ذلك .

٣١ — وحدثني الحسين بن الأسود العِجْلي قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا يزيد ابن عبد العزيز عن محمد بن اسحاق قال: حدثنا أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك،

عن أبيه قال: اختُصِم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مَهْزور وادى بنى قُرَيْظَة، فقضى أنّ الماء إلى الكعبين لا يحبسه الأعلى على الأسفل.

٣٢ — وحدثنى الحسين قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا حفص بن غياث عن جعفر ابن محمد،

عن أبيه قال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سيل مَهزور أنّ لأهل النخل إلى العقبين، ولأهل الزرع إلى الشِراكين، ثم يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم.

٣٣ — وحدثني حفص بن عمر الدُّورى قال: حدثنا عباد بن عبّاد (ص ١٠) قال: حدثنا هشام بن عروة،

عن عروة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بَطِحان على ترعة من ترع الجنة.

٣٤ — وحدثنى على بن محمد المدائنى أبو الحسن،

عن ابن جُعْدَبة وغيره قالوا: أشرفت المدينة على الغرق فى خلافة عثمان من سيل مَهْزور حتى اتخذ له عثمان ردماً.

٣٥ — قال أبو الحسن: وجاء أيضاً بماء مخوف عظيم فى سنة ست وخمسين ومئة فبعث إليه عبدُ الصمد بن على بن عبدالله العباس، وهو الأمير يومئذ، عبيدَ الله بن أبي سلمة العمرى، فخرج وخرج الناس بعد صلاة العصر وقد ملأ السيل صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدلّتهم عجوز من أهل العالية على موضع كانت تسمع الناس يذكرونه، فحفروه فوجد الماء منسرباً، فغاص منه إلى وادى بَطِحان.

قال: ومن مَهزور إلى مُذَيْنب شعبة يصبّ فيها.

٣٦ — حدثنى محمد بن أبان الواسطى قال : حدثنا أبو هلال الراسبى قال :

حدثنا الحسن قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأهلها وسماها طَيْبَة .

٣٧ — وحدثنى أبو عمر حفص بن عمر الدُّورى قال : حدثنا عباد بن عباد عن هشام بن عروة عن أبيه ،

عن عائشة أم المؤمنين قالت : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مرض المسلمون بها ، فكان ممن اشتد به مرضه أبو بكر و بلال وعامر ابن فُهَيْرة فكان أبو بكر رضى الله عنه يقول فى مرضه :

كلُّ امرىءٍ مُصبَّحٌ فى أهلِه والموتُ أدنى من شراكِ نَعْلِه

وكان بلال رضى الله عنه يقول :

ألا ليت شِعْرى هل ابيتنّ ليلةً بفَخٍ وحولى أَذْخِرٌ وجليلُ
وهل أرِدَنْ يوماً مياهَ مَجَنّةٍ وهل يَبْدُوَنْ لى شامةٌ وطَفيلُ

وكان عامر بن فُهَيْرة يقول : (ص ١١)

لقد وجدتُ الموت قبل ذَوْقِهِ إنّ الجبانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ
[كلُّ امرىءٍ مجاهِدٌ بِطَوْقِهِ] كالثَّوْرِ يَحْمى جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ

قال : فأُخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : اللهم طيّب لنا المدينة كما طيّبتَ لنا مكة ، وبارك لنا فى مُدِّها وصاعها .

٣٨ — حدثنا الوليد بن صالح قال : حدثنا الواقدى عن محمد بن عبد الله عن الزهرى ،

عن عروة أنّ رجلاً من الأنصار خاصم الزبير بن العوّام فى أشراج الحرّة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسقِ يا زبير ثم أرسلْ إلى جارك .

٣٩ — وأخبرني علي الأثرم ،

عن أبي عبيدة قال : الأشراج مسايل الماء فى الحِرار ، والحرّة أرض مفروشة بصخر . قال : وقال الأصمعى : مسايل من الحرار إلى السهولة .

٤٠ — حدثنى الحسين بن على بن الأسود العجلى قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا يزيد ابن عبد العزيز حدثنا هشام بن عروة .

عن أبيه قال : أقطع عمر رضى الله عنه العقيق حتى انتهى إلى أرض فقال : ما أقطعت مثلها . قال خَوّات بن جُبَيْر : أقطِعنيها . فأقطعه إياها .

٤١ — وحدثنى الحسين قال : حدثنا يحيى بن آدم عن يزيد بن عبد العزيز عن هشام بن عروة ،

عن أبيه قال : أقطَع عمر العقيق ما بين أعلاه إلى أسفله .

٤٢ — وحدثنى الحسين قال : حدثنا حفص بن غياث ،

عن هشام بن عروة قال : خرج عمر يُقطع الناس وخرج معه الزبير ، فجعل عمر يُقطع حتى مرّ بالعقيق فقال : أين المستقطعون ؟ مذ اليوم ما مَرَرْتُ بقطعة أجود منها . فقال الزبير : أقطِعنيها . فأقطعه إياها .

٤٣ — وحدثنى الحسين قال : حدثنى يحيى بن آدم قال : حدثنا أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة ،

عن أبيه قال : أقطع عمر العقيق كله حتى انتهى إلى قطيعة خوّات بن جُبير الأنصارى فقال : أين المستقطعون ؟ ما أقطَعت اليوم أجود من هذه .

٤٤ — وحدثنا خلف (ص ١٢) بن هشام البزّار قال : حدثنا أبو بكر بن عياش قال : حدثنا هشام بن عروة ،

عن أبيه قال : أقطع عمر بن الخطاب خَوّات بن جُبير الأنصارى أرضاً مواتاً فاشتريناها منه .

٤٥ — حدثنى الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم عن أبى بكر بن عياش عن هشام عن أبيه بمثله .

٤٦ — وحدثنى الحسين قال : حدثنى يحيى بن آدم حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة، عن عروة قال : أقطع أبو بكر الزبير ما بين الجُرْف إلى قناة .

٤٧ — وأخبرنى أبو الحسن المدائنى قال: قناة وادٍ يأتى من الطائف ويصبّ إلى الأرْحضِيّة وقَرْقَرَة الكُدْر ، ثم يأتى سدّ معونة ، ثم يمرّ على طرف القَدوم، ويصبّ فى أصل قبور الشهداء بأُحُد .

٤٨ — وحدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا اسحاق بن عيسى عن مالك بن أنس عن ربيعة ،

عن قوم من علمائهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث المزنى معادن بناحية الفُرُع .

٤٩ — وحدثنى عمرو الناقد وابن سهم الأنطاكى قالا : حدثنا الهيثم بن جميل الأنطاكى قال : حدثنا حماد بن سلمة عن أبى مكين ،

عن أبى عِكْرمة مولى بلال بن الحارث المزنى قال : أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً أرضاً فيها جبل ومعدن . فباع بنو بلال عمرَ بن عبد العزيز أرضاً منها ، فظهر فيها معدن أو قال معدنان ، فقالوا : إنما بعناك أرض حرث ولم نبعك المعادن . وجاؤا بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم لهم فى جريدة، فقبّلها عمر ومسح بها عينه وقال لقيّمه : أنظر ما خرج منها وما أنفقت وقاصّهم بالنفقة وردّ عليهم الفضل .

٥٠ — وحدثنا أبو عبيد قال : حدثنا نعيم بن حماد عن عبد العزيز بن محمد عن ربيعة بن ابى عبد الرحمن عن الحارث بن بلال بن الحارث المزنى ،

عن أبيه بلال بن الحارث أن النبى صلى الله عليه وسلم أقطعه العقيق أجمع .

٥١ — وحدثني مصعب الزبيري قال :

قال مالك بن أنس : أقطَع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث معادن بناحية (ص١٣) الفُرُع لا اختلاف فى ذلك بين علمائنا ، ولا أعلم بين أحد من أصحابنا خلافاً أن فى المعدن الزكاة ربع العشر .

قال مصعب : ورُوى عن الزهرى أنه كان يقول فى المعادن الزكاة . ورُوى عنه أيضاً قال فيها الخمس مثل قول أهل العراق . وهم يأخذون اليوم من معادن الفُرُع ونجران وذى المروة ووادى القرى وغيرها الخمس ، على قول سفيان الثورى وأبى حنيفة وأبى يوسف وأهل العراق .

٥٢ — وحدثنى الحسين بن الأسود قال: حدثنا وكيع بن الجراح قال : حدثنا الحسن بن صالح بن حىّ ،

عن جعفر بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع علياً رضى الله عنه أربع أرضين الفُقَيرين و بئر قيس والشجرة .

٥٣ — وحدثنى الحسين عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن جعفر بن محمد مثله .

٥٤ — وحدثنى عمرو بن محمد الناقد قال: حدثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد ،

عن أبيه أنه قال: أقطع عمر بن الخطاب علياً رضى الله عنهما ينُبع فأضاف إليها غيرها.

٥٥ — وحدثنى الحسين عن يحيى بن آدم عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه بمثله .

٥٦ — وحدثنى من أثق به ،

عن مصعب بن عبد الله الزبيرى أنه قال : نسبت بئر عروة بن الزبير إلى عروة بن الزبير .

ونُسب حوضُ عمرو إلى عمرو بن الزبير .

ونسب خليج بنات نائلة إلى ولد نائلة بنت الفَرافِصَة الكلبيّة امرأة عثمان

ابن عفان . وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اتخذ هذا الخليج وساقه إلى أرض استخرجها واعتملها بالعرصة .

وأرض أبى هريرة نسبت إلى أبى هريرة الدوسى .

والصَّهوة صدقة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى جبل جُهينة .

وقصر نفيس ينسب فيما يقال إلى نفيس التاجر بن محمد بن زيد بن عبيد بن المعلىّ بن لَوْذان بن حارثة بن زيد من الخزرج ،وهم حلفاء بنى زُريق بن عبد حارثة من الخزرج، وهذا القصر بحرّة واقم بالمدينة (ص١٤)واستشهد عبيد بن المعلىّ يوم أُحُد . قال : ويقال إنه نفيس بن محمد بن زيد بن عبيد بن مرّة مولى المعلى، فإن عُبَيْداً هذا وأباه من سبي عين التمر ،ومات عبيد بن مرّة أيام الحرة ،وكان يكنى أبا عبدالله.

قال : و بئر عائشة نسبت إلى عائشة بن نُمَيْر بن واقف ، وعائشة رجل وهو من الأوس .

و بئر المطلب على طريق العراق نسبت إلى المطلب بن عبد الله بن حَنْطَب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم . و بئر ابن المرتفع نسبت إلى محمد بن المرتفع بن النضير العبدرى.

٥٧ — حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن عبد الله بن جعفر عن شريك بن عبد الله عن أبى نمر الليثى ،

عن عطاء بن يسار ، مولى ميمونه بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْر الهلالية ، قال : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ السوق بالمدينة قال : هـذا سوقـكم لا خراج عليكم فيه .

٥٨ — وحدثنى العباس بن هشام الكلبي عن أبيه ،

عن جده محمد بن السائب وشَرقى بن القُطامى الكلبى قالا : لما هـدم بُخْتَنَصَّر بيت المقدس وأجلى من أجْلى ، وسبى من سبي من بنى اسرائيل ، لحق قوم منهم بناحية الحجاز فنزلوا وادى القرى وتَيْماء ويَثرِب ، وكان بيثرب قوم من

جُرْهُم وبقية من العماليق قد اتخذوا النخل والزرع ، فأقاموا معهم وخالطوهم ، فلم يزالوا يكثرون وتقل جُرْهُم والعماليق حتى نفوهم عن يثرب واستولوا عليها وصارت عمارتها ومراعيها لهم ، فمكثوا على ذلك ماشاء الله ، ثم إن من كان باليمن من ولد سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان بغوا وطغوا وكفروا نعمة ربهم فيما آتاهم من الخصب ورفاغة العيش ، فخلق الله جرذانًا جعلت تنقب سُدًّا كان لهم بين جبلين فيه أنابيبُ يفتحونها إذا شاؤا فيأتيهم الماء منها على قدر حاجتهم وإرادتهم. والسُدُّ العَرِم ، فلم تزل تلك الجرذان تعمل(ص١٥)فى ذلك العَرِم، حتى خرقته .فأغرق الله تعالى جنانهم وذهب بأشجارهم وأبدلهم خمطًا و إثلاً وشيئًا من سدر قليلاً .فلما رأى ذلك مُزيقيا — وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس ابن مازن بن الأزد بن غوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان — باع كل شىء له من عقار وماشية وغير ذلك ودعا الأزد حتى صاروا معه إلى بلاد عَكّ فأقاموا بها . وقال عمرو : الانتجاع قبل العلم عجز . فلما رأت عكّ غلبة الأزد على أجود مواضعهم غمها ذلك . فقالت للأزد : انتقلوا عنا . فقام رجل من الأزد أعور أصم يقال له جِذْع فوثب بطائفة منهم فقتلهم ، ونشبت الحرب بين الأزد وعكّ ، فانهزمت الأزد ثم كرّت ، فقال جِذْع فى ذلك :

نحن بنو مازن غَيْرَ شَكّ غَسَّانُ غَسَّانَ وعَكٌّ عَكّ
سيعلمون أيُّنا أرَكّ

وكانت الأزد نزلت بماء يقال له غسّان فسُمّوا بذلك . ثم إن الأزد سارت حتى انتهت إلى بلاد حَكَم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فقاتلوهم فظهرت الأزد على حَكَم ، ثم إنه بدا لهم الإنتقال عن بلادهم فانتقلوا ، و بقيت طائفة منهم معهم . ثم أتوا نجران فحاربهم أهلها فنُصروا عليهم ، فأقاموا بنجران

ثم رحلوا عنها إلاّ قوماً منهم تخلّفوا بها لأسباب دعتهم إلى ذلك، فأتوا مكة وأهلُها جُرْهُم ، فنزلوا بطن مَرّ ، وسأل ثعلبة بن عمرو مُزَيْقيا جُرْهُم أن يعطوهم سهل مكة ، فأبَوْا ، فقاتلهم حتى غلب على السهل. ثم إنه والأزد استَوْبئوا مكانهم ورأوا شدّة العيش به فتفرقوا ، فأتت طائفةٌ منهم عُمان ، وطائفةٌ السَّراة ، وطائفة الأنبار والحيرة ، وطائفةٌ (ص١٦) الشام ، وأقامت طائفة منهم بمكة . فقال جِذْع: أكلّما صرتم يا معاشر الأزد إلى ناحية انخزعت منكم جماعة ؟ يوشك أن تكونوا أذناباً في العرب . فسُمّي من أقام بمكة خُزاعة . وأتى ثعلبة بن عمرو مُزَيْقيا وولده ومَنْ تبعه يَثْرِب وسكانُها اليهودُ فأقاموا بها خارج المدينة ، ثم إنهم غنوا وكثروا وعزّوا حتى أخرجوا اليهود منها ودخلوها . فنزلت اليهود خارجها ، فالأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو مُزَيْقيا بن عامر ، وأمهما قَيْلَةَ بنت الأرقم بن عمرو ، ويقال إنها غسّانية من الأزد ، ويقال إنها عُذْرِية .

وكانت للأوس والخزرج قبل الإسلام وقائع وأيام تدرّبوا فيها بالحروب واعتادوا اللقاء ، حتى شُهر بأسهم ، وعُرفت نجدتهم ، وذُكرت شجاعتهم ، وجَلّ في قلوب العرب أمرُهم ، وهابوا حدّهم ، فامتنعت حوزتهم ، وعزّ جارهم ، وذلك لما أراد الله من إعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وإكرامهم بنصرته .

٥٩ — قالوا : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كتب بينه وبين يهود يثرب كتاباً وعاهدهم عهداً . وكان أول من نقض ونكث منهم يهود بنى قَيْنُقاع ، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة . وكان أول أرض افتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بنى النَّضير .

أموال بنى النَّضير

٦٠ — قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النَّضير من يهود ، ومعه أبو بكر وعمر وأُسَيْد بن حُضَيْر . فاستعانهم فى دِيَة رجلين من بنى كلاب ابن ربيعة موادعين له كان عمرو بن أمية الضَّمْرِى قتلهما . فهمّوا بأن يلقوا عليه رحًى، فانصرف (ص١٧) عنهم وبعث إليهم يأمرهم بالجلاء عن بلده ، إذ كان منهم ما كان من الغدر والنكث . فأبوا ذلك وأذنوا بالمحاربة . فزحف إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمس عشرة ليلة ، ثم صالحوه على أن يخرجوا من بلده ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة والآلة ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أرضهم ونخلهم والحلقة وسائر السلاح ، والحلقة الدروع . فكانت أموال بنى النَّضير خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يزرع تحت النخل فى أرضهم فيدّخل من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ، وما فضل جعله فى الكراع والسلاح . وأقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرض بنى النَّضير أبا بكر وعبد الرحمن بن عوف وأبا دُجَانة سِماك بن خَرَشَة الساعدىّ وغيرهم . وكان أمر بنى النَّضير فى سنة أربع من الهجرة .

٦١ — قال الواقدى : وكان مُخَيْريق أحد بنى النَّضير حبراً عالماً ، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل ماله له ، وهو سبعة حوائط . فجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة . وهى الميثَب والصافيةُ والدِّلال وحُسْنَى وبَرْقَة والأعواف ومَشْرَبَة أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى مارية القبطية .

٦٢ — حدثنا القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : أخبرنا الليث بن سعد عن عقيل ،

عن الزهرى ، أن وقيعة بنى النضير من يهود كانت على ستة أشهر من يوم

أُحُد ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أنّ لهم ما أقلّت الإبل من الأمتعة إلا الحلقة ، فأنزل الله فيهم ﴿ سَبَّحَ لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم . هو الذى أخرجَ الذين كَفَروا من أهْلِ الكتاب ، إلى قوله : وليُخزى الفاسقين[1] ﴾ .

٦٣ — وحدثنا الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحي بن آدم عن أبي زائدة ،

عن محمد بن اسحاق في قوله ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم[2] ﴾ قال : من بني النَّضير ﴿ فما أو جفتم عليه من خَيْلٍ ولا رِكابٍ ، ولكنّ الله يسلِّطُ رسلَه على من يشاء ﴾[3] قال : أعلمهم أنها لرسول (ص١٨) الله صلى الله عليه وسلم خالصة دون الناس . فقسمها رسول الله صلى عليه وسلم في المهاجرين ، إلا أنّ سهلَ بن حُنَيْف وأبا دُجانة ذكرا فقراً فأعطاهما . قال : وأما قوله ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهْلِ القرى فلله وللرسول ﴾[4] إلى آخر الآية قال : هذا قسم آخر بين المسلمين على ما وصفه الله .

٦٤ — وحدثني محمد بن حاتم السمين قال : حدثنا الحجاج بن محمد عن ابن جُريج عن موسى ابن عقبة عن نافع ،

عن ابن عمر قال : أحرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النَّضير وقطع . وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

لهان على سَرَاةِ بني لُؤَيّ ... حريقٌ بالبُوَيْرَةِ مستطيرُ

قال ابن جُرَيْج : وفي ذلك نزلت ﴿ ما قطعتم من لِينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين ﴾[5] اللينة النخلة .

(١) السورة ٥٩ ، الآية ١ وما بعدها .
(٢) السورة ٥٩ ، الآية ٦
(٣) السورة ٥٩ ، تتمة الآية ٦
(٤) السورة ٥٩ ، الآية ٧
(٥) السورة ٥٩ ، الآية

٦٥ — وحدثنا أبو عبيد قال : حدثنا حجاج عن ابن جريج عن موسى عن نافع عن ابن عمر بمثله .

٦٦ — وقال أبو عمرو الشيبانى الراوية وغيره من الرواة : إن هذا الشعر لأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وإنما هو :

لعزّ على سَرَاة بنى لؤىٍّ حريقٌ بالبويرة مُستطيرُ

ويروى بالبُويلة . فأجابه حسان بن ثابت فقال :

أدامَ الله ذالكمُ حريقاً وضُرِّمَ فى طوائفها السعيرُ

همُ أوتوا الكتاب فضيّعوه فهم عُمْىٌ عن التوراة بُورُ

٦٧ — وحدثنى عمرو بن محمد الناقد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن معمر عن الزهرى ،

عن مالك بن أوس بن الحدَثَان قال : قال عمر بن الخطاب : كانت أموال بنى النَّضير مما أفاءَ الله على رسوله ، ولم يوجف المسلمون عليه (ص ١٩) بخيل ولا رِكاب ، فكانت له خالصةً ، فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ، وما بقى جعله فى الكراع عِدَّة فى سبيل الله .

٦٨ — حدثنا هشام بن عمار الدمشقى قال : حدثنا حاتم بن اسماعيل قال : حدثنا أسامة ابن زيد عن ابن شهاب ،

عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان أنه أخبره أن عمر بن الخطاب قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا : مالُ بنى النَّضير وخَيْبَرَ وفَدَك . فأما أموال بنى النَّضير فكانت حبساً لنوائبه ، وأما فَدَك فكانت لأبناء السبيل ، وأما خَيْبَرَ فجزّأها ثلاثة أجزاء : فقسم جزئين منها بين المسلمين ، وحبس جزءاً لنفسه ونفقة أهله ، فما فضل من نفقتهم ردّه إلى فقراء المهاجرين .

٦٩ — وحدثنا الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيي بن آدم قال : حدثنا سفيان ،

عن الزهرى قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله ، ولم يوجف المسلمون عليه بخَيلٍ ولا رِكاب . فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصةً فقسمها بين المهاجرين ، ولم يعط أحداً من الأنصار منها شيئاً إلاّ رجلين كانا فقيرين : سِماك بن خَرَشَةَ أبا دُجانة وسهل بن حُنَيْف .

٧٠ — وحدثنا الحسين قال : حدثنا يحيي بن آدم قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ،

عن الكلبي قال : لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أموال بنى النَّضير ، وكانوا أول من أجلى ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾[1] والحشر الجلاء ، فكانت مما لم يوجف المسلمون عليه بخَيلٍ ولا رِكاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار : ليست لإخوانكم من المهاجرين أموال ، فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً ، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة . فقالوا : بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت . فنزلت ﴿ ويُؤْثرون على أنفُسِهم ولو كان بهم خصاصة ﴾[2] فقال أبو بكر : جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً ، فو الله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغَنَوىّ :(ص٢٠)

جزى الله عنا جعفراً حين أزْلقَتْ   بنا نعلُنا فى الوطئتين فزلَّتِ
أبَوْا أن يَمَلّونا ولو أنَّ أمّنا   تُلاقى الذى يَلقَوْن منا لملَّتِ
فذو المالِ موفورٌ وكلٌ مُعَصَّبٌ   إلى حُجُراتٍ أدْفَأت وأظَلَّتِ

٧١ — وحدثنا الحسين قال : حدثنا يحيي بن آدم قال : أخبرنا قيس بن الربيع عن هشام بن عروة ،

عن أبيه قال : أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوّام أرضاً من أرض بنى النَّضير ذات نخل .

(١) السورة ٥٩ ، الآية ٢   (٢) السورة ٥٩ ، الآية ٩

٧٢ — وحدثنا الحسين قال : حدثنا يحي قال : حدثنا يزيد بن عبد العزيز عن هشام
ابن عروة ،

عن أبيه قال : أقطَع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النَّضير
وأقطَع الزبير .

٧٣ — وحدثنى محمد بن سعد كاتب الواقدى قال : حدثنا أنس بن عياض وعبد الله
ابن نمير قالا : حدثنا هشام بن عروة ،

عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم أقطَع الزبير أرضاً من أموال بنى النَّضير
فيها نخل ، وأن أبا بكر أقطَع الزبير الجُرْف . قال أنس فى حديثه : أرضاً مواتاً .
وقال عبد الله بن نُمَيْر فى حديثه : وإن عمر أقطَع الزبير العقيق أجمع .

أموال بنى قُرَيْظَة

٧٤ — قالوا : حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قُرَيْظَة لليالٍ من ذى القعدة وليالٍ من ذى الحجة سنة خمسٍ ، فكان حصارهم خمس عشرة ليلة . وكانوا ممن أعان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق ، وهى غزوة الأحزاب ، ثم إنهم نزلوا على حكمه فحكم فيهم سعد بن مُعاذ الأوسى ، فحكم بقتل من جرت عليه المواسى ، و بسبى النساء والذرية ، وأن يُقسم ما لهم بين المسلمين . فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقال: لقد حكمتَ بحكم الله ورسوله .

٧٥ — حدثنى عبد الواحد بن غياث (ص ٢١) قال : حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة ، عن أبيه ،

عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الأحزاب دخل مغتسلاً ليغتسل ، فجاءه جبريل فقال : يا محمد ! قد وضعتم أسلحتكم وما وضعنا أسلحتنا بعد . انهدْ إلى بنى قُرَيْظَة . فقالت عائشة : يا رسول الله ! لقد رأيته من خلل الباب وقد عصب التراب رأسه .

٧٦ — حدثنى عبد الواحد بن غياث قال : حدثنا حماد بن سلمة عن أبى جعفر الخطمى عن عمارة بن خزيمة ،

عن كثير بن السائب أن بنى قُرَيْظَة عُرِضوا على النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن كان منهم محتلماً أو قد نبتت عانته قُتل ، ومن لم يكن احتلم ولا نبتتْ عانته تُرك .

٧٧ — وحدثنى وهب بن بقية قال : حدثنا يزيد بن هارون عن هشام ،

عن الحسن قال : عاهد حُيىّ بن أخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يظاهر عليه أحداً وجعل الله عليه كفيلاً . فلما أتى به رسول الله

صلى الله عليه وسلم يوم قُرَيْظَة وبابنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أوفى الكفيل . ثم أمر به فضُربت عنقه وعنق ابنه .

٧٨ — حدثنى بكر بن الهيثم قال : حدثنا عبد الرزاق ،

عن معمر قال : سألت الزهريّ هل كانت لبنى قُرَيْظَة أرض؟ فقال سديداً: قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين على السهام .

٧٩ — وحدثنى الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم عن أبى بكر بن عياش عن الكلبى عن أبى صالح ،

عن ابن عباس قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بنى قُرَيْظَة وخيبر بين المسلمين .

٨٠ — حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث عن الليث بن سعد عن عقيل ،

عن الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر بنى قُرَيْظَة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ . فقضى بأن تُقتل رجالهم وتُسبى ذراريهم وتُقسم أموالهم . فقتل منهم يومئذ كذا وكذا رجلا . (ص ٢٢)

٨١ — قالوا : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فى سنة سبعٍ ، فطاوله أهلها وماكثوه ، وقاتلوا المسلمين ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من شهر ، ثم إنهم صالحوه على حقن دمائهم وترك الذرية على أن يجلوا ويخلوا بين المسلمين و بين الأرض والصفراء والبيضاء والبِزّة ، إلا ما كان منها على الأجساد ، وأن لا يكتموه شيئاً . ثم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ لنا بالعمارة والقيام على النخل علماً فأقِرّنا . فأقرّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاملهم على الشطر من الثمر والحب ، وقال : أُقرّكم ما أقرّكم الله . فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ظهر فيهم الوباء وتعبثوا بالمسلمين ، فأجلاهم عمر ، وقسم خيبر بين مَنْ كان له فيها سهم من المسلمين .

٨٢ — حدثنى الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا زياد بن عبد الله ابن طفيل ،

عن محمد بن إسحاق قال : سألت ابن شهاب عن خَيْبر فأخبرنى أنه بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتحها عنوةً بعد القتال ، وكانت مما أفآء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فخمّسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَسَمَها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المعاملة ففعلوا .

٨٣ — وحدثنى عبد الأعلى بن حماد النرسى قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عبيد بن عمر عن نافع ،

عن ابن عمر قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر فقاتلهم حتى ألجأهم إلى قصرهم وغلبهم على الأرض والنخل ، وصالحهم على أن يحقن

دماءهم ويجلوا ، ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء والحلقة . واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيّبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد . فغيّبوا مَسْكاً فيه مال وحلى لحُيَيّ بن أخْطَب ، وكان احتمله معه إلى خَيْبَر حين (ص٢٣) أجليت بنو النَّضير . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِسَعْيَةَ بن عمرو : ما فعل مَسْكُ حُيَيّ الذى جاء به من قبل بنى النَّضير ؟ قال: أذهبته الحروب والنفقات . قال : العهدُ قريب والمال كثير . وقد كان حُيَيّ قُتِل قبل ذلك . فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سَعْيَة إلى الزبير فمسّه بعذاب ، فقال : رأيت حُيَيًّا يطوف فى خربة ها هنا . فذهبوا إلى الخربة ففتشوها فوجدوا المَسْكَ . فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنىْ أبى الحُقَيْق، وأحدُهما زوج صَفِيّة بنت حُيَيّ بن أخطب ، وسبى نساءهم وذراريهم ، وقسم أموالهم للنكث الذى نكثوا . فأراد أن يجليهم عنها فقالوا : دعنا نكن فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها . ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه غلمان يقومون بها ، وكانوا لا يفرغون للقيام عليها بأنفسهم ، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، على أنّ لهم الشطر من كل زرع ونخل وشىء ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان عبد الله بن رواحة يأتيهم فى كل عام فيخرصها عليهم ثم يضمّنهم الشطر . فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه فقال : يا أعداء الله ! أتطعموننى السحت ؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلىّ وإنكم لأبغض إلىّ من عدتكم من القرود والخنازير ، ولن يحملنى بغضى لكم وحبى إياه على أن لا أعدل عليكم . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

قال : ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صفية بنت حُيَيّ خضرة . فقال : يا صفية ! ما هذه الخضرة ؟ فقالت: كان رأسى فى حجر ابن أبى الحُقَيْق وأنا نائمة ، فرأيت كأن قمراً وقع فى حجرى . فأخبرته بذلك فلطمنى وقال : أتتمنّين

ملكَ يثرب ؟ قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس إلىّ ، قتل زوجى وأبى وأخى . فما زال يعتذر ويقول : إن أباك ألّب علىّ العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسى .

قال : وكان (ص ٢٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعطى كل امرأة من نسائه ثمانين وَسقاً من تمر كل عام وعشرين وَسقاً من شعير من خيبر .

قال نافع : فلما كان عمر بن الخطاب عاثوا فى المسلمين وغشّوهم ، وألقوا ابن عمر من فوق بيت وفدغوا يديه ، فقسمها عمر رضى الله عنه بين المسلمين ممن كان شهد خيبر من أهل الحديبيه .

٨٤ — وحدثنا الحسين بن الأسود حدثنا يحيى بن آدم عن زياد البكائى عن محمد ابن إسحاق ،

عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خَيْبَرَ فى حصنَيْهم الوطيح وسُلالم ، فلما أيقنوا بالملكة سألوه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم ففعل . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها : الشِقّ والنَّطاةَ والكتيبة ، وجميع حصونهم إلا ما كان فى هذين الحصنين .

٨٥ — حدثنا الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا عبد السلام ابن حرب عن شعبة عن الحكم ،

عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله تعالى ﴿وأثابهم فتحاً قريباً﴾[1] قال : خيبر ، ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾[2] فارس الروم .

---

(١) السورة ٤٨ ، الآية ١٨

(٢) السورة ٤٨ ، الآية ٢١

٨٦ — حدثنا عمرو الناقد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا يحيى بن سعيد ،

عن بشير بن يسار أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قسم خيبر على ستة وثلاثين سهماً ، وجعل كلّ سهم مئة سهم ، فعزل نصفها لنوائبه وما ينزل به ، وقسم النصف الباقى بين المسلمين . فكان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قسم الشِقّ والنَّطاة وما حيز معهما . وكان فيما وقف الكتيبة وسُلالم . فلما صارت الأموال فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له من العمال من يكفيه عمل الأرض ، فدفعها إلى اليهود يعملونها على نصف ما خرج منها ، فلم تزل على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، فلما كان عمر وكثر المال فى أيدى المسلمين وقووا على عمارة الأرض أجلى اليهود (ص ٢٥) إلى الشام وقسم الأموال بين المسلمين .

٨٧ — حدثنى بكر بن الهيثم قال: حدثنا عبد الرزاق عن معمر ،

عن الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر كان سهم الخمس منها الكتيبة، وكان الشِقّ والنَّطاة وسُلالم والوَطيح للمسلمين، فأقرّها فى يد يهود على الشطر ، فكان ما أخرج الله منها للمسلمين يقسم بينهم ، حتى كان عمر فقسم رقبة الأرض بينهم على سهامهم .

٨٨ — وحدثنا أبو عبيد قال : حدثنا على بن معبد عن أبى المليح ،

عن ميمون بن مهران قال : حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر ما بين عشرين ليلة إلى ثلاثين ليلة .

٨٩ — حدثنا الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحي بن آدم قال : أخبرنا حماد بن سلمة عن يحي بن سعيد ،

عن بشير بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم خيبر على ستة وثلاثين سهماً : لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سهماً لما ينوبه من الحقوق وأمْرِ الناس والوفود ، وقسم ثمانية عشر سهماً كل سهم لمئة رجل .

٩٠ — وحدثنا الحسين قال : حدثنا يحي بن آدم عن عبد السلام بن حرب ،

عن يحي بن سعيد قال : سمعت بشير بن يسار يقول : قسمت سهمان خيبر على ستة وثلاثين سهماً ، جمع كل سهم مئة سهم . فكان من ذلك للمسلمين ثمانية عشر سهماً اقتسموها بينهم ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم مثلُ سهم أحدهم ، وثمانية عشر سهماً لمن نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس والوفود وما نابه .

٩١ — حدثنا عمرو الناقد والحسين بن الأسود قالا : حدثنا وكيع بن الجراح قال : حدثنى العمري عن نافع ،

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابن رواحة إلى خيبر ، لخرص عليهم النخل ، ثم خيَّرهم أن يأخذوا أو يردّوا . فقالوا : هذا الحقّ و به قامت السموات والأرض .

٩٢ — وحدثنا اسحاق بن أبي اسرائيل قال : حدثنا الحجاج بن محمد (ص ٢٦) عن ابن جريج ،

عن رجل من أهل المدينة أن النبى صلى الله عليه وسلم صالح بنى أبي الحقَيق على أن لا يكتموا كنزاً . فكتموه فاستحلّ دماءهم .

٩٣ — حدثنا أبو عبيد قال : حدثنا عليّ بن معبد عن أبي المليح ،

عن ميمون بن مهران أن أهل خيبر أخذوا الأمان على أنفسهم وذراريهم

على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء فى الحصن . قال : وكان فى الحصن أهل بيت فيهم شدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لهم قد عرفت عداوتكم لله ولرسوله ، ولن يمنعني ذلك من أن أعطيكم ما أعطيت أصحابكم ، وقد أعطيتمونى انكم إن كتمتم شيئاً حلت لى دماؤكم . ما فعلت آنيتكم ؟ قالوا : استهلكناها فى حربنا . قال : فأمر أصحابه فأتوا المكان الذى هى فيه فاستثاروها ثم ضرب أعناقهم .

٩٤ — حدثنا عمرو الناقد ومحمد بن الصباح قالا : حدثنا هشيم قال : أخبرنا ابن أبى ليلى عن الحكم بن عتيبة عن مقسم ،

عن ابن عباس قال : دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بأرضها ونخلها إلى أهلها مقاسمة على النصف .

٩٥ — حدثنا محمد بن الصباح قال : حدثنا هشيم بن بشير قال : أخبرنا داود بن أبى هند ،

عن الشعبى قال : دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر إلى أهلها بالنصف ، وبعث عبد الله بن رواحة لخرص التمر أو قال النخل . فخرص عليهم وجعل ذلك نصفين ، فخيرهم أن يأخذوا أيهما شاؤا . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

٩٦ — وحدثنا بعض أصحاب أبى يوسف قال : حدثنا أبو يوسف عن مسلم الأعور ،

عن أنس أن عبد الله بن رواحة قال لأهل خيبر : إن شئتم خرصت وخيرتكم ، وإن شئتم خرصتم وخيرتمونى . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

٩٧ — وحدثنا القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح المصري عن ليث ابن سعد عن يونس بن يزيد ،

عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم فتح خيبر عنوة بعد قتال ، فخمّسها وقسم أربعة أخماسها بين المسلمين .

٩٨ — وحدثنا عبد (ص٢٧) الأعلى بن حماد النرسي قال : قرأت على مالك بن أنس ،

عن ابن شهاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب . ففحص عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن ذلك حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب . فأجلى يهود خيبر .

٩٩ — حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي ،

عن أشياخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم من سهمه بخيبر طعماً ، فجعل لكل امرأة من نسائه ثمانين وَسقاً من تمر وعشرين وسقاً من شعير ، وأطعم عمه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مائتي وَسق ، وأطعم أبا بكر وعمر والحسن والحسين وغيرهم ، وأطعم بني المطلب ابن عبد مناف أوساقاً معلومة وكتب لهم بذلك كتاباً ثابتا .

١٠٠ — وحدثني الوليد عن الواقدي عن أفلح بن حُميد ،

عن أبيه قال : ولّاني عمر بن عبد العزيز الكتيبة ، فكنا نعطي ورثة المطعمين ، وكانوا مُحصين عندنا .

١٠١ — وحدثنا محمد بن حاتم السمين قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد عن ليث ،

عن نافع قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أهلها بالشطر ،

فكانت فى أيديهم حياةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وصدراً من خلافة عمر ، ثم إن عبد الله بن عمر أتاهم فى حاجة فبيَّتوه ، فأخرجهم منها وقسمها بين مَنْ حضرها من المسلمين ، وجعل لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فيها نصيباً وقال : أيتكنّ شاءت أخذت الثمرة وأيتكنّ شاءت أخذت الضيعة فكانت لها ولورثتها .

١٠٢ — وحدثنى الحسين بن الأسود قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن الكلبى عن أبى صالح ،

عن ابن عباس قال : قُسمت خيبر على ألف وخمس مئة سهم وثمانين سهماً ، وكانوا ألفاً وخمس مئة وثمانين رجلاً الذين شهدوا الحُدَيْبية منهم ألف وخمس مئة وأربعون ، والذين كانوا مع جعفر بن أبى طالب بأرض الحبشة أربعون رجلا .

١٠٣ — حدثنا الحسين بن الأسود قال : حدثنى يحيى بن آدم قال : حدثنا أبو معاوية عن هشام (ص ٢٨) بن عروة ،

عن أبيه قال : أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضاً بخيبر فيها نخل وشجر .

فَـــدَك

١٠٤ — قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل فَدَك ، مُنْصَرَفَه من خيبر، مُحيِّصة بن مسعود الأنصارى يدعوهم إلى الإسلام ، ورئيسهم رجل منهم يقال له يوشع بن نون اليهودى . فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصف الأرض بتربتها . فقبل ذلك منهم . فكان نصف فَدَك خالصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركاب . وكان يصرف ما يأتيه منها إلى أبناء السبيل . ولم يزل أهلها بها إلى أن استُخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأجلى يهود الحجاز . فوجّه أبا الهيثم مالك بن التيِّهان ، ويقال التيهان ، وسهل بن أبى حَثْمَة وزيد بن ثابت الأنصاريِّيْن فقوّموا نصف تربتها بقيمة عدل ، فدفعها إلى اليهود وأجلاهم إلى الشام .

١٠٥ — حدثنا سعيد بن سليمان عن الليث بن سعد ،

عن يحيى بن سعيد أن أهل فَدَك صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصف أرضهم ونخلهم . فلما أجلاهم عمر بعث من أقام لهم حظّهم من النخل والأرض فأدّاه إليهم .

١٠٦ — حدثنى بكر بن الهيثم قال : حدثنا عبد الرزاق عن معمر ،

عن الزهرى أن عمر بن الخطاب أعطى أهل فَدَك قيمة نصف أرضهم ونخلهم .

١٠٧ — حدثنا الحسين بن الأسود قال: حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا ابن أبى زائدة عن محمد بن اسحاق ،

عن الزهرى وعبد الله بن أبى بكر و بعض ولد محمد بن مَسْلَمة قالوا : بقيت

بقيةٌ من أهلِ خَيْبَرَ تحصّنوا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسيّرهم ، فسمع بذلك أهل فَدَكَ فنزلوا على مثل ذلك ، وكانت فَدَكُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ص٢٩) خاصةً ، لأنه لم يوجف المسلمون عليها بخيلٍ ولا رِكاب .

١٠٨ — وحدثنا الحسين عن يحيى بن آدم عن زياد البكائى عن محمد بن اسحاق ،

عن عبد الله بن أبى بكر بنحوه ، وزاد فيه : وكان فى من مشى بينهم مُحيِّصة ابن مسعود .

١٠٩ — حدثنا الحسين قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنى ابراهيم بن حميد عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان ،

عن عمر رضى الله عنه قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا . فكانت أرض بنى النَّضير حبساً وكانت لنوائبه ، وجزَّأ خَيْبَرَ على ثلاثة أجزاء ، وكانت فَدَكُ لأبناء السبيل .

١١٠ — حدثنا عبد الله بن صالح العجلى قال : حدثنا صفوان بن عيسى عن أسامة ابن زيد عن ابن شهاب ،

عن عُروة بن الزبير أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألْنَه مواريثهنّ من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيْبر وفدكَ . فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله ! أما سمعتنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورّث . ما تركنا صدقةٌ . إنما هذا المال لآل محمد لنائبتهم وضيفهم ، فإذا متُّ فهو إلى والِى الأمر بعدى . قال : فأمسَكْنَ .

١١١ — حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى ، حدثنا صفوان بن عيسى الزهرى عن أسامة عن ابن شهاب عن عروة بمثله .

١١٢ — حدثنى ابراهيم بن محمد عن عرعرة عن عبد الرزاق عن معمر ،

عن الكلبي أن بنى أمية اصطفوا فَدَكَ ، وغيّروا سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فلما وُلِّى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ردّها إلى ما كانت عليـــه .

١١٣ — وحدثنا عبد الله بن ميمون المكتّب قال : أخبرنا الفضيل بن عياض عن مالك ابن جَعْوَنه ،

عن أبيه قال : قالت فاطمة لأبى بكر : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل لى فَدَكَ فاعطنى إياها . وشهد لها علىّ بن أبى طالب . فسألها شاهداً آخر ، فشهدت لها أمّ أيمن . فقال : قد علمتِ يا (ص٣٠) بنت رسول الله أنه لا تجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين . فانصرفت .

١١٤ — وحدثنى روح الكرابيسى قال : حدثنا زيد بن الحباب قال : أخبرنا خالد ابن طهمان ،

عن رجل حسبه رَوْح جعفرَ بن محمد أنّ فاطمة رضى الله عنها قالت لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : أعطنى فَدَكَ ، فقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لى . فسألها البيّنة . فجاءت بأمّ أيمن ورباح مولى النبي صلى الله عليه وسلم فشهدا لها بذلك . فقال : إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين .

١١٥ — حدثنا ابن عائشة التيمى قال : حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن السائب الكلبي عن أبى صالح باذام ،

عن أم هانى أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتت أبا بكر

الصديق رضى الله عنه فقالت له : من يرثكَ إذ متَّ ؟ قال : ولدى وأهلى . قالت : فما بالك ورثتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم دوننا ؟ فقال : يا بنت رسول الله ! والله ما ورثتُ أباك ذهباً ولا فضة ولا كذا ولا كذا . فقالت : سهمُنا بخَيْبَر وصدقتنا فدَك . فقال : يا بنت رسول ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنما هى طُعمـــة أطعمنيها الله حياتى ، فإذا متُّ فهى بين المسلمين .

١١٦ — حدثنا عثمان بن أبى شيبة قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ،

عن مغيرة أن عمر بن عبد العزيز جمع بنى أمية فقال : إن فَدَك كانت للنبى صلى الله عليه وسلم . فـكان يُنفق منها ويأكل ويعود على فقراء بنى هاشم ويزوِّج أيِّمهم . وإن فاطمة سألته أن يهبَها لها فأبى . فلما قُبض عمل أبو بكر فيها كعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وُلِّى عمر فعمل فيها بمثل ذلك . وإنى أُشهدكم أنى قد رددتُها إلى ما كانت عليه .

١١٧ — حدثنا سريج بن يونس قال : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب ،

عن الزهرى فى قول الله تعالى ﴿ فما أوْجَفْتم عليه مِنْ خَيْلٍ ولا رِكاب ﴾ (١) قال : هذه قرى عربية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فَدَك وكذا وكذا .

١١٨ — حدثنا أبو عبيد قال : (ص ٣١) حدثنا سعيد بن عُفَير ،

عن مالك بن أنس — قال أبو عبيد : لا أدرى ذكره عن الزهرى أم لا — قال : أجلى عمرُ يهودَ خيْبَر ، فخرجوا منها . فأما يهودُ فَدَك فـكان لهم نصفُ الثمرة ونصف الأرض ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صـــالحهم على

(١) السورة ٥٩ ، الآية ٦.

حقلك . فأقام لهم عمر نصف الثمرة ونصف الأرض من ذهب وورق وأقتاب ثم أجلاهم .

١١٩ — وحدثني عمرو الناقد ، قال حدثني الحجاج بن أبي منيع الرصافي عن أبيه ، عن أبي بُرقان أنّ عمر بن عبد العزيز لما وُلّي الخلافة خطب فقال : إن فدَك كانت مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب . فسألته إيّاها فاطمةُ رحمها الله تعالى فقال : ما كان لكِ أن تسأليني وما كان لي أن أعطيَك . فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل . ثم وُلّي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله صلى عليه وسلم . ثم وُلّي معاوية فأقطعها مروانَ بن الحكم ، فوهبها مروانُ لأبي ولعبدالملك فصارت لي وللوليد وسليمان . فلما وُلّي الوليد سألته حصته منها فوهبها لي ، وسألتُ سليمان حصته منها فوهبها لي ، فاستجمعتُها . وما كان لي من مال أحبّ إليّ منها ، فاشهدوا أني قد رددتُها إلى ما كانت عليه .

ولما كانت سنة عشر ومائتين أمر أمير المؤمنين المأمون عبد الله بن هارون الرشيد فدفعها إلى ولد فاطمة ، وكتب بذلك إلى قُثَم بن جعفر عامله على المدينة :

« أما بعد فإن أمير المؤمنين ، بمكانه من دين الله وخلافة رسوله صلى الله عليه وسلم والقرابة به ، أولى من استنّ سُنَّتَه ونفّذ أمره وسلّم لمن منحه مِنحة وتصدّق عليه بصدقةٍ منحتَه وصدقتَه ، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمتِه ، وإليه ، في العمل بما يقرّبه إليه ، رغبتُه . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فَدَكَ وتصدّق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا (ص٣٢) اختلاف فيه بين آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل تدّعي منه ما هو أولى به من صدّق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردّها إلى ورثتها

ويسلمها إليهم ، تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقه وعدله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ أمره وصدقته . فأمر بإثبات ذلك فى دواوينه والكتاب به إلى عماله . فلئن كان ينادى فى كل موسم — بعد أن قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم — أن يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك ، فيقبل قوله وينفذ عدته ، إن فاطمة رضى الله عنها لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها . وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبرى مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها ، ومافيها من الرقيق والغلات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، لتولية أمير المؤمنين إياهما القيامَ بها لأهلها . فأعلمْ ذلك مِن رأى أمير المؤمنين، وما ألهمه الله من طاعته ووفقه له من التقرب إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأَعلِمْه مَنْ قِبَلَكَ ، وعامِلْ محمد بن يحيى ومحمد عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبرى ، وأعِنْهُما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله والسلام .

وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذى القعدة سنة عشر ومائتين .

فلما استُخلف المتوكل على الله رحمه الله أمر بردها إلى ما كانت عليه قبل المأمون رحمه الله .

أمر وادي القرى وتَيْماء

١٢٠ — قالوا : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، منصرفه من خَيْبَر ،وادى القرى، فدعا أهلها(ص٣٣) إلى الاسلام فامتنعوا من ذلك وقاتلوا ، ففتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوةً ، وغنّمه الله أموال أهلها ، وأصاب المسلمون منهم أثاثاً ومتاعاً، فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، وترك النخل والأرض فى أيدى اليهود ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر . فقيل إنّ عمر أجلى يهودَها وقَسَمَها بين مَنْ قاتل عليها ، وقيل إنه لم يُجْلهم لأنها خارجة من الحجاز . وهى اليوم مضافة إلى عمل المدينة وأعراضها .

١٢١ — وأخبرنى عدّة من أهل العلم أنّ رِفاعة بن زيد الجذامى كان أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً يقال له مِدْعَم ، فلما كانت غزاة وادى القرى أصابه سهم غَرب ، وهو يحطّ رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : يارسول الله ! هنيئاً لغلامك أصابه سهم فاستُشهد . فقال : كلا إن الشملة التى أخذها من المغانم يوم خيبر لتشتعل عليه نارا .

١٢٢ — حدثنا شيبان بن فروخ قال : حدثنا أبو الأشهب ،

عن الحسن أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : استُشهد فتاك فلان . فقال : إنه يُجرّ إلى النار فى عباءة غلّها .

١٢٣ — وحدثنى عبد الواحد بن غياث قال :حدثنا حماد بن سلمة عن الجريرى عن عبد الله بن سفيان قال : وحدثنا حبيب بن الشهيد ،

عن الحسن أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هنيئاً لك ، استُشهد فتاك فلان . فقال : بل هو يُجَرّ إلى النار فى عباءة غلّها .

١٢٤ — قالوا : ولما بلغ أهل تَيْماء ما وطىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل وادى القرى صالحوه على الجزية ، فأقاموا ببلادهم ، وأرضوهم فى أيديهم . وولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية وادى القرى ، وولّى يزيد بن أبى سفيان بعد الفتح ، وكان إسلامه يوم فتح تَيْماء .

١٢٥ — وحدثنى عبد الأعلى بن حماد النرسى قال : حدثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن اسماعيل بن حكيم ،

عن عمر بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب (ص٣٤) أجلى أهل فَدَك وتَيْماء وَخيْبَر. قال : وكان قتالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ وادى القرى فى جمادى الأخرة سنة سبع .

١٢٦ — حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه ،

عن جده قال : أقطَع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن النعمان بن هَوْذة العذرى رمية سوطه من وادى القرى ، وكان سيد بنى عُذرة ، وهو أول أهل الحجاز قدم على النبى صلى الله عليه وسلم بصدقة بنى عُذرة .

١٢٧ — وحدثنى على بن محمد بن عبد الله ، مولى قريش ، عن العباس بن عامر ،

عن عمه قال : أتى عبد الملك بن مروان يزيد بن معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ! معاوية كان ابتاع من بعض اليهود أرضاً بوادى القرى وأحيا إليها أرضاً ، وليست لك بذلك المال عناية ، فقد ضاع وقَلَّت غلته ، فأقْطِعْنيه فإنه لا خطر له . فقال يزيد : إنّا لا نبخّل بكبير ولا نخدع عن صغير . فقال : يا أمير المؤمنين ! غلتّه كذا . قال : هو لك . فلما وُلّى قال يزيد : هـذا الذى يقال إنه يلى بعدنا ، فإن يكن ذلك حقاً فقد صانعناه ، وإن يكن باطلاً فقد وصلناه .

مكة

١٢٨ — قالوا : لما قاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً عام الحُدَيْبِية وكتب القضية على الهدنة ، وأنه مَن أحبّ أن يدخل فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم دخل ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش دخل ، وأنه من أتى قريشاً مِمَن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردّوه ، ومَنْ أتاه منهم ومن حلفائهم ردّه ، قام مَن كان من كنانة فقالوا : ندخل فى عهد قريش ومدّتها ، وقامت خُزاعة فقالت : ندخل فى عهد محمد وعقده . وقد كان بين عبد المطلب وخُزاعة حلف قديم ، فلذلك قال عمرو بن سالم بن حَصيرة الخزاعى (ص ٣٥):

لا هُمّ إنى ناشدٌ محمدا حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدا

ثم ان رجلاً من خُزاعة سمع رجلاً من كنانة يُنشد هجاءً فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثب عليه فشجّه ، فهاج ذلك بينهم الشرّ والقتال، وأعانت قريشُ بنى كنانة ، وخرج منهم رجال معهم فبيّتوا خُزاعة ، فكان ذلك مما نقضوا به العهـد والقضية . وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابن سالم بن حَصيرة الخزاعى يستنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه ذلك إلى غزو مكة .

١٢٩ — وحدثنا أبو عبيد القاسم بن سلاّم قال: حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لَهَيْعَة عن أبى الأسود ،

عن عُروة فى حديث طويل قال : فهادنت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يأمن بعضهم بعضاً على الأغلال والأسلال ، أو قال أرسال ، فمن قَدِم مكة حاجاً أو معتمراً أو مجتازاً إلى اليمن والطائف فهو آمن ، ومن قَدِم المدينة

من المشركين عامداً إلى الشام والمشرق فهو آمن . قال : فأدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهده بنى كعب ، وأدخلت قريش فى عهدها حلفاءها من بنى كنانة .

١٣٠ — وحدثنا عبد الواحد بن غياث قال : حدثنا حماد بن سلمة قال : أخبرنا أيوب ،

عن عِكرمة أن بنى بكر من كنانة كانوا فى صلح قريش ، وكانت خُزاعة فى صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاقتتلت بنو بكر وخُزاعة بعرَفَة،(ص ٣٦) فأمدّت قريش بنى بكر بالسلاح وسقوهم الماء وظلّلوهم . فقال بعضهم لبعض : نكثتم العهد . فقالوا: ما نكثنا والله . ما قاتلنا، إنما مددناهم وسقيناهم وظلّلناهم . فقالوا لأبى سفيان بن حرب : انطلق فأجدّ الحِلف وأَصْلِح بين الناس . فقدم أبو سفيان المدينة فلقى أبا بكر ، فقال له : يا أبا بكر ! أجدّ الحِلف وأصلح بين الناس . فقال أبو بكر : اِلْقَ عمر . فلقى عمر ، فقال له : أجدَّ الحلف وأصلح بين الناس . فقال عمر : قطع الله منه ما كان متصلاً وأبلى ما كان جديدا . فقال أبو سفيان : تالله ما رأيت شاهدَ عشيرة شرّاً منك . فانطلقَ إلى فاطمة فقالت : اِلْقَ عليّا . فلقيه فذكر له مثل ذلك ، فقال علىّ : أنت شيخ قريش وسيدها فأجدّ الحلف وأصلح بين الناس . فضرب أبو سفيان يمينه على شماله وقال : قد جددت الحلف وأصلحت بين الناس . ثم انطلق حتى أتى مكة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أبا سفيان قد أقبل ، وسيرجع راضياً بغير قضاء حاجة ، فلما رجع إلى أهل مكة أخبرهم الخبر ، فقالوا : تالله ما رأينا أحمق منك . ما جئتنا بحرب فنحذر ولا بسلم فنأمن . وجاءت خُزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وَسلم فشكوا ما أصابهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وَسلم : إنى قد أمرت بإحدى القريتين مكة أو الطائف ، وَأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير . فخرج فى أصحابه وَقال : اللهم اضربْ على آذانهم

فلا يسمعوا حتى نبغتهم بغتة . وأغذّ المسير حتى نزل مَرّ الظَّهران . وقد كانت قريش قالت لأبي سفيان : ارجع . فلما بلغ مرّ الظهران ورأى النيران والأخبية قال : ما شأن الناس كأنهم أهل عشية عَرَفَة ؟ وغشيته خيولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوه أسيراً . فأُتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاء عمر فأراد قتله فمنعه العباس ، وأسلم فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما كان عند صلاة الصبح تحشحش الناس وضوءاً للصلاة . فقال أبو سفيان(ص٣٧) للعباس بن عبد المطلب : ما شأنهم يريدون قتلي ؟ قال : لا ، ولكنهم قاموا إلى الصلاة . فلما دخلوا في صلاتهم رآهم إذا ركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعوا و إذا سجد سجدوا . فقال : تالله ما رأيت كاليوم طواعية قوم جاءوا من هاهنا وهاهنا ، ولا فارس الكرام ولا الروم ذات القرون . فقال العباس : يا رسول الله ابعثني إلى أهل مكة ادعُهم إلى الإسلام . فلما بعثه أرسل في أثره وقال : ردّوا عليّ عمي لا يقتله المشركون . فأبى أن يرجع حتى أتى مكة . فقال : أي قوم ! أسْلِموا تسلموا . أُتيتم أُتيتم ، واستُبطِنتم بأشهب بازل . هذا خالد بأسفل مكة وهذا الزبير بأعلى مكة ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار وخُزاعة . فقالت قريش : وما خُزاعة المجدّعة الأنوف !

١٣١ — حدثنا عبد الواحد بن غياث قال : حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ،

عن أبي هريرة أنّ قائل خُزاعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم :

لا هُمّ إني ناشدٌ محمّدا حلفَ أبينا وأبيه الأتلدا
فانصرْ هَداك الله نصراً أيِّدا وادعُ عبادَ الله يأتوا مَددا

١٣٢ — قال حماد : فحدثنى على بن زيد ،

عن عِكرمة أنَّ خُزاعة نادوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فقال : لَبَّيكم .

١٣٣ — وقال الواقدى وغيره : تسلح قوم من قريش يوم الفتح وقالوا : لا يدخلها محمد إلا عنوة ، فقاتلهم خالد بن الوليد . وكان أول مَنْ أَمَرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدخول ، فقتل أربعة وعشرين رجلاً من قريش وأربعة نفر من هُذيل . ويقال قتل يومئذ ثلاثة وعشرين رجلاً من قريش ، (ص ٣٨) وانهزم الباقون فاعتصموا برؤوس الجبال وتوقلوا فيها . واستُشهد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كُرز بن جابر الفهرى ، وخالد الأشعر الكعبي . وقال هشام بن الكلبي : هو حُبَيْش الأشعر بن خالد الكعبى من خُزاعة .

١٣٤ — وحدثنا شيبان بن أبى شيبة الأبلى حدثنا سليمان بن المغيره قال : حدثنا ثابت البُنـانى ،

عن عبد الله بن رَباح قال : وفدت وفود إلى معاوية ، وذلك فى شهر رمضان ، وكان بعضنا يصنع لبعض الطعام ، وكان أبو هريرة مما يُكثر أن يدعونا إلى رحله . قال : فصنعتُ لهم طعاماً ودعوتهم ، فقال أبو هريرة : ألا أُعلِّمكم بحديثٍ من حديثكم معشر الأنصار ؟ ثم ذكر فتح مكة فقال : أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى قَدِم مكة ، فبعث الزبيرَ على إحدى المُجَنِّبَتَيْن ، وبعث خالدَ بن الوليد على الأخرى ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح على الحُسَّر . فأخذوا بطن الوادى ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته ، فرآنى فقال : ياأبا هريرة! قلت : لبيك يا رسول الله . قال : نادِ الأنصار فلا يأت إلا أنصارى . قال : فناديتُهم ، فأطافوا به ، وجمعتْ قريش أوباشَها وأتباعها وقالوا : نقدِّم هؤلاء ،

فإن أصابوا ظفراً كنا معهم وإن أصيبوا أعطينا الذى يسأل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أترون أوباش قريش ؟ قالوا : نعم . فقال بإحدى يديه على الأخرى يشير أن اقتلوهم . ثم قال : وافونى بالصّفا . قال : فانطلقنا ، فما يشاء أحد أن يقتل أحداً إلاّ قتله . فجاء أبو سفيان فقـــال : يا رسول الله ! أُبيدتْ خضراء قريش، لا قريشَ بعد اليوم. فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن دخل دار أبي سفيان فهو (ص٣٩) آمن ،ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن . فقال بعض الأنصار لبعض : أمّا الرجل فأدركته رغبةٌ فى قرابته ورأفة بعشيرته . وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، وكان إذا جاءه لم يُخف علينا ، فقال : يا معشر الأنصار قلتم كذا وكذا . قالوا : قد كان ذلك يا رسول الله . قال : كلاّ إنى عبد الله ، ورسوله هاجرتُ إلى الله و إليـكم ، فالمحيا محيا كم والممات مماتكم . فجعلوا يبكون و يقولون : والله ما قلنا الذى قلنا إلا للضنّ برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وأقبل الناس إلى دار أبى سفيان وأغلقوا أبوابها ووضعوا سلاحهم . وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحَجَرِ فاستلمه ، ثم طاف بالبيت ، وأتى على صنمٍ كان إلى جنب الـكعبة وفى يده قوس قد أخذ بسِيَتِها فجعل يطعن فى عين الصنم و يقول: ﴿جاء الحقُ وزهق الباطلُ إنّ الباطلَ كان زهوقا﴾[1] قال : فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاه ، حتى نظر إلى البيت ، ثم رفع يده يحمد الله و يدعو .

١٣٥ — حدثنا محمد بن الصباح قال : أخبرنا هُشيم عن حُصين

عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) السورة ١٧ ، من الآية ٨١

يوم فتح مكة : لا يُجهزنّ على جريح ، ولا يُتبعنّ مُدبر ، ولا يُقتلنّ أسير ، ومَن أغلق بابه فهو آمن .

١٣٦ — قال الواقدى : كانت غزوة الفتح فى شهر رمضان سنة ثمان ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة إلى الفطر ، ثم توجه لغزوة حُنين . ووُلِّي مكة عَتَّاب بن أسِيد بن أبى العيص بن أمية ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدم الأصنام ومَحْوِ الصور التى كانت فى الكعبة ، وقال : اقتلوا ابن خَطَل ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة . (ص ٤٠) فقتله أبو بَرْزة الأسلمى .

قال أبو اليقظان : واسم ابن خَطَل قيس ، وقتله أبو شرياب الأنصارى ، وكانت لابن خَطَل قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقُتلت إحداهما وبقيت الأخرى حتى كُسرت لها ضلع أيام عثمان فماتت .

وقتل نُمَيْلَة بن عبد الله الكنانى مِقْيَسَ بن صُبابة الكنانى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر مَن وجده أن يقتله . وذلك لأن أخاه هاشم ابن صُبابة بن حَزْن أسلم وشهد غزوة المُرَيْسيع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتله رجل من الأنصار خطأً وهو يظنه مشركا . فقدم مِقْيَس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى له بالدية على عاقلة القاتل فأخذها ، وأسلم ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله وهرب مرتداً وقال :

شفى النفسَ أن قد باتَ بالقاع مسندا يُضَرِّجُ ثوبيه دماء الأخادعِ
ثأرتُ به قهراً وحمّلتُ عَقْلَه سَراةَ بنى النجار أربابَ فارعِ
حللتُ به وِتْرى وأدركتُ ثُؤرتى وكنتُ عن الإسلام أولَ راجعِ

وقتل علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه الحُوَيْرث بن نُقَيْذ بن بُجَيْر بن عبد ابن قُصَىّ ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم أمر أن يقتله مَن وجده .

١٣٧ — وحدثنى بكر بن الهيثم عن عبد الرازق عن مَعمر ،

عن الكلبى قال : جاءت قينة لهلال بن عبد الله ، وهو ابن خَطَل الأدْرمى من بنى تيم ، إلى النبى صلى الله عليه وسلم متنكرة ، فأسلمتْ و بايعت وهو لا يعرفها ، فلم يعرض لها . و قُتلت قينة له أخرى ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وأسلم ابن الزِّبَعْرَى السهمى قبل أن يُقدر (ص ٤١) عليه . ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان قد أباح دمه يوم الفتح ولم يعرض له .

١٣٨ — حدثنا محمد بن الصباح البزّاز قال : حدثنا هشيم قال : أخبرنا خالد الحذّاء ،

عن القاسم بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم مكة فقال: الحمد لله الذى صدَق وعدَه ، و نَصَرَ جندَه ، وهزم الأحزابَ وَحدَه ، ألا إن كلّ مأثُرةٍ كانت فى الجاهليــة وكلّ دمٍ ودعوى موضوعةٌ تحت قدمى ، إلاّ سدانة البيت وسقاية الحاج .

١٣٩ — وحدثنا خلف البزّار حدثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن ،

عن أشياخة قالوا : لما كان يوم فتح مكة قال النبى صلى الله عليه وسلم لقريش : ما تظنون ؟ قالوا : نظن خيراً ونقول خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت . قال : فإنى أقول كما قال أخى يوسف عليه السلام ﴿ لا تَثريبَ عليكم اليومَ ، يَغفِرُ اللهُ لكم وهو أرحمُ الراحمين ﴾[1] ألا كلّ دَيْنٍ ومالٍ ومأثُرةٍ كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمى ، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج .

(١) السورة ٢٢ ، الآية ٢٥

١٤٠ — حدثنا شيبان قال : حدثنا جرير بن حازم قال :

حدثنا عبد الله بن عُبيد بن عُمير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته : ألا إن مكة حرام ما بين أخشبيها ، لم يحلّ لأحد قبلي ولا يحلّ لأحد بعدي ، ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار . لا يُختلى خلاها ، ولا تعضدُ عِضاهُها ، ولا يُنفر صيدُها ، ولا تُلتقط لُقطتُها ، إلا أن يُعرَّف أو يُعْرَف . فقال العباس رحمه اللّه : إلا الأذْخِر ، فإنه لصاغتنا وقيوننا وطهور بيوتنا ، فقال صلى اللّه عليه وسلم : إلا الأذْخِر .

١٤١ — حدثنا يوسف بن موسى القطان قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد ،

عن ابن عباس أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال : لا يُختلى خلى مكة ولا يعضد شجرها . فقال (ص ٤٢) العباس : إلا الأذْخِر ، فإنه للقيون وطهور البيوت . فرخص في ذلك .

١٤٢ — حدثنا شيبان قال : حدثنا أبو هلال الراسبي ،

عن الحسن قال : أراد عمر أن يأخذ كنز الكعبة فينفقه في سبيل اللّه . فقال له أُبَيُّ بن كعب الأنصاري : يا أمير المؤمنين ! قد سبقك صاحباك ، ولو كان هذا فضلاً لفعلاه .

١٤٣ — وحدثنا عمرو الناقد قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ،

عن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مكة حرام ، لا يحل بيعُ رِباعها ولا أجورُ بيوتها .

١٤٤ — حدثنا محمد بن حاتم المروزى قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن يوسف بن ماهك عن أبيه ،

عن عائشة قالت : قلت يارسول الله . ابنِ لك بناء يظلّك من الشمس بمكة فقال : إنما هى مناخ مَن سبق .

١٤٥ — حدثنا خلف بن هشام البزّار ، حدثنا اسماعيل ،

عن ابن جُريج قال : قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز ينهى عن كراء بيوت مكة .

١٤٦ — حدثنا أبو عبيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن اسرائيل عن ثُوَيْر عن مجاهد ،

عن ابن عمر قال : الحرم كله مسجد .

١٤٧ — حدثنا عمرو الناقد قال : حدثنا إسحاق الأزرق ،

عن عبد الملك بن أبى سليمان قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير مكة أن لا تدع أهلَ مكة يأخذون على بيوت مكة أجراً فإنّه لا يحلّ لهم .

١٤٨ — حدثنا عثمان بن أبى شيبة قال : حدثنا جرير عن يزيد بن أبى زياد ،

عن عبد الرحمن بن سابِط فى قوله ﴿ سواءً العاكفُ فيه والباد ﴾[1] قال : البادى مَنْ يخرج من الحجّاج والمعتمرين ، هم سواء فى المنازل ينزلون حيث شاؤا غير أن لا يخرج أحد من بيته .

---

(١) السورة ٢٢ ، الآية ٢٥

١٤٩ — حدثنا عثمان قال : حدثنا جرير عن منصور ،

عن مجاهد فى هذه الآية قال : أهل مكة وغيرهم فى المنازل (ص٤٣) سواء .

١٥٠ — وحدثنا عثمان وعمرو قالا : حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور ،

عن مجاهد أنّ عمر بن الخطاب قال لأهل مكة : لا تتخذوا لدوركم أبواباً لينزلَ البادى حيث شاء .

١٥١ — وحدثنا عثمان بن أبى شيبة وبكر بن الهيثم قالا : حدثنا يحيى بن ضَريس الرازى عن سفيان ،

عن أبى حصين قال : قلت لسعيد بن جبير وهو بمكة : إنى أريد أن أعتكف. فقال : أنت عاكف . ثم قرأ ﴿ سواءً العاكفُ فيه والباد ﴾ .

١٥٢ — حدثنا عثمان قال : حدثنا حفص بن غياث عن عبد الله بن مسلم ،

عن سعيد بن جُبير فى قوله ﴿ سواءً العاكفُ فيه والباد ﴾ قال : خَلْقُ الله فيه سواءٌ : أهل مكة وغيرها .

١٥٣ — وحدثنى محمد بن سعد ،

عن الواقدى قال : كان يُتخاصم إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فى أجور الدور بمكة ، فيقضى بها على من اكتراها . وهو قول مالك وابن أبى ذئب .

قال : وقال ربيعة وأبو الزناد : لا بأس بأكل كراء بيوت مكة وبيع رباعها .

وقال الواقدى : رأيت ابن أبى ذئب يأتيه كراء داره بمكة بين الصفا والمَرْوَة .

وقال الليث بن سعد : ما كان من دار فأجرها طيِّب لصاحبها، فأما القاعات والسكك والأفنية والخرابات ، فمن سبق نزل ذلك بغير كراء .

وأخبرنى أبو عبد الرحمن الأودى عن الشافعى بمثل ذلك .

وقال سفيان بن سعيد الثورى : كراء بيوت مكة حرام. وكان يشدِّد فى ذلك.

وقال الأوزاعى وابن أبى ليلى وأبو حنيفة : إن كراها فى ليالى الحج ، فالكرآء باطلٌ، وإن كان فى غير ليالى الحج وكان المكترى مجاوراً أو غير ذلك فلا بأس .

وقال بعض أصحاب أبى يوسف : كراؤها حِلٌّ طلق ، وإنما يستوى العاكف والبادى فى الطواف بالبيت .

١٥٤ — حدثنا الحسين بن على بن الأسود قال : حدثنا عبيد الله بن موسى عن الحسن ابن صالح عن العلاء بن المسيّب ،

عن عبد الرحمن بن الأسود أنه كان لا يرى ببقل مكة ، ولا بالزرع الذى يزرع (ص ٤٤) فيها ، ولا بشىء مما أنبته الناس بها من شجر أو نخل ، بأساً أن تقطعه وتأكله وتصنع فيه ما شئت . قال : وإنما كره ما أنبتت الأرض بمكة من شجر وغيره مما لم يعمله الناس إلا الإذْخِر .

قال الحسن بن صالح : وقد رخص فى الشجر البالى الذى قد يبس وتكسّر .

٢٥٥ — وقال محمد بن عمر الواقدى : قال مالك وابن أبى ذئب : فى مُحْرِم أو حلال قطع شجر من الحرم أنه قد أساء ، فإن كان جاهلاً عُلِّمَ ولا شىء عليه،

وإن كان عالماً خالعاً عوقب ولا قيمة عليه ، ومن قطع من ذلك شيئاً فلا بأس أن ينتفع به .

قال : وقال سفيان الثورى وأبو يوسف : عليه فى الشجرة لقطعها قيمة ولا ينتفع بذلك . وهو قول أبى حنيفة .

وقال مالك بن أنس وابن أبى ذئب : لا بأس بالضغابيس وأطراف السَّنا، تؤخذ من الحرم للدواء والسواك .

وقال سفيان بن سعيد وأبو حنيفة وأبو يوسف : كل شىء أنبته الناس فى الحرم ، أو كان مما يُنبتون ، فلا شىء على قاطعه . وكل شىء مما لا يُنبته الناس فعلى قاطعه قيمة .

وقال الواقدى : سألت الثورى وأبا يوسف عن رجل أنبت فى الحرم مالا يُنبته الناس فقام عليه حتى نبت له ، أَلَه أن يقطعه ؟ قالا : نعم . قلت : فإن نبتت فى بستانه شجرة مما لا يُنبت الناس من غير أن يكون أنبتها ؟ قالا : يصنع بها ما شاء .

١٥٦ — وحدثنى محمد بن سعد ،

عن الواقدى قال : رُوى لنا أن ابن عمر كان يأكل بمكة بقلاً زُرع فى الحرم .

١٥٧ — وحدثنى محمد بن سعد قال : حدثنى الواقدى

عن معاذ بن محمد قال : رأيت على مائدة الزهرىّ بقلاً من الحرم .

قال أبو حنيفة : لا يرعى الرجل المحرِم بعيرَه فى الحرم ، ولا يحتشُّ له . وهو قول زفر .

وقال مالك وابن أبي ذئب وسفيان وأبو يوسف وابن أبي سبرة : لا بأس بالرعي ، ولا يحتشّ .

وقال ابن أبي ليلى : لا بأس بأن يحتش .

١٥٨ — وحدثني عفان والعباس بن الوليد (ص ٤٥) النرسي قال : حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال :

حدثنا ليث قال : كان عطاء لا يرى بأساً ببقـل الحرم وما زُرع فيه ، وبالقضيب والسِّواك .

قال : وكان مجاهد يكرهه .

١٥٩ — قال : ولم يكن للمسجد الحرام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر جدار يحيط به ، فلما استُخلف عمر بن الخطاب وكثُر الناسُ وسّع المسجد ، واشترى دوراً فهدمها وزادها فيه . وهَدَمَ على قومٍ من جيران المسجد أبوْا أن يبيعوا ووضع لهم الأثمان حتى أخذوها بعد . واتّخذ للمسجد جداراً قصيراً دون القامة ، فكانت المصابيح توضع عليه . فلما استُخلف عثمان بن عفان ابتاع منازل وسّع المسجدَ بها ، وأخذ منازل أقوام ووضع لهم الأثمان ، فضجّوا به عند البيت فقال : إنما جرّأكم عليّ حلمي عنكم ولِيني لكم . لقد فعل بكم عمر مثل هذا فأقررتم ورضيتم . ثم أمر بهم إلى الحبس ، حتى كلَّمه فيهم عبد الله بن خالد ابن أسيد بن أبي العيص فخلّى سبيلهم .

ويقال إن عثمان أول من اتخذ للمسجد الأروقة واتّخذها حين وسّعه .

١٦٠ — قالوا : وكان باب الكعبة على عهد إبراهيم عليه السلام وجُرْهُم والعماليق بالأرض ، حتى بنته قريش . فقال أبو حذيفة بن المغيرة : يا قوم ! ارفعوا باب الكعبة

حتى لا يدخل إلا بسُلَّم ، فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم ، فإن جاء أحد ممن تكرهون رميتم به فسقط فكان نكالاً لمن ورائه . فعملت قريش بذلك .

١٦١ — قال : ولما تحصّن عبد الله بن الزبير بن العوّام فى المسجد الحرام واستعاذ به ، والحُصَيْن بن نُمَيْر السّكونى إذ ذاك يقاتله فى أهل الشام ، أخذ ذات يوم رجل من أصحابه ناراً على ليفةٍ فى رأس رمح ، وكانت الريح عاصفاً ، فطارت شرره فتعلقت بأستار الكعبة فأحرقتْها، فتصدّعتْ حيطانُها واسودّت ، وذلك فى سنة أربع وستين ، حتى إذا مات يزيد بن معاوية وانصرف الحُصَيْن ابن نُمَيْر إلى الشام أمر ابن الزبير بما فى المسجد من الحجارة التى (ص٤٦) رمى بها فأخرج ، ثم هدم الكعبة و بناها على أساسها وأدخل الحجر فيها ، وجعل لها بابين موضوعين بالأرض شرقياً وغربياً ، يُدخل من واحد و يخرج من الآخر . وكان قد وجد أساس الكعبة متصلاً بالحجر . و إنما التمس إعادتها إلى بناء إبراهيم عليه السلام على ما كانت عائشة أم المؤمنين أخبرته عن النبى صلى الله عليه وسلم . وجعل على بابها صفائح الذهب ، وجعل مفاتيحها من ذهب . فلما حار به الحجّاج ابن يوسف من قِبَل عبد الملك بن مروان وقتله ، كتب إليه عبد الملك يأمره ببناء الكعبة والمسجد الحرام . وقد كانت الحجارة حلحلت الكعبة ، فهدمها الحجاج و بناها ، فردّها إلى بناء قريش ، وأخرج الحجر . فكان عبد الملك يقول بعد ذلك : ودِدت أنى كنت حمّلتُ ابن الزبير من أمرَ الكعبة و بناءها ما تحمل .

١٦٢ — قالوا : وكانت كسوة الكعبة فى الجاهلية الأنطاع والمغافر . فكساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية ، ثم كساها عمر وعثمان رضى الله عنهما القباطى ، ثم كساها يزيد بن معاوية الديباج الخسروانى ، وكساها

ابن الزبير والحجَّاج بعده الديباج ، وكساها بنو أمية فى بعض أيامهم الحُلل التى كان أهل نجران يؤدُّونها ، وأخذوهم بتجويدها ، وفوقها الديباج .

ثم إن الوليد بن عبد الملك وسّع المسجد الحرام ، وحمل إليه عُمد الحجارة والرخام والفُيسفساء .

١٦٣ — قال الواقدى : فلما كانت خلافة أمير المؤمنين المنصور رحمه الله زاد فى المسجد و بناه ، وذلك فى سنة تسع وثلاثين ومئة .

١٦٤ — وقال على بن محمد بن عبد الله المدائنى: وَلَّى المهدى جعفرَ بن سليمان ابن على بن عبد الله بن العباس مكة والمدينة واليمامة . فوسع مسجدىْ مكة والمدينة و بناهما . وقد جدَّد أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر بن أبى اسحاق المعتصم بالله بن الرشيد هارون بن المهدى رضوان الله عليهم (ص ٤٧) رخام الكعبة وأزرها بفضة ، وألبس سائر حيطانها وسُقُفها الذهب ، ولم يفعل ذلك أحد قبله ، وكسا أساطينها الديباج .

ذكر حفائر مكة

١٦٥ — قالوا : كانت قريش قبل جمع قصيّ إياها وقبل دخولها مكة تشرب من حياض ومصانعَ على رؤوس الجبال ، ومن بئرٍ حفرها لؤى بن غالب خارج الحرم تُدعى اليسيرة ، ومن بئرٍ حفرها مُرة بن كعب تدعى الرَوى وهى مما يلى عَرَفَة . ثم حفر كلاب بن مُرَّة خُمّ ورُمّ ، والجَفْرَ بظاهر مكة . ثم إن قُصَىّ بن كلاب حفر بئراً سماها العَجُول ، واتخذ سقاية . وفيها يقول بعضُ رجّاز الحاج :

نروَى على العَجُول ثم ننطلقْ   قبلَ صدورِ الحاجّ من كلٍّ أُفُقْ
إنّ قُصَيًّا قد وفى وقد صدقْ   بالشِّبْع للنـــاس وريٍّ مغتبقْ

ثم إنه سقط فى العَجول بعد ممات قُصَى رجلٌ من بنى نصر بن معاوية فعُطلت .

وحفر هاشم بن عبد مناف بَذَّر ، وهى عند الخَنْدَمة على فم شِعْب أبى طالب .

وحفر هاشم أيضاً سَجْلَة ، فوهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل بن عبد مناف ابن المُطْعِم ، ويقال بل ابتاعها منه ، ويقال إن عبد المطلب وهبها له حين حفر زمزم وكثر الماء بمكة ، فقالت خالدة بنت هاشم : (ص ٤٨) .

نحنُ وهبنا لعدىٍّ سَجْلَه   فى تُرْبَةٍ ذاتِ عَذاةٍ سَهْلَه
تروى الحجيج زَغْلةً فزغلهْ

وقد دخلت سَجْلَة فى المسجد .

وحفر عبد شمس بن عبد مناف الطوِىّ ، وهى بأعلى مكة وحفر أيضاً لنفسه الجَفر .

وحفر ميمون بن الحضرمى حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف بئره . وهى آخر بئر حُفرت فى الجاهلية بمكة ، وعندها قبر أمير المؤمنين المنصور رحمه الله . واسم الحضرمى عبد الله بن عماد .

واحتفر عبد شمس أيضاً بئرين وسماهما خُمّ ورُمّ على ما سمّى كلاب بن مُرّة بئرْيه . فأما خُمّ فهى عند الردم . وأما رُمّ فعند دار خديجة بنت خُويلد . وقال عبد شمس :

حفرتُ خُمًّا وحفرتُ رُمًّا   حتى أرى المجدَ لنا قد تمَّا

وقالت سُبَيْعة بنتُ عبد شمس فى الطَّوِىّ :

إنّ الطوِىّ إذا شربتم ماءها   صوبُ الغمام عذوبةً وصفاءَ

وحفرت بنو أسد بن عبد العُزى بن قُصَى شُفَيَّــة بئر بنى أسد . وقال الحويرث بن أسد :

ماء شُفَيَّةٍ كماءِ المُزْنِ   وليس ماؤها بِطَرْقٍ أجْنِ

وحفر بنو عبد الدار بن قُصىّ أم أحْرادٍ ، فقالت أميمة بنت عُمَيْلة بن السباق بن عبد الدار :

نحن حفرنا البحر أمّ أحراد   ليست كبذَّر النزورِ الجَماد

فأجابتها صفية بنت عبد المطلب : (ص ٤٩)

نحن حفرنا بَذرْ   تروى الحجيج الأكبرْ   من مُقْبلٍ ومُدْبِرْ
وأمُّ أحرادٍ شَرّْ   فيهــا الجرادُ والذّرْ   وقَذَرٌ لا يذكرْ

وحفر بنو جُمح السُّنْبُلة ، وهى بئر خَلَف بن وَهْب الجُمَحى . فقال قائلهم :

نحن حفرنا للحجيج سُنْبُلهْ   صوبَ سَحاب ذو الجلال أنزلهْ

وحفر بنو سَهْم الغَمْر ، وهى بئر العاصى بن وائل . فقال بعضهم :

نحن حفرنا الغَمْرَ للحجيجِ تَثُجُّ ماء أيّما ثجيجِ

قال ابن الكلبي : قالها ابن الزِّبَعْرَى .

وحفرت بنو عديّ الحفَير ، فقال شاعرهم :

نحن حفرنا بئرنا الحفيرا بحراً يجيشُ ماؤه غزيرا

وحفرت بنو مخزوم السُّقيا ، بئر هشام بن المغيرة بن عبد الله عمر بن مخزوم .

وحفرت بنو تَيْم الثرَيّا ، وهى بئر عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيْم .

وحفرت بنو عامر بن لؤىّ النَقْع .

١٦٦ — قالوا : وكانت لجُبير بن مُطْعِم بئر وهى بئر بنى نوفل، فأُدخلت حديثاً فى دار القوارير التى بناها حمّاد البربرى فى خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد .

وكان عقيل بن أبى طالب حفر فى الجاهلية بئراً ، وهى فى دار ابن يوسف . فكانت للأسْوَد بن أبى البَخْتَرى بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العُزّى بئر على باب الأسْود عند الحنّاطين فدخلت فى المسجد .

بئر عِكْرِمة ، نُسبت إلى عكرمة بن خالد بن العاصى بن هاشم بن المغيرة .

بئر عمرو نُسبت إلى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجُمحى، وكذلك شِعْب عمرو الطَّلوب أسفل مكة كانت لعبد الله بن صفوان .

بئر حُوَيْطب نسبت إلى حُوَيْطب بن عبد العُزّى بن أبى قيس من (ص ٥٠) بنى عامر بن لؤى ، وهى بفناء داره ببطن الوادى .

بئر أبى موسى كانت لأبى موسى الأشعرى بالمَعْلاة .

بئر شَوْذَب نُسبت إلى شَوْذَب مولى معاوية، وقد دخلت فى المسجد . ويقال ن شَوْذَبا كان مولى طارق بن علقمة بن عُرَيجْ بن جَذيمة الكنانى ، ويقال كان مولى لنافع بن علقمة بن صفوان بن أمية بن مُحَرِّث بن خُمْل بن شِقّ لكنانى خال مروان بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية .

وبئر بكاّر نُسبت إلى رجل سكن مكة من أهل العراق وهى بذى طُوى .

وبئر وَرْدان نُسبت إلى وَرْدان مولى السائب بن أبى وَدَاعة بن ضُبَيْرة السّهمى .

وسقاية سِراج بفَخّ كانت لسراج مولى بنى هاشم .

وبئر الأسود نُسبت إلى الأسود بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهى بقرب بئر خالصة مولاة أمير المؤمنين المهدى .

والبَرودُ بفخّ مُخْتَرِش الكعبى من خُزاعة .

١٦٧ — وقال ابن الكلبى : صاحبُ دار ابن علقمة بمكة طارق بن علقمة ابن عُرَيجْ بن جَذيمة الكنانى .

١٦٨ — وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى وعبد الملك بن قُرَيْب الأصمعى وغيرهما : بستان ابن عامر لعمر بن عبيد الله بن مَعْمَر بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤى ، ولكن الناس غلطوا فيها فقالوا بستان ابن عامر ، وبستان بنى عامر . وإنما هو بستان ابن مَعْمَر . وقوم يقولون نُسب إلى ابن عامر الحضرمى ، وآخرون يقولون نُسب إلى ابن عامر بن كُرَيْز . وذلك ظن وترجيم .

١٦٩ — حدثني مصعب بن عبد الله الزبيرى قال : كانت فى الجاهلية مكة تدعى صلاح . قال أبو سفيان بن حرب الحضرمى : (ص ٥١)

أبا مطرٍ هَلُمّ إلى صلاحٍ ليَكفيَك النّدامى من قريشِ
وتنزلَ بلدةً عزّت قديماً وتأمنَ أن ينالك ربُّ جيشِ

١٧٠ — وحدثنى العباس بن هشام الكلبى قال : كتب بعض الكنديين إلى أبى يسأله عن سجن ابن سِباع بالمدينة إلى من نسب ؟ وعن قصة دار الندوة ودار العَجَلة ودار القوارير بمكة . فكتب إليه .

أمّا سجن ابن سِباع فإنه كان داراً لعبد الله بن سِباع بن عبد العُزّى بن نَضْلة ابن عمرو بن غُبْشان الخُزاعى . وكان سِباع يكنى أبا نِيار . وكانت أمه قابلةً بمكة . فبارزه حمزة بن عبد المطلب يوم أُحُد فقال له : هلُمّ إلىّ يا ابن مقطِّعة البظور ! ثم قتله وأكبّ عليه ليأخذ درعه ، فزرقه وحشىّ . وأم طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر بنت عبد الله بن سِباع وهو حليف بنى زهرة .

وأما دار الندوة فبناها قُصىٌّ بن كلاب . فكانوا يجتمعون إليه فتُقضى فيها الأمور . ثم كانت قريش بعده تجتمع فيها فتتشاور فى حروبها وأمورها ، وتعقد الألوية ، وتزوج من أراد التزويج . وكانت أول دار بنيت بمكة من دور قريش . ثم دار العَجَلة وهى دار سعيد بن سعد بن سهم . و بنوسهم يدّعون أنها بنيت قبل دار الندوة ، وذلك باطل . فلم تزل دار الندوة لبنى عبد الدار بن قُصىّ حتى باعها عِكْرِمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصىّ من معاوية ابن أبى سفيان فجعلها داراً للامارة .

وأما دار القوارير فكانت لعُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . ثم صارت للعباس بن عُتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب ، وقد صارت بَعْدُ لأمّ

جعفر زُبيدة بنت أبى الفضل بن المنصور أمير المؤمنين . واستُعمل فى بعض فرشها وحيطانها شىء من قوارير ، فقيل دار القوارير . وكان حمّاد (ص ٥٢) البربرىّ بناها فى خلافة الرشيد أمير المؤمنين رحمه الله .

١٧١ — قال هشام بن محمد الكلبى : كان عمرو بن مُضاض الجُرْهُمى حارب رجلاً من جُرْهُم يقال له السُّمَيْدَع . فخرج عمرو فى السلاح يتقعقع ، فسُمى الموضع الذى خرج منه قُعَيْقِعان . وخرج السميدع مقلِّداً خيله الأجراس فى أجيادها ، فسُمّى الموضع الذى خرج منه أجياد . وقال ابن الكلبى : ويقال إنه خرج بالجياد مسوّمةً فسمى الموضعْ أجياد . وعامة أهل مكة يقولون جياد الصغير وجياد الكبير .

١٧٢ — حدثنا الوليد بن صالح عن محمد بن عمر الاسلمى عن كثير بن عبد الله عن ابيه ،

عن جده قال : قدمنا مع عمر بن الخطاب فى عمرته سنة سبع عشرة ، فكلّمه أهل المياه فى الطريق أن يبتنوا منازلَ فيما بين مكة والمدينة ، ولم تكن قبل ذلك . فأذِن لهم واشترط عليهم أنّ ابن السبيل أحقّ بالماء والظل .

أمر السيول بمكة

١٧٣ — حدثنا العباس بن هشام عن أبيه هشام بن محمد ،

عن ابن خَرّبوذ المكى وغيره قالوا : كانت السيول بمكة أربعة . منها سيل أم نَهْشَل ، وكان فى زمن عمر بن الخطاب . أقبل السيلُ حتى دخل المسجد من أعلى مكة ، فعمل عمر الرّدمين جميعاً . الأعلى بين دار بَبّة — وهو عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف الذى وُلِّى البصرة فى فتنة ابن الزبير اصطلح أهلها عليه — ودار أبان بن عثمان بن عفان . والأسفل عند الحمّارين، وهو الذى يعرف بردم آل أسِيد . فتراد السيل عن المسجد الحرام .

قال : وأم نَهْشَل بنتُ عبيدة بن سعيد بن العاصى بن أمية ذهب (ص٥٣) بها السيل من أعلى مكة فنسب إليها .

ومنها سيل الجُحَاف والجُراف فى سنة ثمانين ، فى زمن عبد الملك بن مروان ، صبّح الحاج يوم الاثنين فذهب بهم وبأمتعتهم وأحاط بالكعبة . فقال الشاعر :

لم تَرَ غسانُ كيوم الاثنين أكثر محزوناً وأبكى للعين
إذْ ذهبَ السيلُ بأهل المصريْن وخرج المُخَبّآت يَسْعَيْن
شوارداً فى الجبلَين يرْقَيْن

فكتب عبد الملك إلى عبد الله بن سفيان المخزومى عامله على مكة — ويقال بل كان عامله يومئذ الحارث بن خالد المخزومى الشاعر — يأمره بعمل ضفائر الدور الشارعة على الوادى وضفائر المسجد ، وعملِ الردم على أفواه السكك

لتحصّن دور الناس ، و بعث لعمل ذلك رجلاً نصرانياً فاتخذ الضفائر ورَدَمَ الردم الذى يعرف بردم بنى قُراد ، وهو يُعرف ببنى جمح ، واتُّخذتْ ردوم بأسفل مكة . قال الشاعر :

سأملك عَبْرَةً وأفيضُ أُخْرى   إذا جاوزتُ رَدْمَ بنى قُرادِ

ومنها السيل الذى يُدعى المُخبِّل ، أصاب الناس فى أيامه مرضٌ فى أجسادهم وخَبَلٌ فى ألسنتهم فسمّى المُخبِّل .

ومنها سيلٌ أتى بعد ذلك فى خلافة هشام بن عبد الملك فى سنة عشرين ومئة يُعرف بسيل أبى شاكر ، وهو مَسْلَمَة بن هشام ، وكان على الموسم ذلك العام فنُسب إليه .

قال : وسيل وادى مكة يأتى من موضع يعرف بسِدْرَةِ عتَّاب بن أسيد بن أبى العيص .

قال عباس بن هشام : وقد كان فى خلافة المأمون عبد الله بن الرشيد رحمه الله سيلٌ عظيم بلغ ماؤه قريباً من الحجر .

١٧٤ — فحدثنى العباس قال : حدثنى أبى عن أبيه محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح ،

عن عِكْرِمة قال : درس شىء من معالم الحرم على عهد معاوية بن أبى سفيان. فكتب إلى مروان (ص ٥٤) بن الحكم وهو عامله على المدينة يأمره إن كان كُرْزُ بن علقمة الخُزاعى حياً أن يكلفه إقامةَ معالم الحرم لمعرفته بها . وكان معمّراً . فأقامهم عليها ، فهى مواضع الأنصاب اليوم .

قال الـكلبي : هـــذا كُرز بن عَلْقَمَة بن هلال بن جُرَيْبَة بن عَبْدِنُهْم ابن حُلَيْل بن حُبْشِيَّة الخُزاعى . وهو الذى قفا أثر النبي صلى الله عليه وسلم حين انتهى إلى الغار الذى استخفى فيه وأبو بكر الصدّيق معه ، حين أراد الهجرة إلى المدينة ، فرأى عليه نسج العنـكبوت ، ورأى دونه قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرفها فقال : هذه قدم محمد صلى الله عليه وسلم وها هنا انقطع الأثر .

الطـــائف

١٧٥ — قال : لما هُزِمت هَوَازن يوم حُنَيْن وقُتل دُرَيْد بن الصِمَّة أتى فَلُّهم أوْطاس . فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الأشعرى فَقُتل . فقام بأمر الناس أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعرى . وأقبل المسلمون إلى أوْطاس ، فلما رأى ذلك مالكُ بن عوف بن سعد ، أحدُ بنى دُهمان بن نصر ابن معاوية بن بكر بن هَوازن — وكان رئيس هَوازن يومئذ — هرب إلى الطائف فوجد أهلها مستعدّين للحصار ، قد رمّوا حصنهم وجمعوا فيه الميرة . فأقام بها ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين حتى نزل الطائف ، فرمتهم ثَقيف بالحجارة والنّبل ، ونصب رسول الله صلى الله عليه وسلم منجنيقاً على حصنهم ، وكانت مع المسلمين دبّابة من جلودِ البقر ، فألقت عليها ثقيفُ سككَ الحديد المحماة فأحرقتْها ، فأصيب مَنْ تحتها من المسلمين ، وكان حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف خمس عشرة ليـــلة . وكان غزوه إياها فى شوال سنة ثمان .

١٧٦ — قالوا : ونزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رَقيقٌ من رقيق أهل الطائف ، منهم أبو بكرة بن مسروح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص ٥٥) واسمه نُفَيْع ، ومنهم الأزرق الذى نُسبت الأزارقة إليه كان عبداً روميًا حدّاداً ، وهو أبو نافع بن الأزرق الخارجى . فأُعتِقوا بنزولهم . ويقال إن نافع بن الأزرق الخارجىّ من بنى حنيفة ، وأن الأزرق الذى نزل من الطائف غيره . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف إلى الجِعْرانة ليقسم سبى أهل حُنَيْن وغنائمهم . فخافت ثقيف أن يعود إليهم . فبعثوا إليه وفدهم فصالحهم على

أن يُسْلموا ويقرّهم على ما فى أيديهم من أموالهم وركازهم ، واشترط عليهم أن لا يربوا ولا يشربوا الخمر ، وكانوا أصحاب ربا . وكتب لهم كتابا .

قال : وكانت الطائف تسمى وَجّ، فلما حُصِّنَتْ و بُنى سورها سُميت الطائف .

١٧٧ — حدثني المدائني عن أبي اسماعيل الطائفى عن أبيه ،

عن أشياخ من أهل الطائف قال : كان بمخلاف الطائف قوم من اليهود طُردوا من اليمن ويَثْرِب ، فأقاموا بها للتجارة ، فوُضعت عليهم الجزية ، ومن بعضهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف .

١٧٨ — قالوا : وكانت للعباس بن عبد المطلب رحمه الله أرض بالطائف ، وكان الزبيب يُحمل منها فينبذ فى السقاية للحاجّ . وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيُصلحونها ، فلما فُتحت مكة وأسلم أهلها طمعت ثقيف فيها ، حتى إذا فُتحت الطائف أُقرّت فى أيدى المكيين ، وصارت أرضُ الطائف مخلافاً من مخاليف مكة .

١٧٩ — قالوا : وفى يوم الطائف أُصيبت عين أبى سفيان بن حرب .

١٨٠ — حدثنا الوليد بن صالح قال : حدثنا الواقدى عن محمد بن عبد الله عن الزهرى عن ابن المسيب ،

عن عَتّاب بن أسِيــد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن تخرص أعناب ثقيف كخرص النخل ، ثم تُؤخذ زكاتهم زبيباً كما تؤدّى زكاة النخل .

قال الواقدى : قال أبو حنيفة لا يخرص ، ولكنه إذا وضع بالأرض أُخذت

الصدقة من قليله (ص ٥٦) وكثيره . وقال يعقوب إذا وضع بالأرض فبلغت مكيلته خمسة أوسق ففيه الزكاة، العُشر أو نصف العُشر . وهو قول سفيان بن سعيد الثورى ، والوَسْق ستون صاعاً .

وقال مالك بن أنس وابن أبى ذئب : السنّة أن تؤخذ منه الزكاة على الخرص كما يؤخذ التمر من النخل .

١٨١ — حدثنا شيبان بن أبى شيبة قال : حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا يحيى ابن سعيد ،

عن عمرو بن شُعيب أن عاملاً لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على الطائف كتب إليه : ان أصحاب العسل لا يرفعون إلينا ما كانوا يرفعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من كل عشرة زقاق زِقٌّ . فكتب إليه عمر : إن فعلوا فاحموا لهم أوديتهم وإلا فلا تحموها .

١٨٢ — حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال : حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن عبد الرحمن ابن اسحاق عن أبيه عن جده ،

عن عمر أنه جعل فى العسل العشر .

١٨٣ — حدثنا داود بن عبد الحميد قاضى الرقة عن مروان بن شجاع عن خصيف ،

عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عمّاله على مكة والطائف : إن فى الخلايا صدقة فخذوها منها . قال : والخلايا الكوائر .

١٨٤ — وقال الواقدى : ورُوِى عن ابن عمر أنه قال : ليس فى الخلايا صدقة .

وقال مالك والثورى : لا زكاة فى العسل و إن كثر ، وهو قول الشافعى .

وقال أبو حنيفة : فى قليل العسل وكثيره إذا كان فى أرض العُشرِ العُشرُ ، و إذا كان فى أرض الخراج فلا شىء عليه ، لأنه لا يجتمع الزكاة والخراج على رجل .

١٨٥ — وقال الواقدى : أخبرنى القاسم بن معن ويعقوب ،

عن أبى حنيفة أنه قال فى العسل ، يكون فى أرض ذمىّ وهى من أرض العشر ، إنه لا عشرَ عليه ، وعلى أرضه الخراج . و إذا كان فى أرض تغلبىّ أُخذ منه الخمس . وقول زُفَر مثلُ قول أبى حنيفة .

وقال أبو يوسف : إذا كان العسل فى أرض الخراج فلا شىء فيه و إذا كان فى أرض العشر ففى كل عشرة أرطال رطل .

وقال محمد بن الحسن: ليس فيما (ص ٥٧) دون خمسة أفراق صدقة وهو قول ابن أبى ذئب .

١٨٦ — وروى خالد بن عبد الله الطحان ،

عن ابن أبى ليلى أنه قال : إذا كان فى أرض الخراج أو العشر ففى كل عشرة أرطال رطل . وهو قول الحسن بن صالح بن حىّ .

١٨٧ — وحدثنى أبو عبيد قال : حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى

عن الزهرى قال : فى كل عشرة زقاق زقّ .

١٨٨ — وحدثنا الحسين بن على بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا عبد الرحمن بن حميد الرقاشى عن جعفر بن نجيح المدينى ،

عن بشر بن عاصم وعثمان بن عبد الله بن أوس أن سفيان بن عبد الله الثقفى كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان عاملاً له على الطائف ، يذكر أن قِبَلَه حيطاناً فيها كروم وفيها من الفرسك والرمّان وما هو أكثر غلة من الكروم أضعافاً، واستأمره فى العشر . قال : فكتب إليه عمر :ليس عليها عشر .

قال يحيى بن آدم : وهو قول سفيان بن سعيد سمعته يقول : ليس فيما أخرجت الأرض صدقة إلا أربعة أشياء : الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، إذا بلغ كل واحد من ذلك خمسة أوسق .

قال : وقال أبو حنيفة فيما أخرجت أرض العشر العشر ولو دستجة بقل . وهو قول زفر .

وقال مالك وابن أبى ذئب ويعقوب : ليس فى البقول وما أشبهها صدقة .

وقالوا : ليس فيما دون خمسة أوسق من الحنطة والشعير والذُّرة والسُّلْت والزّوَان والتمر والزّبيب والأرزّ والسمسم والجُلُبّان وأنواع الحبوب التى تُكال وتدّخر مع العدس واللّوبيا والحِمّص والماش والدُّخْن صدقة ، فإذا بلغت خمسة أوسق ففيها صدقة . قال الواقدى : وهذا قول ربيعة بن أبى عبد الرحمن .

وقال الزهرى : التوابل والقَطَانى كلها تزكّى .

وقال مالك : لا شىء فى الكمّثرى ، والفرسك وهو الخَوْخ ، ولا فى الرمّان وسائر أصناف الفواكه الرطبة من صدقة . وهو قول ابن أبى ليلى .

قال أبو يوسف : ليس الصدقة إلا فيما (ص ٥٨) وقع عليه القفيز وجرى عليه الكيل .

وقال أبو الزناد وابن أبي ذئب وابن أبي سبرة : لا شيء في الخضر والفواكه من صدقة ، ولـكن الصدقة في أثمانها ساعةَ تُباع .

١٨٩ — وحدثني عباس بن هشام عن أبيه ،

عن جده أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عثمان بن أبي العاصي الثقفي على الطائف .

تَبَالَة وجُرَش

١٩٠ — حدثنى بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر ،

عن الزهرى قال : أسلم أهل تَبَالَة وجُرَش عن غير قتال . فأقرّهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ما أسلموا عليه ، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً ، واشترط عليهم ضيافة المسلمين ، وولّى أبا سفيان بن حرب جُرَش .

تَبُوك وأَيْلَة وأَذْرُح ومَقنا والجَرْباء

١٩١ — قالوا : توجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبوك من أرض الشام ، لغزو من انتهى إليه أنه قد تجمّع له من الروم وعاملة ولَخْم وجُذام وغيرهم ، وذلك فى سنة تسع من الهجرة ، لم يلق كيداً . فأقام بتبوك أياماً ، فصالحه أهلها على الجزية . وأتاه وهو بها يُحَنَّة بن رؤبة صاحب أَيْلَة ، فصالحه على أن جعل له على كل حالم بأرضه فى السنة ديناراً . فبلغ ذلك ثلاث مئة دينار . واشترط عليهم قِرى من مرّ بهم من المسلمين ، وكتب لهم كتاباً بأن يُحْفَظوا ويُمْنَعوا .

١٩٢ — فحدثنى محمد بن سعد قال : حدثنا الواقدى عن خالد بن ربيعة ،

عن طلحة الأيلى أن عمر بن عبد العزيز كان لا يزداد من أهل أيلة على ثلاث مئة دينار شيئاً . وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل أَذْرُح على مئة دينار فى كل رجب . وصالح أهل الجرباء على الجزية وكتب لهم كتاباً . وصالح (ص ٥٩) أهل مَقْنا على ربع عروكهم — والعروك خشب يُصطاد عليه —

وربع كراعهم وحلقتهم وعلى ربع ثمارهم ، وكانوا يهودا . وأخبرنى بعض أهل مصر أنه رأى كتابهم بعينه فى جلد أحمر دارس الخط ، فنسخه وأملى علىّ نسخته .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى بنى حبيبة وأهل مقنا . سلم أنتم . فإنه أُنزل علىّ أنكم راجعون إلى قريتكم ، فإذا جاءكم كتابى هذا فإنكم آمنون ، ولكم ذمة الله وذمة رسوله . وإن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم وكلّ دمٍ أُتبِعتم به ، لا شريك لكم فى قريتكم إلا رسول الله أو رسول رسول الله ، وإنه لا ظلم عليكم ولا عدوان . وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيركم مما يجير منه نفسه ، فإنّ لرسول الله بِزّتكم ورقيقكم والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسولُ الله أورسول رسول الله . وإن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم ، وربع ما صادت عُرُكُكم ، وربع ما اعتزلت نساؤكم . وإنكم قد برئتم بعد ذلكم ورفعكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل جزية وسخرة . فإن سمعتم وأطعتم فعلى رسول الله أن يكرِّم كريمكم ويعفو عن مسيئكم ، ومن ائتمر فى بنى حبيبة وأهل مَقْنا من المسلمين خيراً فهو خَيْرٌ له ، ومن أطلعهم بشرٍّ فهو شرٌّ له . وليس عليكم أميرٌ إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكتب علىّ بن أبو طالب فى سنة تسع (ص ٦٠)[1] .

(١) فى هامش الأصل A ما يلى: يقول الراجى رحمة ربه محمد بن احمد بن عساكر انه كذا فى الأصل مضبوط ما صورته فى آخر الكتاب وكتب على بن أبو طالب فى سنة تسع . وكذا الحكاية عن جملة الكتب التى بيد يهود منسوبة إلى خط على كرم الله وجهه . وفى هذا نظر لذى فهم يتأمله يبين له أن هذا الكتاب مفتعل والدليل عليه من وجهين : أحدهما أن علياً كرم الله وجهه هو الذى اخترع الكلام فى علم النحو خشية من أخلاط كلام العرب بكلام النبط ، فما كان عليه السلام ليخشى من شىء ويعتمد ما يؤدى إلى الالتباس . والثانى أن صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مقنا انما كان فى غزوة تبوك على ما هو مذكور فى هذا الكتاب ، ولا خلاف أن علياً لم يكن مع النبى عليه السلام فى غزوة تبوك فكيف ينسب هذا الكتاب إليه؟ وفى هذا كفاية .

دُومَة الجَنْدَل

١٩٣ — قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك الكندى ثم السَّكُونى بدُومة الجندل فأخذه أسيراً ، وقتل أخاه وسلبه قباء ديباج منسوجاً بالذهب ، وقدم بأُكَيْدِر على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وكتب له ولأهل دُومة كتاباً نسخته :

« هذا كتاب من محمد رسول الله لأُكَيْدِر حين أجاب إلى الاسلام وخلع الأنداد والأصنام ولأهل دُومة . إنّ لنا الضاحية من الضَّحْل ، والبور ، والمعامى ، وأغْفال الأرض ، والحلقة والسلاح ، والحافر والحصن ، ولكم الضامنة من النخل والمَعين من المعمور . لا تُعْدَل سارحتكم ، ولا تُعَدّ فاردتكم ، ولا يُحْظَرُ عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها . عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم به الصدق والوفاء . شهد الله ومَنْ حضر من المسلمين . »

الضاحى البارز ، والضَّحْل الماء القليل ، والبور الأرض التى لم تُستخرج ولم تعتمل ، والمعامى الأرض المجهولة ، والأغفال التى لا آثار فيها ، والحلقة الدروع ، والحافر الخيل والبرازين والبغال والحمير ، والحصن حصنهم ، والضامنة النخيل (ص٦١) الذى معهم فى الحصن ، والمعين الماء الظاهر الدائم . وقوله : لا تُعْدَل ما شيتكم أى لا نصدّقها إلا فى مراعيها ومواضعها لا نحشرها ، وقوله : لا تُعَدّ فاردتكم يقول : لا تُضمّ الفاردةُ إلى غيرها ثم يصدّق الجميع فيجمع بين متفرق .

١٩٤ — وحدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه .

عن جده قال : وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر ، فقدم به عليه فأسلم ، فكتب له كتاباً . فلما قُبض النبى صلى الله عليه وسلم

منع الصدقة ونقض العهد وخرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة ، وابتنى بها بناء سماه دُومَةَ بدومة الجندل . وأسلم حُرَيث بن عبد الملك أخوه على ما فى يده فسلم ذلك له . فقال سُوَيد بن شَبيب الكلبى :

لا يأمَنَنْ قومٌ عِثارَ جُدودِهم كما زال من خَبْتٍ ظعائنُ أُكدرا

قال : وتزوج يزيد بن معاوية ابنة حُرَيْث أخى أُكَيْدِر .

قال العباس : وأخبرنى أبى عن عُوانة بن الحكم أن أبا بكر كتب إلى خالد ابن الوليد وهو بعين التمر يأمره أن يسير إلى أُكَيْدِر . فسار إليه فقتله وفتح دُومة. وكان قد خرج منها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عاد إليها ، فلما قتله خالد مضى إلى الشام .

١٩٥ — وقال الواقدى : لما شخص خالد من العراق يريد الشام مرّ بدُومة الجندل ففتحها وأصاب سبايا ، فكان فيمن سبا منها ليلى بنت الجودىّ الغسانى . ويقال إنها أُصيبت فى حاضرٍ من غسان (ص ٦٢) ، أصابتها خيل له . وابنة الجودىّ هى التى كان عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق هويها وقال فيها :

تذكرتُ ليلىٰ والسَّماوةُ بيننا وما لابْنةِ الجودِىّ ليلىٰ وماليا

فصارت له فتزوجها ، وغلبت عليه حتى أعرض عن من سواها من نسائه . ثم إنها اشتكت شكوى شديدة ، فتغيّرت فقلاها ، فقيل له : متّعْها وردّها إلى أهلها . ففعل .

وقال الواقدى : كان النبى صلى الله عليه وسلم غزا دُومة الجندل فى سنة خمس فلم يلق كيداً ، ووجّه خالدَ بن الوليد إلى أُكَيْدِر فى شوال سنة تسع بعد إسلام خالد بن الوليد بعشرين شهراً .

١٩٦ — وسمعت بعض أهل الحيرة يذكر أن أُكَيْدِر وإخوتَه كانوا ينزلون دُومة الحيرة . وكانوا يزورون أخوالهم من كلب فيتغرّبون عندهم . فإنهم لمعهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينةٌ متهدّمة لم يبق إلا بعضُ حيطانها ، وكانت مبنيةً بالجندل . فأعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون وغيرَه، وسموها دُومة الحيرة .

١٩٧ — وحدثنى عمرو بن محمد الناقد عن عبد الله بن وهب المصرى عن يونس الأيلى، عن الزهرى قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بن المغيرة إلى أهل دُومة الجندل . وكانوا من عباد الكوفة : فأسر أكَيْدِر رأسهم فقاضاه على الجزية .

صلح نجْران

١٩٨ — حدثني بكر بن الهيثم قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن (ص ٦٣) سعد عن يونس بن يزيد الأيلي ،

عن الزهري قال : أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم السيدُ والعاقبُ وافدا أهل نجران اليمن فسألاه الصلح . فصالحهما عن أهل نجران على ألفي حُلّة في صفر وألفِ حُلة في رجب ، ثمن كل حلة أوقية ، والأوقية وزن أربعين درهما . فإن أدّوا حلة بما فوق الأوقية حُسب لهم فضل ذلك ، وإن أدّوها بما دون الأوقية أُخذ منهم النقصان ، وعلى أن يؤخذ منهم ما أعطوا من سلاحٍ أو خيلٍ أو ركابٍ أو عَرَضٍ من العروض بقيمته قصاصاً من الحُلل ، وعلى أن يضيفوا رسلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً فما دونه ولا يحبسوهم فوق شهر ، وعلى أنّ عليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إن كان باليمن كيد ، وأنّ ماهلك من تلك العارية فالرسل ضامنون له حتى يردّوه ، وجعل لهم ذمة الله وعهدَه ، وأن لا يُفتنوا عن دينهم ومراتبهم فيه ، ولا يُحشروا ولا يُعْشروا . واشترط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به .

١٩٩ — حدثني الحسين بن الأسود حدثنا وكيع قال : حدثنا مبارك بن فضالة ،

عن الحسن قال : جاء راهبا نجْران إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فعرض عليهما الاسلام فقالا : إنا قد أسلمنا قبلك . فقال : كذبتما . يمنعكما من الاسلام ثلاث : أكلكما الخنزير ، وعبادتكما الصليب ، وقولكما لله ولد . قالا : فمن أبو عيسى ؟ — قال الحسن : وكان صلى الله عليه وسلم لا يعجل حتى يأمره ربه — فأنزل الله تعالى : ﴿ذلكَ نَتْلُوه عليكَ من الآيات والذِكرِ الحكيم . إنّ مَثَلَ عيسى ...

عندَ الله كَمَثَلِ آدم خَلَقَهُ من تُراب ثم قال له كنْ فيكون . — إلى قوله — الـكاذِبين[١]﴾ . فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ، ثم دعاهما إلى المباهلة وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين . فقال أحدُهما لصاحبه : اصعد الجبل ولا تباهله ، فإنك إن باهلته بُوءْت باللعنة . قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهله .

٢٠٠ — حدثنى الحسين قال : حدثنى يحيى بن آدم قال : أخذتُ نسخة كتاب (ص ٦٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران من كتاب رجل عن الحسن بن صالح رحمه الله وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا ما كتب النبىّ رسولُ الله محمد لنجران إذ كان له عليهم حكمة فى كل ثمرة وصفراء و بيضاء وسوداء ورقيق ، فأفضل عليهم وترك ذلك ألفى حُلَّة حُلل الأواقى . فى كل رجب ألف حُلَّة وفى كل صفر ألف حلة . كل حُلة أوقية ، وما زادت حُلل الخراج أو نقصت عن الأواقى فبالحساب ، وما قَضَوا من درع أو خيل أو رِكاب أو عرض أُخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مَثْواةُ رسلى شهراً فدونه ، ولا يحبس رسلى فوق شهر ، وعليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً ، إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة — أى إذا كان كيد بغدرٍ منهم — وما هلك مما أعاروا رسلى من خيل أو رِكاب فهم ضُمَّنٌ حتى يردّوه إليهم . ولنجران وحاشيتها جوارُ الله وذمةُ محمد النبى رسول الله على أنفسهم ، وملّتهم ، وأرضهم ، وأموالهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وغيرهم ، و بعثهم ، وأمثلتهم[٢]، لا يُغيَّر ما كانوا عليه ولا يغيَّر حق من حقوقهم وأمثلتهم ، لا يُفتن أسقف من أسقفيّته ، ولا راهبٌ من رهبانيته ، ولا واقهٌ

(١) السورة ٣ ، الآية ٥٨ وما بعدها .

(٢) فى هامش الأصل « أمثلتهم الصلبان والصور » .

من وقاهيّته ، على ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، وليس عليهم رَهَقٌ ولا دمُ جاهلية ، ولا يُحشرون ولا يُعْشرون ، ولا يطأ أرضَهم جيشٌ ، مَنْ سأل منهم حقاً فبينهم النَّصَفُ غير ظالمين ولا مظلومين بنجران ، ومن أكل منهم ربًا من ذى قبل فذمّتى منه بريئة ، ولا يؤخذ منهم رجلٌ بظلم آخر ، ولهم على ما فى هذه الصحيفة جوارُ الله وذمةُ محمد النبى أبداً حتى يأتى أمر الله ، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم ، غير مكلفين شيئاً بظلم » . شهد أبو سفيان ابن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن (ص ٦٥) عوف من بنى نصر والأقرع ابن حابس الحنظلى والمغيرة وكتب .

وقال يحيى بن آدم : وقد رأيت كتاباً فى أيدى النجرانيين كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة وفى أسفله « وكتب علىّ بن أبو طالب » ولا أدرى ما أقول فيه .

٢٠١ — قالوا : ولما استُخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه حملهم على ذلك . فكتب لهم كتاباً على نحو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما استُخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه أصابوا الربا وكثروا . فخافهم على الإسلام فأجلاهم وكتب لهم :

« أما بعد فمن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسّعهم من حَرْث الأرض ، وما اعتملوا من شىء فهو لهم مكان أرضهم باليمن » .

فتفرقوا . فنزل بعضهم الشام ، ونزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة ، وبهم سُمّيت . ودخل يهودُ نجْران مع النصارى فى الصلح ، وكانوا كالأتباع لهم . فلما استُخلف عثمان بن عفان كتب إلى الوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيْط وهو عامله على الكوفة :

« أما بعد فإن العاقب والأسقف وسَراة نجران أتونى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرونى شرط عمر . وقد سألت عثمان بن حُنَيْف عن ذلك

فأنبأني أنه كان بحث عن أمرهم فوجده ضاراً للدهاقين لردعهم عن أرضهم . و إني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حُلَّة لوجه الله ، وعقبي لهم من أرضهم . و إني أوصيك بهم فإنهم قوم لهم ذمة » .

٢٠٢ — وسمعت بعض العلماء يذكر أنّ عمر كتب لهم :

« أما بعد ، فمن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسِّعهم من حَرْث الأرض . وسمعت بعضهم يقول : من جَريب الأرض » .

٢٠٣ — وحدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي قال : حدثنا حماد بن سلمة عن يحيي بن سعيد عن اسماعيل بن حكيم ،

عن عمر بن عبد العزيز أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : لا يبقينَّ دينان في أرض العرب . فلما استُخلف عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه أجلى أهل نجران إلى النجرانيَّة ، واشترى عقاراتهم (ص ٦٦) وأموالهم .

٢٠٤ — وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه ،

عن جده قال : سُمّيتْ نجران اليمن بنجران بن زيد بن سبأ بن يَشْجُب ابن يَعْرُب بن قحطان .

٢٠٥ — وحدثني الحسين بن الأسود قال : حدثنا وكيع بن الجراح قال : حدثنا الأعمش

عن سالم بن أبي الجَعْد قال : كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفاً ، فتحاسدوا بينهم ، فأتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا : أجْلِنا . وكان عمر قد خافهم على المسلمين ، فاغتنمها فأجلاهم . فندموا بعد ذلك وأتوه فقالوا : أقِلْنا . فأبى ذلك . فلما قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أتوه فقالوا : ننشدك

خطك بيمينك ، وشفاعتك لنا عند نبيك ، إلاّ أقلتنا . فقال : إنّ عمر كان رشيد الأمر وأنا أكره خلافه .

٢٠٦ — وحدثنى أبو مسعود الكوفى قال : حدثنى محمد بن مروان والهيثم بن عدىّ ، عن الكلبى أن صاحب النجرانيّة بالكوفة كان يبعث رسله إلى جميع مَنْ بالشام والنواحى من أهل نجران فيَجْبونهم مالاً يقسمه عليهم لإقامة الحلل .

فلما وُلّى معاوية أو يزيد بن معاوية شكوا إليه تفرّقهم وموتَ مَنْ مات وإسلامَ من أسلم منهم ، وأحضروه كتاب عثمان بن عفان بما حطّهم من الحلل ، وقالوا : إنما ازددنا نقصاناً وضعفاً . فوضع عنهم مائتى حُلة تتمة أربع مئة حُلة .

فلما وُلّى الحجّاجُ بن يوسف العراق وخرج ابن الاشعث عليه اتّهم الدهاقين بموالاته واتّهمهم معهم ، فردّهم إلى ألف وثمان مئة حُلة ، وأخذهم بحللِ وَشْيٍ .

فلما وُلّى عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم ونقصانَهم ، وإلحاحَ الأعراب بالغارة عليهم ، وتحميلَهم إيّاهم المؤن المجحفة بهم ، وظُلْمَ الحجاج إيّاهم . فأمر فأُحصوا ، فوُجدوا على العشر من عِدّتهم الأولى ، فقال : أرى هذا الصلح جزيةً على رؤوسهم وليس هو بصلح عن أرضيهم ، وجزية الميت والمسلم ساقطة . فألزمهم مائتى حُلة قيمتها ثمانية آلاف درهم .

فلما وُلّى يوسف بن عمر العراق فى أيام الوليد بن يزيد (ص ٦٧) ردّهم إلى أمرهم الأول عصبيةً للحجاج .

فلما استُخلف أمير المؤمنين أبو العباس رحمه الله عمدوا إلى طريقه يوم ظُهْرٍ بالكوفة ، فألقوا فيه الريحان ونثروا عليه وهو منصرف إلى منزله من المسجد . فأعجبه ذلك من فعلهم ، ثم إنهم رفعوا إليه فى أمرهم وأعلموه قلّتَهم وما كان

من عمر بن عبد العزيز ويوسف بن عمر ، وقالوا : إن لنا نسباً فى أخوالك بنى الحارث بن كعب ، وتكلم فيهم عبد الله بن الربيع الحارثى ، وصدّقهم الحجّاجُ بن أرطاة فيما ادّعوا ، فردّهم أبو العباس ، صلوات الله عليه ، إلى مائتى حُلة قيمتها ثمانية آلاف درهم .

قال أبو مسعود : فلما استُخلف الرشيد هارون أمير المؤمنين وشخص إلى الكوفة يريد الحج ، رفعوا إليه فى أمرهم ، وشكوا تعنّتَ العمال إيّاهم . فأمر فكُتب لهم كتابٌ بالمائتى حُلة قد رأيتُه . وأمر أن يُعْفَوا من معاملة العمال ، وأن يكون مؤدّاهم بيت المال بالحضرة .

٢٠٧ — حدثنا عمرو الناقد قال : أخبرنا عبد الله بن وهب المصرى عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزُّهرى قال : أُنزلت فى كفار قريش والعرب ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكون الدينُ لله ﴾[1] وأُنزلتْ فى أهل الكتاب ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخرِ ، ولا يُحرِّمون ما حرّم الله ورسولُه ، ولا يدينون دين الحق ، إلى قوله صاغرون ﴾[2] فكان أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما علمنا ، وكانوا نصارى ، ثم أعطى أهل أيْلَة وأذرُح وأهل أذْرِعات الجزية فى غزوة تبوك .

(١) السورة ٢ ، الآية ١٩٣
(٢) السورة ٩ ، الآية ٢٩

اليمن

٢٠٨ — قالوا : لما بلغ أهلُ اليمن ظهورَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلوَّ حقه أتته وفودُهم (ص ٦٨) . فكتب لهم كتاباً بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم وأرضيهم وركازهم ، فأسلموا . ووجّه إليهم رُسُلَه وعمالَه لتعريفهم شرائع الإسلام وسُنَنَه وقبضِ صدقاتهم وجِزَىٰ رؤوسِ مَنْ أقام على النصرانية واليهودية والمجوسية منهم .

٢٠٩ — حدثنا الحسين بن الأسود قال : حدثنا وكيع بن الجراح قال : حدثنا يزيد ابن ابراهيم التسترى ،

عن الحسن قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن : من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم ، له ذمة الله وذمة رسوله ، ومَنْ أبى فعليه الجزية .

٢١٠ — وحدثنى هُدْبَة قال : حدثنا يزيد بن ابراهيم عن الحسن بمثله .

٢١١ — قال الواقدى : وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن سعيد ابن العاص أميراً إلى صنعاء وأرضِها .

قال : وقال بعضُهم : وَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبى أميّة ابن المغيرة المخزومى صنعاء ، فقُبِض وهو عليها .

قال : وقال آخرون : إنما وَلّى المهاجرَ صنعاءَ أبو بكر الصِدّيق رضى الله عنه ، وولّى خالدَ بن سعيد مخاليفَ أعلى اليمن .

٢١٢ — وقال هشام بن الكلبي والهيثم بن عدى : وَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرَ كِنْدةَ والصّدِف . فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب أبو بكر إلى زياد بن لَبيد البَياضى، من الأنصار، بولاية كِنْدَة والصّدِف إلى ما كان يتولى من حَضْرَمَوْت . وولّى المهاجرَ صنعاء ، ثم كتب إليه بإنجاد زيادِ بن لَبيد ، ولم يعزله عن صنعاء .

٢١٣ — وأجمعوا جميعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولّى زيادَ بن لبيد حَضْرَمَوْت .

٢١٤ — قالوا : وولّى النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعرى زَبيد ورِمَع وَعَدن والساحل .

وولّى معاذَ بن جَبَل الجَنَدَ ، وصيّر إليه القضاء ، وقبضَ جميع الصدقات باليمن .

وولّى نجران عمروَ بن حَزْم الأنصارى ، ويقال إنه ولّى أبا سفيان بن حرب نجران بعد عمرو بن حَزْم .

٢١٥ — وأخبرنى عبد الله بن صالح المقرىء . قال : حدّثنى الثقة عن ابن لَهيعة عن أبى الأسود ،

عن عُرْوة بن الزبير أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى (ص٦٩) زُرْعة بن ذى يزن :

« أما بعد ، فإذا أتاكم رسولى مُعَاذُ بن جَبَل وأصحابُه فاجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية فأبلغوه ذلك ، فإن أميرَ رُسلى معاذ ، وهو من صالحى مَنْ

فبلى ، و إن مالك بن مُرارة الرّهاوى حدثنى أنك قد أسلمتَ أولَ حِمْيرَ وفارقتَ المشركين ، فأبشرْ بخير . وأنا آمركم يا معشر حِمْير ألاّ تخونوا ولا تُحادّوا ، فإنّ رسول الله مولى غنيّكم وفقيركم . و إن الصدقة لا تحلّ لمحمد ، ولا لآله ، إنما هى زكاةٌ تزكّون بها هى لفقراء المسلمين والمؤمنين . و إن مالكاً قد بلغ الخبر وحفظ الغيب ، و إن معاذاً من صالحى أهلى وذوى دينهم ، فآمركم به خيراً ، فإنه منظور إليه والسلام » .

٢١٦ — وحدثنى الحسين بن الأسود قال : حدثنى يحيي بن آدم قال : حدثنا يزيد ابن عبد العزيز ،

عن عمرو بن عثمان بن مَوْهِب قال : سمعت موسى بن طلحة يقول : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعاذ بن جَبَل على صدقات اليمن ، وأمره أن يأخذ من النخل والحنطة والشعير والعنب ، أو قال الزبيب ، العُشرَ ونصف العُشر .

٢١٧ — وحدثنى الحسين قال : حدثنى يحيى بن آدم قال : حدثنا زياد ،

عن محمد بن اسحاق أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمرو بن حَزْم حين بعثه إلى اليمن :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيانٌ من الله ورسوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾[1] . عهدٌ من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حَزْم حين بعثه إلى اليمن : أمره بتقوى الله فى أمره كلّه ، وأن يأخذ من المغانم خُمس الله ، وما كُتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عُشْرَ ما سقى البعلُ وسقت السماء ، ونصفَ العُشر مما سقى الغرب » .

(١) السورة ٥ ، الآية ١ .

٢١٨ — وحدثني الحسين قال : حدثني يحيى بن آدم قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ،

عن محمد بن اسحاق قال : كتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك حِمْيرَ :

« بسم (ص ٧٠) الله الرحمن الرحيم :

من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كُلال و نعَيْم بن عبد كُلال وشَرْح بن عبد كُلال و إلى النعمان قَيْلِ ذى رُعَيْن ومَعَافِر و هَمْدان .

أما بعد ، فإن الله قد هداكم بهدايته ان أصلحتم وأطعتم الله ورسولَه ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة من المغانم خُمْسَ الله وسهمَ النبي وصفيّه ، وما كتب الله على المؤمنين من الصدقة من العقار عُشرَ ما سقت العين وسقت السماء ، وما سُقى بالغرب نصفَ العُشر » .

٢١٩ — وقال هشام بن محمد الكلبي : كان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَريب والحارث ابنيْ عبد كُلال بن عَريب بن ليشرح .

٢٢٠ — وحدثنا يوسف بن موسى القطان قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد قال : حدثنا منصور ،

عن الحكم قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مُعاذ بن جَبَل وهو باليمن :

إنّ فيما سقت السماء أو سُقى غَيْلاً العُشْرَ ، وفيما سُقى بالغرب والدالية نصفَ العُشر ، و إنّ على كل حالم ديناراً أو عَدْل ذلك من المعافر ، وأن لا يفتن يهودى عن يهوديّته .

قالوا : الغَيْل السَّيْح ، والغَرب الدلو ، يعني ما سُقي بالسَّواني والدوالي والدواليب والغرَّافات ، والبعل السَّيْح أيضاً ، والمعافر ثياب لهم .

٢٢١ — حدثنا أبو عبيد قال : حدثنا مروان بن معاوية عن الأعمش عن أبي وائل ،

عن مسروق قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعاً ، ومن كل أربعين مُسِنَّة ، ومن كل حالم ديناراً ، أو عَدْل ذلك من المعافر .

٢٢٢ — وحدثني الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيي بن آدم قال : حدثني شيبان البرجمي عن عمرو ،

عن الحسن قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوسِ هَجَر ، ومجوسِ أهل اليمن ، وفرض على كل مَنْ بلغ الحُلم من مجوس اليمن ، مِن رجل أو امرأة ، ديناراً أو قيمته من المعافر . (ص ٧١) .

٢٢٣ — حدثنا عمرو الناقد عن عبد الله بن وهب عن مسلمة بن علي عن المُثنَّى ابن الصبَّاح عن عمرو بن شعيب عن أبيه ،

عن جده أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض الجزية على كل محتلم من أهل اليمن دينارا .

٢٢٤ — حدثنا شيبان بن أبي شيبة الأبلي قال : حدثنا قَزَعة بن سويد الباهلي قال : سمعت زكريا بن اسحاق يحدث عن يحيي بن صيفي أو أبي معبد ،

عن ابن عباس قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعاذ بن جَبَل إلى اليمن قال : «أما إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فقلْ لهم : إنَّ الله فرض

عليكم فى اليوم والليلة خمسَ صلوات ، فإن أطاعوك فقلْ : إنّ الله فرض عليكم فى السنة صومَ رمضان ، فإن أطاعوك فقلْ : إنّ الله فرض عليكم حجّ البيت مَن استطاع إليه سبيلا ، فإن أطاعوك فقلْ : إنّ الله قد فرض عليكم فى أموالكم صدقةً تُؤخذ من أغنيائكم فَتُرَدّ فى فقرائكم ، فإن أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم . وإياك ودعوةَ المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ ولا ستر » .

٢٢٥ — حدثنا شيبان قال : حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا الحجاج بن أرطاة ،

عن عثمان بن عبد الله أنّ المغيرة بن عبد الله قال : قال الحجّاج : صدّقوا كل خضراء . فقال أبو بُرْدة بن أبى موسى : صدق . فقال موسى بن طلحة لأبى بُرْدة : هذا الآن يزعم أن أباه كان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعاذ بن جَبَل إلى اليمن فأمره أن يأخذ الصدقة من التمر والبُرّ والشعير والزبيب .

٢٢٦ — وحدثنى عمرو الناقد قال : حدثنا وكيع عن عمرو بن عثمان ،

عن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال : قرأت كتاب مُعاذ بن جَبَل ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فكان فيه أن تؤخذ الصدقة من الحنطة والشعير والتمر والزبيب والذُرة .

٢٢٧ — حدثنا على بن عبد (ص ٧٢) الله المدينى قال : حدثنا سفيان بن عيينة ،

عن ابن أبى نَجيح قال : سألت مجاهداً لِمَ وضع عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه على أهل الشام من الجزية أكثر مما وضع على أهل اليمن ؟ فقال : لليسار .

٢٢٨ — حدثنا الحسين بن على بن الأسود قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن ابراهيم ابن ميسرة ،

عن طاووس قال : لما أتى معاذ اليمن ، أُتى بأوقاص البقر والعسل ، فقال : لم أومر فى هذا بشىء .

٢٢٩ — وحدثنا الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا عبد الله ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن قيس المازنى عن رجل ،

عن أبيض بن حَمَّال أنه استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الملحَ الذى بمارِب ، فقال رجل : إنه كالماء العِدّ . فأبى أن يُقطعه إياه .

٢٣٠ — وحدثنى القاسم بن سلام وغيره عن اسماعيل بن عياش عن عمرو بن يحيي ابن قيس المازنى عن أبيه عن من حدثه عن أبيض بن حمال بمثله .

٢٣١ — وحدثنى أحمد بن ابراهيم الدورقى قال : حدثنا أبو داود الطيالسى قال : حدثنا شعبة عن سماك عن علقمة بن وائل الحضرمى ،

عن أبيه أنّ النبى صلى الله عليه وسلم أقطعه أرضاً بحضْرَمَوْت .

٢٣٢ — وحدثنى على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف مولى قريش ،

عن مَسْلمة بن مُحارب قال : لما وُلِّى محمد بن يوسف ، أخو الحجاج بن يوسف ، اليمنَ أساء السيرة وظلم الرعية وأخذ أراضى الناس بغير حقّها . فكان مما اغتصبه الحَرَجَة . قال : وضرب على أهل اليمن خراجاً جعله وظيفة عليهم . فلما وُلّى عمرُ ابن عبد العزيز كتب إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر ، وقال : والله لأن لا تأتينى من اليمن حفنة كَتَمٍ أحبُّ إلىَّ من إقرار هذه الوظيفة. فلما وُلّى يزيد بن عبد الملك أمر بردها .

٢٣٣ — حدثنى الحسن بن محمد الزعفرانى عن الشافعى ،

عن أبى عبد الرحمن (ص ٧٣) هشام بن يوسف قاضى صنعاء أنّ أهل خُفَاش أخرجوا كتاباً من أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه فى قطعة أديم يأمرهم فيه أن يؤدّوا صدقة الوَرْس .

وقال مالك ، وابن أبى ذئب ، وجميعُ أهل الحجاز من الفقهاء ، وسفيان الثورى ، وأبو يوسف : لا زكاةَ فى الوَرْس والوَسْمَة والقِرْط والكَتَم والحِنَّاء والورد .

وقال أبو حنيفة : فى قليل ذلك وكثيرِه الزكاة .

وقال مالك : فى الزعفران إذا بلغ ثمنه مائتى درهم و بيع ، خمسة دراهم . وهو قول أبى الزناد .

ورُوى عنه أيضاً أنه قال : لا شىء فى الزعفران .

وقال أبو حنيفة وزُفر : فى قليله وكثيره الزكاة .

وقال أبو يوسف ومحمد بن الحسن : إذا بلغ ثمنه أدنى ثمن خمسة أوسق من تمرٍ أو حنطةٍ أو شعيرٍ أو ذرةٍ أو صنفٍ من أصناف الحبوب ففيه الصدقة .

وقال ابن أبى ليلى : ليس فى الخضر شىء . وهو قولُ الشعبىّ .

وقال عطاء وابراهيم النَّخَعِىّ : فيما أخرجت أرض العُشرِ من قليل وكثير العُشرُ أو نصف العُشر .

٢٣٤ — وحدثنى الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم عن سعيد بن سالم عن الصلت بن دينار ،

عن أبى رجاء العُطَاردى قال : كان ابن عباس بالبصرة يأخذ صدقاتنا حتى دساتج الكُرّاث .

٢٣٥ — وحدثنا الحسين قال : حدثنا يحي بن آدم قال : حدثنا ابن المبارك عن معمر ، عن طاووس وعِكْرِمة أنهما قالا : ليس في الوَرْس والعُطْب، وهو القطن، زكاة.

وقال أبو حنيفة و بشر فى الذمة يملكون الأرضين من أراضى العشر ، مثلُ اليمن التى أسلم عليها أهلها ، والبصرة التى أحياها المسلمون ، وما أقطعته الخلفاء من القطائع التى لا حق فيها لمسلم ولا معاهد : إنّهم يُلزمون الجزية فى رقابهم ، ويوضع الخراج على أرضهم بقدر احتمالها ، ويكون مجرى ما يُجتبى منهم مجرى مال الخراج ، فإن أسلم منهم مسلم وُضِعَتْ عنه الجزية وأُلزم الخراج فى أرضه أبداً على قياس السواد . وهو قول ابن أبى ليلى .

وقال ابن شُبْرُمة وأبو يوسف (ص ٧٤) : يوضع عليهم الجزية فى رقابهم ، وعليهم الضعف مما على المسلمين فى أرضهم ، وهو الخمس أو العشر . وقاسا ذلك على أمر نصارى بنى تغلب .

وقال أبو يوسف : ما أُخذ منهم فسبيلُه سبيلُ الخراج ، فإن أسلم الذمىّ أو خرجت أرضه إلى مسلم صارت عشرّية . قد روى ذلك عن عطاء والحسن .

وقال ابن أبى ذئب وابن أبى سَبْرَة وشريك بن عبد الله النَّخعى والشافعى : عليهم الجزيةُ فى رقابهم ، ولا خراجَ ولا عُشْرَ فى أرضهم ، لأنّهم ليسوا ممن تجب عليه الزكاة ، وليست أرضهم بأرض خراج . وهو قول الحسن بن صالح ابن حىّ الهَمْدانى .

وقال سفيان الثورى ومحمد بن الحسن : عليهم العُشر غير مضعّف ، لأن الحكم حكم الأرض ولا يُنظر إلى مالكها .

وقال الأوزاعى وشريك بن عبد الله : إن كانوا ذمةً مثلَ يهود اليمن التى أسلم أهلها وهم بها لم تأخذ منهم شيئاً غير الجزية ، ولا تدعُ الذمىّ يبتاع أرضاً من أراضى العشر ولا يدخل فيها ، يعنى يملكها به .

وقال الواقدى : سألتُ مالـكا عن اليهودىّ من يهود الحجاز يبتاع أرضاً بالجُرْف فيزرعها . قال : يؤخذ منه العشر . قلت : أو لستَ تزعم أنه لا عشرَ على أرضِ ذمىٍّ إذا ملك أرض عشر ؟ فقال : ذاك اذا أقاموا ببلادهم ، فأما اذا خرجوا من بلادهم فإنها تجارة .

وقال أبو الزناد ومالك بن أنس وابن أبى ذئب والثورى وأبو حنيفة و يعقوب فى التغلبىّ يزرع أرضاً من أرض العُشر : إنه يؤخذ منه ضعف العشر . و إذا اكترى رجلٌ مزرعةً عُشريّةً فإنّ مالـكاً والثورىَّ وابن أبى ذئب و يعقوب قالوا : العُشر على صاحب الزرع .

وقال أبو حنيفة : هو على ربّ الأرض . وهو قول زفر .

وقال أبو حنيفة : إذ لم يؤدِّ رجل عُشْرَ أرضه سنتين فإنّ السلطان يأخذمنه العُشر لما يستأنف ، وكذلك أرض الخراج .

وقال أبو شمْر : يأخذ ذلك منه لِما مضى ، لأنه حقٌ وَجَبَ فى ماله . (ص ٧٥) .

عُمان

٢٣٦ — قالوا : كان الأغلبين على عمان الأزْدُ ، وكان بها من غيرهم بشرٌ كثير فى البوادى . فلما كانت سنة ثمان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا زيد الأنصارى أحدَ الخزرج ، وهو أحدُ من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — واسمه فيما ذكر الكلبىّ قيس بن سَكَن بن زيد بن حرام ، وقال بعض البصريين : اسمه عمرو بن أخْطَب ، جدّ عروة بن ثابت بن عمرو بن أخطب ، وقال سعيد بن أوس الانصارى : اسمه ثابت بن زيد — و بعث عمرو بن العاصى السهمى إلى عَبْدٍ وجَيْفَر ابنىْ الجُلَنْدى بكتاب منه ، يدعوهما فيه إلى الإسلام وقال : إن أجاب القوم إلى شهادة الحق وأطاعوا الله ورسوله فعمرو الأميرُ وأبو زيد على الصلاة وأخذِ الإسلام على الناس وتعليمِهم القرآن والسنن . فلمّا قدم أبو زيد وعمرو عُمان وجدا عبداً وجيفراً بِصُحار على ساحل البحر . فأوصلا كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إليهما ، فأسلما ودعوا العرب هناك إلى الإسلام ، فأجابوا إليه ورغبوا فيه . فلم يزل عمرو وأبو زيد بعُمان حتى قُبض النبى صلى الله عليه وسلم . و يقال إن أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك .

٢٣٧ — قالوا : ولما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت الأزْدُ وعليها لَقِيط بن مالك ذو التاج ، وانحازت إلى دَبّا — و بعضهم يقول دما فى دبا — فوجّه أبو بكر رضى الله عنه إليهم حُذَيْفة بن مِحْصَن البارقى من الأزد وعِكْرِمة ابن أبى جَهْل بن هشام المخزومى فواقعا لقيطاً ومَن معه، فقتلاه وسبيا من أهل دبّا سبياً بعثا به إلى أبى بكر رحمه الله . ثم (ص ٧٦) إن الأزد راجعت الإسلام ،

وارتدّت طوائفُ من أهل عُمان ولحقوا بالشِّحر . فسار إليهم عِكْرِمة ، فظفر بهم وأصاب منهم مغنماً ، وقتل بشراً . وجمع قومٌ من مَهْرَة بن حَيْـدان بن عمرو ابن الحاف بن قضاعة جمعاً ، فأتاهم عِكْرِمة فلم يُقاتلوه وأدّوا الصدقة . وولّى أبو بكر رضى الله عنه حُذيفة بن مِحْصَن عُمان ، فمات أبو بكر وهو عليها ، وصُرِف عِكْرِمة ووُجِّهَ إلى اليمن .

ولم تزل عُمان مستقيمةَ الأمرِ يؤدّى أهلُها صدقات أموالها ويؤخذ ممن بها من الذمة جزية رؤسهم حتى كانت خلافة الرشيد صلوات الله عليه ، فولاّها عيسى ابن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس . فخرج إليها بأهل البصرة ، فجعلوا يفجرون بالنساء و يسلبونهم و يُظهرون المعازف . فبلغ ذلك أهل عُمان، وجُلّهم شُراةٌ ، فحاربوه ومنعوه من دخولها ، ثم قدروا عليه فقتلوه وصلبوه ، وامتنعوا على السلطان فلم يُعطوه طاعة ، وولّوا أمرهم رجلاً منهم .

وقد قال قوم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وجّه أبا زيد بكتابه إلى عَبْد وجَيْفَر ابنىْ الجُلَنْدىٰ الأزديَيْن فى سنة ست، ووجه عمراً فى سنة ثمان ، بعد إسلامه بقليل . وكان إسلامُه و إسلامُ خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدى فى صفر سنة ثمان ، أقبل من الحبشة حتى أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، و إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى زيد : خذ الصدقةَ من المسلمين والجزيةَ من المجوس .

٢٣٨ — حدثنى أبو الحسن المدائنى ،

عن المبارك بن فُضالة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عـدىّ بن أرْطاة الفزارى عامله على البصرة :

« أما بعد فإنى كنتُ كتبتُ إلى عمرو بن عبد الله أن يقسم ما وُجد بعُمان من عشور التمر والحب فى فقراء أهلها ، ومَنْ سقط إليها من أهل البادية ، ومَنْ أضافته إليها الحاجةُ والمسكنة وانقطاع السبيل . فكتب إلىّ أنه سأل عاملك قِبَله عن (ص ٧٧) ذلك الطعام والتمر فذكر أنّه قد باعه وحمل إليك ثمنه ، فارْدُدْ إلى عمرو ما كان حمل إليك عاملُك على عُمان من ثمن التمر والحب ، ليضعه فى المواضع التى أمرتُه بها ويصرفه فيها إن شاء الله والسلام » .

البَحْــــرين

٢٣٩ — قالوا : وكانت أرضُ البحرين من مملـكة الفُرس ، وكان بها خلق كثير من العرب من عبد القيس و بكر بن وائل وتميم مقيمين فى باديتها . وكان على العرب بها من قِبَل الفُرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر ابن ساوى أحدُ بنى عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة — وعبد الله بن زيد هذا هو الأسْبَذِى ، نُسب إلى قرية بِهَجَر يقال لها الأسْبَذ ، ويقال إنه نسب إلى الأسْبَذيّين ، وهم قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين — فلما كانت سنة ثمان وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمى ، حليفَ بنى عبد شمس ، إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية ، وكتب معه إلى المنذر بن ساوى والى سِيبُخْت مرزبان هَجَر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية . فأسلما وأسلم معهما جميعُ العرب هناك و بعضُ العجم . فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنّهم صالحوا العلاء ، وكتب بينه و بينهم كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ماصالح عليه العلاء بن الحضرمى أهل البحرين: صالحهم على أن يكفونا العمل ويُقاسمونا التمر ، فمن لم يف بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالم (ص ٧٨) ديناراً .

٢٤٠ — حدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن الـكلبى عن أبى صالح ،

عن ابن عباس قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين :

« أما بعد ، فإنكم إذا أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، ونصحتم الله ورسوله ، وآتيتم عشُر النخل ، ونصف عُشر الحب ، ولم تمجّسوا أولادكم ، فلكم ما أسلمتم عليه ، غير أنّ بيت النار لله ورسوله ، وإن أبيتم فعليكم الجزية » .

فكره المجوس واليهود الإسلام وأحبّوا أداء الجزية . فقال منافقو العرب : زعم محمد لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب وقد قبلها من مجوس هَجَر ، وهم غير أهل كتاب . فنزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكم مَن ضَلَّ إذا اهتديتم ﴾(١) . وقد قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجّه العلاء حين وجّه رسله إلى الملوك فى سنة ست .

٢٤١ — وحدثنى محمد بن مُصَفّى الحمصى قال : حدثنا محمد بن المبارك قال : حدثنا عتاب بن زياد قال : حدثنى محمد بن ميمون عن مغيرة الأزدى عن محمد بن زيد بن حيّان الأعرج ،

عن العلاء بن الحضرمىّ قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البحرين ، أو قال هَجَر ، وكنت آتى الحائط بين الأخوة قد أسلم بعضهم فآخذ من المسلم العُشر ومن المشرك الخراج .

٢٤٢ — وحدثنا القاسم بن سلاّم قال : حدثنا عثمان بن صالح عن عبد الله بن لَهِيعَة عن أبى الأسود ،

عن عُروة بن الزبير أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل هَجَر : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبى إلى أهل هجر . سِلْمٌ أنتم . فإنى أحمدُ إليكم الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإنى أوصيكم بالله وبأنفسكم ألاّ تضلوا بَعْدَ إذْ هُديتم ، ولا تغووْا

(١) السورة ٥ ، الآية ١٠٥

بعد إذ رشدتم . أما بعد فإنه قد أتانى الذى صنعتم وأنه من يُحسن منكم لا يُحمل عليه ذنبُ المسىء ، فإذا جاءكم أمرائى فأطيعوهم وانصروهم (ص ٧٩) وأعينوهم على أمر الله وفى سبيله ، فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضلّ له عند الله وعندى ، وأما بعد فقد جاءنى وفدكم فلم آتِ إليهم إلا ما سرّهم ، وإنى لو جهدتُ حقى فيكم كله أخرجتكم من هَجَر ، فشفّعتُ غائبكم وأفضلتُ على شاهدكم ﴿ فاذكروا نعمة الله عليكم ﴾[1] .

٢٤٣ — حدثنى الحسين بن الأسود قال : حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان النحوى ،

عن قتادة قال : لم يكن بالبحرين فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال ، ولكنّ بعضَهم أسلم وبعضَهم صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر .

٢٤٤ — وحدثنى الحسين قال : حدثنى يحيى بن آدم قال : حدثنا الحسن بن صالح عن أشعث ،

عن الزهرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر .

٢٤٥ — وحدثنى الحسين قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا قيس بن الربيع عن قيس ابن مسلم ،

عن الحسن بن محمد قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هَجَر يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا فلهم مالنا وعليهم ما علينا ، ومَنْ أبى فعليه الجزية ، فى غير أكلٍ لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم .

٢٤٦ — وحدثنى الحسين قال : حدثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك عن يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى ،

عن سعيد بن المسيّب قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية

(١) اقتباس من الآية ٢٣١ ، السورة ٢ .

من مجوس هَجَر ، وأخذها عمر من مجوس فارس ، وأخذها عثمان من بربر .

٢٤٧ — وحدثنا الحسين قال : حدثنا يحيى قال : حدثنا عبد الله بن ادريس عن مالك ابن أنس عن الزهرى بمثله .

٢٤٨ — وحدثنا عمرو الناقد قال : أخبرنا عبد الله بن وهب عن يحيى بن عبد الله ابن سالم بن عبد الله بن عمر ،

عن موسى بن عُقْبة أنّ النبى صلى الله عليـــه وسلم كتب إلى منذر ابن ساوى :

« من محمد النبى إلى مُنْذر بن ساوى . سِلْمٌ أنتَ . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إلهَ إلاّ هو . أما بعد فإن كتابك جآءنى وسمعتُ ما فيه ، فمن (ص٨٠) صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم ، ومن أبى ذلك فعليه الجزية » .

٢٤٩ — وحدثنى عباس بن هشام الـكلبى عن أبيه عن جده عن أبى صالح ،

عن ابن عباس قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى فأسلم ودعا أهل هَجَر ، فـكانوا بين راضٍ وكاره . أما العرب فأسلموا ، وأما المجوس واليهود فرضوا بالجزية فأُخذت منهم .

٢٥٠ — وحدثنا شيبان بن فرّوخ حدثنا سليمان بن المغيرة قال :

حدثنا حميد بن هلال قال : بعث العلاء بن الحضرمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالاً من البحرين يكون ثمانين ألفاً ما أتاه أكثر منه قبله ولا بعــده ، فأعطى منه العباس عمه .

٢٥١ — حدثني هشام بن عمّار عن اسماعيل بن عياش ،

عن عبد العزيز بن عبيد الله قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وضائع كسرى بهَجَر فلم يُسْلموا . فوضع عليهم الجزية ديناراً على كل رجل منهم .

٢٥٢ — قالوا : وعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء ثم ولّى البحرين أبان بن سعيد بن العاصى بن أمية .

وقوم يقولون : إن العلاء كان على ناحية من البحرين منها القطيف و إن أبانَ كان على ناحية أخرى فيها الخطّ ، والأول أثبت .

٢٥٣ — قالوا : ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج أبان من البحرين فأتى المدينة . فسأل أهلُ البحرين أبا بكر رضى الله عنه أن يردّ العلاء عليهم ففعل . فيُقال إن العلاء لم يزل والياً حتى توفى بها سنة عشرين . فولّى عمرُ مكانه أبا هُرَيْرة الدَّوسى ، ويقال أيضاً إن عمر رضى الله عنه ولّى أبو هريرة قبل موت العلاء ، فأتى العلاء توَّج من أرض فارس ، وعزم على المقام بها . قال : ثم رجع إلى البحرين فمات هناكِ . وكان أبو هريرة يقول : دفنّا العلاء ثم احتجنا إلى رفع لبنة فرفعناها فلم نجده فى اللحد .

٢٥٤ — وقال أبو مِخْنَف : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى العلاء ابن الحضرمىّ ، وهو عامله على البحرين ، يأمره بالقدوم عليه ، وولّى عثمان ابن أبى العاصى الثقفى البحرين وعُمان . فلما قدم العلاء المدينة ولاّه البصرة (ص ٨١) مكان عُتْبة بن غَزوان ، فلم يصل إليها حتى مات ، وذلك فى سنة

أربع عشرة ، أو فى أول سنة خمس عشرة . ثم إن عمر ولّى قُدامة بن مظعون الجمحى جباية البحرين وولّى أبا هُريرة الأحداث والصلاة ، ثم عزل قُدامة وحدّه على شرب الخمر ، وولّى أبا هُريرة الصلاة والأحداث ، ثم عزله وقاسمه ماله ، ثم ولّى عثمان بن أبى العاصى البحرين وعُمان .

٢٥٥ — حدثنى العمرى ،

عن الهيثم قال : كان قُدامة بن مظعون على الجباية والأحداث ، وأبو هُريرة على الصلاة والقضاء ، فشهد على قُدامة بما شهد به . ثم ولاّه عمر البحرين بعد قُدامة ، ثم عزله وقاسمه ، وأمره بالرجوع فأبى ، فولاّها عثمان بن أبى العاصى . فمات عمر وهو واليه عليها . وكان خليفته على عُمان والبحرين وهو بفارس أخوه مُغيرة بن أبى العاصى ، ويقال حفص بن أبى العاصى .

٢٥٦ — حدثنا شيبان بن فرّوخ قال : حدثنا أبو هلال الراسبى قال : حدثنا محمد ابن سيرين ،

عن أبى هُريرة قال : استعملنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على البحرين ، فاجتمعتْ لى اثنـا عشر ألفاً . فلما قدمتُ على عمر قال لى : يا عدوّ الله وعدوّ المسلمين ! أو قال وعدوّ كتابه ، سرقت مال الله ؟ قال قلت : لستُ بعدوّ لله ولا للمسلمين ، أو قال لكتابه ، ولكنى عدوّ من عاداهما . ولكنّ خيلاً تناتجت وسهاما اجتمعت . قال : فأخذ منى اثنا عشر ألفاً . فلما صَلّيْتُ الغداة قلت : اللهم اغفر لعمر . قال : فكان يأخذ منهم ويعطيهم أفضل من ذلك ، حتى إذا كان بعد ذلك قال : ألا تعمل يا أبا هريرة ؟ قلت : لا . قال : ولِمَ ؟ قد عمل من هو خير منك يوسف ﴿قال اجعلنى على خزآئن الأرض﴾[1] —

(١) السورة ١٢ ، الآية ٥٥

فقلت : يوسف نبي ابن نبي ، وأنا أبو هريرة بن أميمة . وأخاف منكم ثلاثاً واثنتين . قال : فهلا قلت خمساً ! قلت : اخشى أن تضربوا ظهري وتشتموا عرضي وتأخذوا مالي ، وأكره أن أقول (ص ٨٢) بغير حلم وأحكم بغير علم .

٢٥٧ — حدثنا القاسم بن سلاّم وروح بن عبد المؤمن قالا : حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي عن يزيد بن ابراهيم التسترى عن ابن سيرين ،

عن أبي هريرة أنه لما قدم من البحرين قال له عمر : يا عدو الله وعدو كتابه ! أسرقتَ مال الله ؟ قال : لستُ عدو الله ولا عدو كتابه ولكني عدوٌ من عاداهما ، ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعتْ لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلٌ تناسلتْ وعطاء تلاحق وسهامٌ اجتمعت ، فقبضها منه ، وذكر من باقي الحديث نحو الذي روى أبو هلال .

٢٥٨ — قالوا : ولما مات المنذر بن ساوى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقليل ارتد مَنْ بالبحرين من ولد قيس بن ثَعْلَبة بن عُكابة مع الحُطَم — وهو شُرَيْح بن ضُبَيْعَة بن عمرو بن مَرْثَد أحد بني قيس بن ثعلبة — وإنما سُمّي الحُطَم بقوله :

قد لَفّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَم

وارتدّ سائر مَنْ بالبحرين من ربيعة خلا الجارود ، وهو بشر بن عمرو العبدي ، ومَنْ تابعه من قومه ، وأمّروا عليهم ابناً للنعمان بن المنذر يقال له المنذر ، فصار الحُطَمُ حتى لحق بربيعة ، فانضم إليها بمن معه ، وبلغ العلاء بن الحضرمي الخبر فسار بالمسلمين حتى نزل جُوَاثا ، وهو حصن البحرين ، فدلفتْ إليه ربيعة ، فخرج إليها بمن معه من العرب والعجم ، فقاتلها قتالاً شديداً . ثم إنّ المسلمين

لجأوا إلى الحصن فحصرهم فيه عدوهم . ففى ذلك يقول عبد الله بن حَذَف الكلابى : (ص ٨٣)

ألا أبلغ أبا بكرٍ أَلُوكاً وفِتْيانَ المدينةِ أجمعينا
فهلْ لكَ فى شبابٍ منك أمسوا أُسارىٰ فى جُوَاثَ محاصَرينا

ثم إنّ العلاء خرج بالمسلمين ذات ليلة فبيّتَ ربيعة ، فقاتلوا قتالاً شديداً وقُتِل الحُطَم .

٢٥٩ — وقال غير هشام بن الكلبى : أتى الحُطَمُ ربيعةَ وهو بجُواثا ، وقد كفر أهلها جميعاً وأمّروا عليهم المنذر بن النعمان فأقام معهم . فحصرهم العلاء حتى فتح جُواثا وفضّ ذلك الجمع ، وقتل الحُطَم . والخبر الأول أثبت .

وفى قتل الحُطَم يقول مالك بن ثعلبة العبدىّ :

تركنا شُرَيْحاً قد عَلَتْهُ بصيرةٌ كحاشيةِ البُرْدِ اليمانى المحبّرِ

البصيرة من الدم ما وقع فى الأرض .

ونحنُ فجعنا أمَّ غَضْبَانَ بابنها ونحن كسرنا الرمحَ فى عينِ حَبْتَرِ
ونحن تركنا مِسْمَعاً مُتَجَدِّلاً رهينةَ ضُبْعٍ تعتريه وأنسُرِ

٢٦٠ — قالوا : وكان المنذرُ بن النعمان يسمَّى الغَرور . فلما ظهر المسلمون قال : لست بالغَرور ولكنّى المغرور . ولحق هو وفلُّ ربيعة بالخَطّ ، فأتاها العلاء ففتحها ، وقتل المنذر ومَنْ معه . ويقال إن المنذر نجا فدخل إلى المُشَقَّر ، وأرسل الماء حوله فلم يوصل إليه ، حتى صالح الغَرور على أن يُخْلى المدينة ، فخلاها . ولحق بمسيلمة فقتل معه .

٢٦١ – وقال قوم : قُتل المنذر يوم جُواثا . وقوم يقولون إنه استأمن ثم هرب فلُحق فقُتل .

وكان العلاء كتب إلى أبى بكر يستمدّه ، فكتب إلى خالد بن الوليد يأمره بالنهوض إليه من اليمامة و إنجادِه ، فقدم عليه وقد قَتل الحُطَم ، فحصر معه الخطّ . ثم أتاه كتاب أبى بكر بالشخوص إلى العراق ، فشخص إليه من البحرين ، وذلك فى سنة اثنى عشر . وقال الواقدى : يقول أصحابنا إن خالداً قدم المدينة ثم توجه منها إلى العراق .

واستُشهد (ص ٨٤) بجُواثا عبد الله بن سُهيل بن عمرو ، أحد بنى عامر ابن لؤىّ ويكنى أبا سُهيل ، وأمه فاختة بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف . وكان عبد الله أقبل مع المشركين يوم بدر ثم انحاز إلى المسلمين مسلماً ، وشهد بدراً مع النبى صلى الله عليه وسلم . فلما بلغ أباه سُهيل بن عمرو خبرُه قال : عند الله أحتسبه . ولقيه أبو بكر وكان بمكة حاجاً فعزّاه به ، فقال سُهيل : إنه بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يشفع الشهيدُ فى سبعين من أهله ، و إنى لأرجو أن لا يبدأ ابنى بأحدٍ قبلى . وكان يوم استُشهد ابن ثمان وثلاثين سنة . واستُشهد عبد الله بن عبد الله بن أبىّ يوم جُواثا . وقال غير الواقدى : استُشهد يوم اليمامة .

٢٦٢ — قالوا : وتحصن المُكَعْبَرُ الفارسىّ صاحبُ كسرى الذى كان وجّهه لقتل بنى تميم حين عرضوا لعِيره — واسمه فيروز بن جُشَيْش — بالزّارة . وانضمّ إليه مجوسٌ كانوا تجمعوا بالقَطيف ، وامتنعوا من أداء الجزية . فأقام العلاء على الزّارة ، فلم يفتحها فى خلافة أبى بكر وفتحها فى أول خلافة عمر . وفتح العلاء السابون ودارين فى خلافة عمر عنوة ، وهناك موضع يعرف بخندق العلاء .

٢٦٣ — وقال مَعْمَر بن المثنّى : غزا العلاء بعبد القيس قرى من السابون في خلافة عمر بن الخطاب ففتحها ، ثم غزا مدينة الغابة فقتل مَنْ بها من العجم ، ثم أتى الزّارة وبها المُكَعْبَرُ فحصره . ثم إنّ مرزبان الزّارة دعا إلى البراز فبارزه البَرَاء بن مالك فقتله ، وأخذ سلبه ، فبلغ أربعين ألفاً . ثم خرج رجل من الزّاره مستأمناً على أن يدل على شِرْب القوم ، فدلّه على العين الخارجة من الزّارة ، فسَدّها العلاء فلما رأوا ذلك صالحوه على أنّ له ثلثَ المدينة (ص ٨٥) وثلثَ ما فيها من ذهب وفضة ، وعلى أن يأخذ النصف مما كان لهم خارجها . وأتى الأخنسُ العامريّ العلاءَ فقال له : إنهم لم يصالحوك على ذراريهم وهم بدارين . ودلّه كرّاز النُّكْرى على المخاضة إليهم ، فتقحّم العلاء في جماعة من المسلمين البحر ، فلم يشعر أهلُ دارين إلا بالتكبير ، فخرجوا فقاتلوهم من ثلاثة أوجه ، فقتلوا مقاتلتهم وحووا الذرارى والسبي . ولما رأى المُكَعْبَرُ ذلك أسلم . وقال كرّاز :

هاب العلاء حِياضَ البحر مُقْتَحِماً   فخضتُ قُدْماً إلى كُفّار دارينا

٢٦٤ — حدثنا خلف البزاز وعفان قالا : حدثنا هشيم قال : أخبرنا ابن عون ويونس ، عن محمد بن سيرين قال : بارز البَرَاء بن مالك مرزبان الزّارة فطعنه فوق صلبه وصرعه ، ثم نزل فقطع يديه وأخذ سواريه ، ويلمقاً كان عليه ، ومنطقة . فخمسه عمر لكثرته ، وكان أول سلب خُمس في الإسلام .

اليمــــامة

٢٦٥ — قالوا : وكانت اليمـامة تدعى جَوّ ، فصُلبت امرأة من جَديس يقال لها اليمامة بنت مُرّ على بابها ، فسُمّيت باسمها والله اعلم .

٢٦٦ — وقالوا : ولما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الآفاق فى أول سنة سبع ، ويقال فى سنة ست، كتب إلى هَوْذَة بن على الحنفى وأهل اليمامة يدعوهم إلى الإسلام ، وأنفذ كتابه بذلك مع سَليط بن قيس بن عمرو الأنصارى ثم الخزرجى . فبعثوا إلى (ص ٨٦) رسول الله صلى عليه وسلم وفدهم . وكان فى الوفد مُجَّاعةُ بنُ مُرارة ، فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً مواتاً سأله إيّاها . وكان فيها أيضاً الرجَّال بن عُنْفُوَة فأسلم وقرأ سورة البقرة وسوراً من القرآن ، إلا أنّه ارتد بعد. وكان فيهم مُسيلمة الـكذاب ثُمامة بن كبير بن حبيب ، فقال مسيلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنْ شئت خلينا الأمر وبايعناك على أنه لنا بعدك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا نعمة عين . ولـكن الله قاتلك . وكان هَوْذَة بن على الحنفى قد كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجعل الأمر له من بعده ، على أن يسلم ويصير إليه فينصره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا كرامة . اللهم اكفنيه . فمات بعد قليل . فلما انصرف وفدُ بنى حنيفة الى اليمامة ادّعى مُسيلمة الـكذاب النبوّة ، وشهد له الرجّال بن عُنْفُوَة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه فى الأمر معه . فاتّبعه بنو حنيفة وغيرهم ممن باليمامة .

وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عُبَادَة بن الحارث ، أحد بنى عامر بن حنيفة — وهو ابن النوّاحة الذى قتله عبد الله بن مسعود بالـكوفة و بلغه أنه وجماعة معه يؤمنون بكذب مسيلمة — :

« من مُسَيْلمة رسول الله الى محمد رسول الله . أما بعد فإن لنا نصفَ الأرض ولقريش نصفها ، ولكنّ قريشاً لا ينصفون . والسلام عليك » وكتب عمرو ابن الجارود الحنفى .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبيّ الى مُسَيْلمة الكذّاب .

أما بعد ف﴿إنّ الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبةُ للمتّقين(١)﴾ ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾(٢) وكتب أُبىّ بن كعب .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص ٨٧) واستُخلف أبو بكر فأوقع بأهل الردّة من أهل نجد وما والاه فى أشهر يسيرة ، بعث خالد بن الوليد ابن المغيرة المخزومى الى اليمامة وأمره بمحاربة الكذاب مُسَيلمة . فلما شارفها ظفر بقوم من بنى حنيفة فيهم مُجّاعة بن مُرارة بن سُلْمىّ ، فقتلهم واستبقى مُجّاعة وحمله معه مُوثَقاً . وعسكر خالد على ميل من اليمامة ، فخرج إليه بنو حنيفة وفيهم الرجّالُ ومُحَكِّمٌ بن الطُّفَيْل بن سُبَيْع الذى يقال له مُحَكِّمٌ اليمامة . فرأى خالد البارقة فيهم فقال : يا معشر المسلمين ! قد كفاكم الله مؤنة عدوكم ، ألا ترونهم وقد شهر بعضهم السيوف على بعض، وأحسبهم قد اختلفوا ووقع بأسهم بينهم. فقال مُجّاعة ،وهو فى حديده : كلا ! ولكنّها الهُنْدُوانيّة خشوا تحطّمها فأبرزوها للشمس لتلين متونها . ثم التقى الناس فكان أول من لقيهم الرجّال بن عُنْفُوَة فقتله الله ، واستُشهد وجوه الناس وقرّاء القرآن . ثم إن المسلمين فاءوا وثابوا ، فأنزل الله عليهم نصره وهزم أهل اليمامة فأتبعوهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً ، ورمى عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق أخو عائشة لأبيها محكّماً بسهم فقتله ، وألجأوا الكفرة

(١) السورة ٧ ، الآية ١٢٨

(٢) السورة ٢٠ ، الآية ٤٧

إلى الحديقة فسُمّيت يومئذ حديقة الموت ، وقتل الله مُسيلمة فى الحديقة ، فبنو عامر بن لؤى بن غالب يقولون: قتله خِداشُ بن بشير بن الأصم ، أحد بنى مَعِيص ابن عامر بن لؤى . و بعض الأنصار يقولون: قتله عبدالله بن زيد بن ثعلبة ، أحد بنى الحارث بن الخزرج ، وهو الذى أُرِى الأذان . و بعضهم يقول : قتله أبو دُجَانة سِماك بن خَرَشَة ثم استُشهد . وقال بعضهم : بل قتله عبد الله بن زيد بن عاصم أخو حبيب (ص ٨٨) بن زيد من بنى مَبْذُول من بنى النجّار . وقد كان مسيلمةُ قطع يدى حبيب ورجليه . وكان وحشىّ بن حرب الحبشى قاتل حمزة رضى الله عنه يدّعى قتله و يقول : قتلتُ خيرَ الناس وشر الناس . وقال قوم : إن هؤلاء جميعاً شركوا فى قتله . وكان معاوية بن أبى سفيان يدّعى أنه قتله ، و يدّعى ذلك له بنو أمية .

٢٦٧ — حدثنى أبو حفص الدمشقى قال : حدثنا الوليد بن مُسلم عن خالد بن دهقان :

عن رجل حضر عبد الملك بن مروان سأل رجلاً من بنى حنيفة ممن شهد وقعة اليمامة عن قاتل مُسيلمة فقال : قتله رجل من صفته كذا وكذا . فقال عبد الملك : قضيت والله لمعاوية بقتله . قال : وجعل الكذاب يقول حين أخذ منه بالمَخْنَق : يا بنى حنيفة ! قاتلوا عن أحسابكم . فلم يزل يعيدها حتى قتله الله .

٢٦٨ — وحدثنى عبد الواحد بن غياث قال : حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة :

عن أبيه قال : كفرت العرب . فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فلقيَهم . ثم قال : والله لا أنتهى حتى أناطح مُسيلمة . فقالت الأنصار : هذا رأى تفردتَ به لم يأمرك به أبو بكر ، أرجع إلى المدينة حتى نريح كراعنا . فقال : والله لا أنتهى حتى أناطحه . فرجعت عنه الأنصار ، ثم قالوا : ماذا صنعنا لئن ظهر أصحابنا لقد خَسِسْنا ، ولئن هربوا لقد خذلناهم . فرجعوا ومضوا معه . فالتقى المسلمون.

والمشركون ، فولّى المسلمون مدبرين حتى بلغوا الرحال . فقام السائب بن العوّام فقال : أيها الناس ! قد بلغتم الرحال فليس لامرئٍ مفرٌّ بعد رحله . فهزم الله المشركين وقتل مُسيلمة . وكان شعارهم يومئذ : يا أصحاب سورة البقرة .

٢٦٩ — وحدثنى بعض أهلِ اليمامة أنّ رجلاً كان مجاوراً فى بنى حنيفة ، فلما قتل مُحَكِّمٌ أنشأ يقول : (ص ٨٩) .

فإنْ أنجُ منها أنجُ منها عظيمةً   وإلاّ فإنى شاربٌ كأسَ مُحْكِم

٢٧٠ — قالوا : وكانت الحرب قد نهكت المسلمين وبلغت منهم ، فقال مُجّاعة لخالد : إن أكثر أهل اليمامة لم يخرجوا لقتالكم ، وإنما قتلتم منهم القليل وقد بلغوا منكم ما أرى ، وأنا مصالحك عنهم . فصالحه على نصفِ السّبْى ونصفِ الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع . ثم إنّ خالداً توثّق منه وبعثه إليهم ، فلما دخل اليمامة أمر الصبيان والنساء ومَنْ باليمامة من المشايخ أنْ يلبسوا السلاح ويقوموا على الحصون. ففعلوا ذلك . فلم يشك خالد والمسلمون حين نظروا إليهم أنهم مقاتلةٌ ، فقالوا : لقد صدقنا مُجّاعة . ثم إنّ مُجّاعة خرج حتى أتى عسكر المسلمين فقال : ان القوم لم يقبلوا ما صالحتك عليه عنهم واستعدّوا لحربك ، وهذه حصون العِرْض مملوءة رجالاً ، ولم أزل بهم حتى رضوا بأن يصالحوا على ربع السّبى ونصف الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع . فاستقرّ الصلح على ذلك ، ورضى خالد به وأمضاه ، وأدخل مُجّاعةُ خالداً اليمامة . فلما رأى مَنْ بقى بها قال : خدعتنى يا مُجّاعَ . وأسلم أهل اليمامة فأُخذت منهم الصدقة . وأتى خالداً كتابُ أبى بكر رضى الله عنه بإنجاد العلاء بن الحضرمىّ ، فسار الى البحرين واستخلف على اليمامة سَمُرَةَ بن عمرو العنبرى. وكان فتح اليمامة سنة اثنى عشر .

٢٧١ — حدثنى أبو رَبَاح اليمامى قال : حدثنى أشياخ من أهل اليمامة أنَّ مُسَيْلمة الكذّاب كان قصيراً ، شديدَ الصفرة ، أخنس الأنف ، أفطس ، يكنى أبا ثُمامة .

٢٧٢ — وقال غيره : كان يكنى أبا ثُمالة . وكان له مؤذن يسمى حُجَيْراً ، فكان اذا أذّن يقول : أشهد أنّ مُسيلمة يزعم أنه رسول الله . فقال : أفصَحَ حُجَيْر . فمضت مثلا . وكان ممن استُشهد باليمامة أبو حُذَيْفة بن عُتْبة بن ربيعة ابن عبد شمس ، واسمه هُشَيْم ويقال مِهْشَم . وسالم مولى أبى حُذَيفة ، ويكنى أبا عبدالله ، وهو مولى ثُبَيْتَة (ص٩٠) بنت يعَار الأنصارية ، و بعض الرواة يقول : نُبَيْثَة ، وهى امرأة . وخالد بن أَسِيد بن أبى العيص بن أمية . وعبد الله ، وهو الحكم بن سعيد بن العاصى بن أمية . و يقال انه قُتل يوم مُؤتة . وشجاع بن وهب الأسدى حليف بنى أمية يكنى أبا وهب . والطُّفَيْل بن عمرو الدّوسى من الأزد . و يزيد بن رُقَيْش الأسدى ، حليف بنى أمية . و مَخْرَمَة بن شُرَيْح الحضرمى ، حليف بنى أمية . والسائب بن العوَّام أخو الزبير بن العوَّام . والوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومى . والسائب بن عثمان بن مظعون الجمحى . وزيد بن الخطاب بن نُفَيل ، أخو عمر بن الخطاب ، يقال قتله أبو مريم الحنفى ، واسمه صُبَيْح بن مُحَرِّش . وقال ابن الكلبى : قتله لبيد بن بُرْغُث العجلى ، فقدم بعد ذلك على عمر رضى الله عنه فقال : أنت الجوالق ، واللبيد هو الجوالق . وكان زيد يكنى أبا عبدالرحمن ، وكان أسنَّ من عمر . قال بعضهم : اسم أبى مريم اياس بن صُبَيْح . وهو أول من قضى بالبصرة زمن عمر ، وتوفى بِسَنبيل من الأهواز . وأبو قيس بن الحارث ابن عدىّ بن سهم . وعبد الله بن الحارث بن قيس . وسَليط بن عمرو ، أخو سهيل ابن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤى . وّاياس بن البُكَيْر الكنانى .

ومن الأنصار : عَبّاد بن الحارث بن عدىّ أحد بنى جَحْجَبا من الأوس . وعبّاد بن بشر بن وَقْش الأشهلى من الأوس ، ويكنى أبا الربيع ، ويقال إنه كان يكنى أبا بشر . ومالك بن أوس بن عَتيك الأشهلى . وأبو عقيل بن ثَعْلَبة بَيْحان البَلَوى ، حليف بنى جَحْجَبا — كان اسمه عبد العزّى فسمّاه (ص ٩١) النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن عدو الأوثان . وسُرَاقَة بن كعب بن عبد العزّى النجّارى ، من الخزرج . وعُمارة بن حزم بن زيد بن لَوْذان النجّارى — ويقال انه مات زمن معاوية . وحبيب بن عمرو بن مِحْصن النجّارى. ومَعْن بن عدىّ بن الجَدّ بن العجلان البَلَوى ، من قضاعة ، حليف الأنصار . وثابت بن قيس بن شَماس بن أبى زهير ، خطيب النبى صلى الله عليه وسلم ، أحد بنى الحارث بن الخزرج ، ويكنى أبا محمد ، وكان على الأنصار يومئذ . وأبو حَنّة ابن غُزَيّة بن عمرو أحد بنى مازن بن النجّار . والعاصى بن ثعلبة الدّوسى من الأزد ، حليف الأنصار . وأبو دُجانة سِماك بن أوس بن خَرَشَة بن لَوْذان الساعدىّ ، من الخزرج . وأبو أُسَيْد مالك بن ربيعة الساعدى ، ويقال إنه مات سنة ستين بالمدينة . وعبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن مالك ، وكان اسمه الحُباب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم أبيه ، وكان أبوه منافقاً ، وهو الذى يقال له ابن أُبَىّ بن سَلُول . وسَلول أم أُبَىّ ، وهى خزاعية نُسب إليها ، وأبوه مالك ابن الحارث أحد بنى الخزرج . ويقال إنه استُشهد يوم جُواثا من البحرين . وعُقبة بن عامر بن نابىء ، من بنى سَلمة من الخزرج . والحارث بن كعب بن عمرو أحد بنى النجّار .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حبيب بن زيد بن عاصم ، أحد بنى مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجّار ، وعبدَ الله بن وهب الأسلمى

إلى مُسيلمة ، فلم يعرض لعبد الله ، وقطع يدى حبيب ورجليه . وأم حبيب نُسَيْبَةُ بنت كعب .

٢٧٣ — وقال الواقدى : إنما أقبلا مع عمرو بن العاصى من عُمان فكفتهما مُسيلمة ، فنجا عمرو ومَنْ معه غير هذين ، فأُخذا . وقاتلت نُسَيْبَةُ يوم اليمامة فانصرفت وبها جراحات . وهى أم حبيب وعبد الله ابنى زيد ، وقد قاتلت يوم أُحُدٍ أيضاً . وهى (ص ٩٢) إحدى الامرأتين المبايعتين يوم العَقَبَة . واستُشهد يوم اليمامة عائذُ بن ماعص الزُّرَقى من الخزرج ، ويزيد بن ثابت الخزرجى ، أخو زيد بن ثابت صاحب الفرائض .

وقد اختلفوا فى عـدة من استُشهد باليمامة ، فأقلُّ ما ذكروا من مبلغها سبع مئة وأكثر ذلك ألف وسبع مئة .

وقال بعضهم : إن عدّتهم ألف ومائتان .

٢٧٤ — وحدثنا القاسم بن سلام قال : حدثنا الحارث بن مرة الحنفى ، عن هشام بن اسماعيل أن مُجّاعة اليمامى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب له كتاباً :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ كتبه محمد رسول الله لمُجّاعة بن مُرارَة بن سُلْمِىّ . إنى أقطعتك الغُورةَ ، وغُرابَة ، والحُبَلَ ، فمن حاجّك فإلىّ » الغورة قرية الغرابات تَلَتْ قَارات .

قال : ثم وفد بعد ما قُبِض النبى صلى الله عليه وسلم على أبى بكر فأقطعه الخِضرِمة . ثم قدم على عمر فأقطعه الرّيّا . ثم قدم على عثمان فأقطعه قطيعة — قال الحارث : — لا أحفظ اسمها .

٢٧٥ — وحدثنا القاسم بن سلاّم قال : حدثنا أبو أيوب الدمشقى عن سعدان بن يحي عن صَدَقة بن أبى عمران عن أبى اسحاق الهمْدانى ،

عن عدىّ بن حاتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع فُرات بن حَيّان العِجْلى أرضاً باليمامة .

٢٧٦ — حدثنى محمد بن ثُمال اليمامى عن أشياخهم قال : سُميتْ الحديقة حديقةَ الموت لكثرة من قُتل بها . قال : وقد بنى اسحاق بن أبى خَميصة ، مولى قيس ، فيها أيام المأمون مسجداً جامعاً ، وكانت الحديقة تسمى أُباض .

وقال محمد بن ثُمال : قصر الورد نسب إلى الوَرْد بن السمين بن عُبيد الحنفى .

وقال غيره : سُمّى الحصن مُعْتِقاً (ص ٩٣) لحصانته . يريدون أنّ مَنْ لجأ إليه عُتق من عدوه .

وقال : الريّا عينٌ منها شِربُ الصَّعفوقَة ، وهى ضيعة نُسبت إلى وكيلٍ كان عليها يقال له صَعْفوق ، وشِربُ الخُيَيْبَة والخِضْرمة منها .

خبر ردّة العرب

فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

٢٧٧ — قالوا : لما استخلف أبو بكر رحمه الله ارتدّت طوائف من العرب ومنعت الصدقة . وقال قوم منهم : نقيم الصلاة ولا نؤدّى الزكاة . فقال أبو بكر رضى الله عنه : لو منعونى عِقالاً لقاتلتهم . و بعضُ الرواة يقول : لو منعونى عناقاً والعقال صدقة السنة .

٢٧٨ — وحدثنى عبد الله بن صالح العجلى عن يحيى بن آدم عن عوانة بن الحكم عن جرير بن يزيد ،

عن الشعبىّ قال قال عبد الله بن مسعود : لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً كدنا نهلك فيه ، لولا أنّ الله مَنّ علينا بأبى بكر . اجتمع رأينا جميعاً على أن لا نقاتل على بنت مخاض وابن لَبُون ، وأن نأكل قرىً عربيّةً ، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين . وعزم الله لأبى بكر رضى الله عنه على قتالهم ، فو الله مارضى منهم الا بالخُطّة المخزية او الحرب المُجْلِيَة . فأما الخُطّة المخزيةُ فأنْ أقرّوا بأنّ مَنْ قُتل منهم فى النار ، وأنّ ما أخذوا من أموالنا مردودٌ علينا . وأما الحرب المُجْلية فأنْ يخرجوا من ديارهم .

٢٧٩ — حدثنا ابراهيم بن محمد عن عَرْعَرَة قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال : أخبرنا سفيان الثورى عن قيس بن مسلم ،

عن طارق بن شهاب قال : قدم وفد بُزَاخَة (ص ٩٤) على أبى بكر فخيّرهم بين الحرب المُجْلية والسلم المُخْزِية . فقالوا : قد عرفنا الحرب المجلية ، فما السلم

المخزية ؟ قال : أن ننزع منكم الحلقة والـكراع ، ونغنم ما أصبنا منكم ، وتردّوا إلينا ما أصبتم منا ، وَتَدُوا قتلانا ، ويكون قتلاكم فى النار .

٢٨٠ — حدثنا شجاع بن مخلّد الفلاس قال : حدثنا بشر بن المفضل مولى بنى رقاش قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون عن عبد الواحد عن القاسم بن محمد ابن أبى بكر ،

عن عمته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل بأبى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها . اشرأبّ النفاق بالمدينة وارتدّت العربُ ، فوالله ما اختلفوا فى واحدة إلاّ طار بحظّها وغَنَائها عن الإسلام .

٢٨١ — قالوا : فخرج أبو بكر رضى الله عنه إلى القَصّة من أرض مُحارب لتوجيه الزحوف إلى أهل الردّة ، ومعه المسلمون . فصار إليهم خارجةُ بن حِصْن ابن حُذَيفة بن بدر الفزارى ومنظورُ بن زَبّان بن سَيّار الفزارى أحد بنى العُشَراء فى غَطَفَان ، فقاتلوهم قتالاً شديداً . فانهزم المشركون ، واتبعهم طلحة بن عبيد الله التَّيمى فلحقهم بأسفل ثنايا عَوْسَجَة ، فقتل منهم رجلاً ، وفاته الباقون فأعجزوه هرباً ، فجعل خارجة بن حِصْن يقول : ويل للعرب من ابن أبى قُحافة . ثم عقد أبو بكر وهو بالقَصّة لخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى على الناس ، وجعل على الأنصار ثابتَ بن قيس بن شَمّاس الأنصارى ، وهو أحد من استُشهد يوم اليمامة ، إلاّ أنه كان من تحت يد خالد ، وأمر خالداً أن يصمد لطُلَيْحة بن خويلد الأسدى ، وكان قد ادّعى النبوة ، وهو يومئذ ببُزاخة ، وبُزاخَةُ ماء لبنى أسد ابن خزيمة . فسار إليه خالد وقدّم أمامه عُكّاشة بن (ص ٩٥) مِحْصَن الأسدى حليف بنى عبد شمس ، وثابت بن أقْرَم البلوى حليف الأنصار . فلقيهما حِبالُ

ابن خويلد فقتلاه ، وخرج طُلَيْحة وسَلَمَة أخوه ، وقد بلغهما الخبر ، فلقيا عُكَّاشة وثابتاً فقتلاهما . فقال طُلَيْحة :

ذكرتُ أخى لما عرفتُ وجوهَهم وأيقنتُ أنى ثائرٌ بحِبَالِ
عَشيّةَ غادرتُ ابن أقْرَمَ ثاوياً وعُكَّاشَةَ الغَنْمِىَّ عندَ مَجَالِ

ثم التقى المسلمون وعدوّهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان عُيَيْنَة بن حِصن ابن حُذيفة بن بَدْر مع طُلَيْحة فى سبع مئةٍ مِنْ بنى فزارة . فلما رأى سيوف المسلمين قد استلحمت المشركين ، أتاه فقال له : أما ترى ما يصنع جيش أبى الفصيل ؟ فهل جاءك جبريل بشىء ؟ قال : نعم . جاءنى فقال : إن لك رحاً كرحاه ويوماً لا تنساه . فقال عُيَيْنَة : أرى أنَّ لك يوماً لا تنساه . يا بنى فزارة ! هذا كذَّاب . وولّى عن عسكره فانهزم الناس ، وظهر المسلمون ، وأُسر عُيَيْنَة ابن حِصْن . فقُدم به المدينة ، فحقن أبو بكر دمه ، وخلّى سبيله . وهرب طُلَيْحَةُ ابن خويلد فدخل خباءً له فاغتسل ، وخرج فركب فرسه وأهَلَّ بعمرة ، ثم مضى إلى مكة ، ثم أتى المدينة مسلماً . وقيل بل أتى الشام ، فأخذه المسلمون ممن كان غازياً و بعثوا به إلى أبى بكر بالمدينة فأسلم ، وأبلى بعدُ فى فتح العراق ونهاوند . وقال له عمر : أقتلتَ العبد الصالح عُكَّاشَة بن مِحْصَن ؟ فقال : إنَّ عُكّاشة ابن مِحْصَن سَعُدَ بى وشقيتُ به ، وأنا أستغفر الله .

٢٨٢ — وأخبرنى داود بن حبال الأسدى ،

عن أشياخٍ من قومه (ص ٩٦) أنَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لطليحة : أنت الكاذبُ على الله حين زعمت أنه أُنزل عليك أنَّ الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئاً . فاذكروا الله أعِفّةً قياماً ، فإن الرغوة فوق

الصريح . فقال : يا أمير المؤمنين ! ذلك من فِتن الكفر الذى هدمه الإسلام كله ، فلا تعنيفَ علىَّ ببعضه . فأسكت عمر .

٢٨٣ — قالوا : وأتى خالد بن الوليد رَمَّان وأبا نَين ، وهناك فَلٌّ بُزَاخَة ، فلم يقاتلوه ، وبايعوه لأبى بكر . وبعث خالد بن الوليد هشام بن العاصى بن وائل السهمى أخا عمرو بن العاصى ، وكان قديم الإسلام وهو من مهاجرة الحبشة ، إلى بنى عامر بن صَعْصَعَة ، فلم يقاتلوه وأظهروا الإسلام والأذان ، فانصرف عنهم .

وكان قُرَّةُ بن هُبَيْرة القشيرى امتنع من أداء الصدقة ، وأمدَّ طُلَيْحَة ، فأخذه هشام بن العاصى وأتى به خالداً ، فحمله إلى أبى بكر فقال : والله ما كفرتُ مذ آمنت ، ولقد مر بى عمرو بن العاصى منصرفاً من عُمان فأكرمتُه وبَرَرْتُه . فسأل أبو بكر عمراً رضى الله عنهما عن ذلك فصدَّقه . فحقن أبو بكر دمه . ويقال : إن خالداً كان سار إلى بلاد بنى عامر فأخذ قُرَّة وبعث به إلى أبى بكر .

٢٨٤ — قال : ثم سار خالد بن الوليد إلى الغَمْرِ ، وهناك جماعة من بنى أسد وغَطَفَان وغيرهم ، وعليهم خارجةُ بن حِصْن بن حُذيفة . ويقال إنهم كانوا متسايدين ، قد جعل كلٌّ قومٍ عليهم رئيساً منهم ، قاتلوا خالداً والمسلمين ، فقتلوا منهم جماعة وانهزم الباقون . وفى يوم الغَمْرِ يقول الحُطيئة العبسى :

ألا كُلُّ أرماحٍ قِصارٍ أذلّةٍ   فِداءٌ لأرماحِ الفوارسِ بالغَمْرِ

ثم أتي خالد جَوَّ قُراقِر ، ويقال أتي النُقْرَة ، وكان هناك جمعٌ لبنى سُلَيْم ، (ص ٩٧) عليهم أبو شَجَرَة عمرو بن عبد العُزّى السُّلمىّ وأمه الخنساء ، فقاتلوه . فاستُشهد رجل من المسلمين ، ثم فضَّ الله جمعَ المشركين . وجعل خالدٌ يومئذ يُحرِّق المرتدّين . فقيل لأبى بكر فى ذلك . فقال : لا أَشيمُ سيفاً سلّه الله

على الكفار . وأسلم أبو شَجَرة فقدم على عمر وهو يُعطى المساكين فاستعطاه ، فقال له : ألست القائل :

وَرَوَّيْتُ رمحى من كتيبةِ خالدٍ ... وإنّى لأرجو بعدها أن أُعَمَّرا.

وعلاه بالدِرّة . فقال : قد محا الإسلام ذلك يا أمير المؤمنين .

٢٨٥ — قالوا : وأتى الفُجاءةُ ، وهو بُجَيْر بن إياس بن عبد الله السُّلَمى ، أبا بكر فقال : احملنى وقوّنى أقاتل المرتدين . فحمله وأعطاه سلاحاً . فخرج يعترض الناس فيقتل المسلمين والمرتدّين ، وجمع جمعاً . فكتب أبو بكر إلى طُرَيْفَة بن حاجِزة أخى مَعْن بن حاجزة يأمره بقتاله . فقاتله وأسره ابنُ حاجِزة . فبعث به إلى أبى بكر ، فأمر أبو بكر بإحراقه فى ناحية المصَلّى . ويقال : إن أبا بكر كتب إلى معن فى أمر الفُجاءة ، فوجَّه معنٌ إليه طُرَيْفة أخاه فأسره . ثم سار خالد إلى مَنْ بالبُطاح والبَعُوضة من بنى تميم فقاتلوه ، ففضّ جمعَهم وقتل مالكَ بن نُوَيْرة أخا مُتَمِّم بن نُوَيْرة . وكان مالك عاملاً للنبى صلى الله عليه وسلم على صدقات بنى حَنْظَلة . فلما قُبض صلى الله عليه وسلم خلّى ما كان فى يده من الفرائض وقال : شأنكم بأموالكم يا بنى حنظلة . وقد قيل إن خالداً لم يلق بالبُطاح والبعوضة أحداً ، ولكنّه بثّ السرايا فى بنى تميم ، وكان منها سريّة عليها ضِرار بن الأزْور الأسدى ، فلقى ضِرار مالكاً فاقتتلوا وأسره وجماعة معه ، فأتى بهم فضُربت أعناقهم ، وتولى ضِرار ضرب عنق مالك .

ويقال إنّ مالكاً قال لخالد : إنى والله ما ارتددتُ . وشهد أبو قَتادة الأنصارى أنّ بنى حنظلة وضعوا السلاح وأذّنوا . (ص٩٨) فقال عمر بن الخطاب لأبى بكر رضى الله عنهما : بعثتَ رجلاً يقتل المسلمين ويعذّب بالنار .

وقد رُوِىَ أن مُتَمِّم بن نُوَيْرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له : ما بلغ من وجدك على أخيك مالك ؟ قال : بكيتُه حولاً حتى أسعدتْ عينى الذاهبة عينى الصحيحة ، وما رأيتُ ناراً إلاّ كدتُ أنقطع لها أسفاً عليه ، لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف فلا يعرف مكانه . قال : فصفه لى . قال : كان يركب الفرس الجرور ، ويقود الجمل الثَّفَال ، وهو بين المزادتين النضوحين فى الليلة القرّة ، وعليه شملة فَلوتٌ ، معتقلاً رمحاً خَطِلاً ، فيسرى ليلتـه ثم يُصبح ، وكان وجهه فلقة قمر . قال : فأنشدنى بعضَ ما قلتَ فيه . فأنشده مرثيته التى يقول فيها :

وكُنّا كندْمانىْ جَذِيمة حقبةً   من الدَّهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر : لو كنت أحسنُ قول الشعر لرثيت أخى زيداً . فقال : متمِّم : ولا سَواء يا أمير المؤمنين ! لو كان أخى صُرِع مصرع أخيك ما بكيتُه . فقال عمر : ما عزّانى أحدٌ بأحسن مما عزّيتنى .

٢٨٦ — قالوا : وتنبّأت أم صادرٍ سَجَاحُ بنت أوس بن حِقّ بن أسامة ابن الغنيز بن يَرْبوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ويقال هى سَجاح بنت الحارث بن عُقْفَان بن سُويد بن خالد بن أسامة ، وتـكهّنَتْ . فاتّبعها قوم من بنى تميم وقومٌ من أخوالها بنى تغلب . ثم إنها سجعت ذات يوم فقالت : إنّ ربَّ السَّحاب ، يأمركم أن تغزوا الرِّباب . فغزتهم فهزموها ، ولم يقاتلها أحدٌ غيرهم ، فأتت مُسَيْلمة الـكذّاب وهو بحَجَرٍ فتزوجتْه ، وجعلت دِينها ودِينه واحداً . فلما (ص ٩٩) قُتل صارت إلى إخوانها فماتت عندهم .

وقال ابن الـكلبى : أسلمت سَجاح وهاجرت إلى البصرة وحسُن إسلامها .

وقال عبد الأعلى بن حماد النَرْسِيّ : سمعت مشايخ من البصريين يقولون : إن سَمُرَة بن جُنْدَب الفزارى صلّى عليها وهو يلى البصرة من قِبَل معاوية ، قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة . وقال ابن الكلبى : كان مؤذن سَجَاح الجَنَبَةُ بن طارق بن عمرو بن حَوْط الرِّيَاحى ، وقوم يقولون : إنّ شَبَث بن رِبْعِىّ الرِّيَاحى كان يؤذّن لها .

٢٨٧ — قالوا : وارتدت خَوْلان باليمن ، فوجّه أبو بكر إليهم يعلى بن مُنْيَة وهى أمه ، وهى من بنى مازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان ابن مضر ، وأبوه أميّة بن أبى عُبيدة ، من ولد مالك بن حنظلة بن مالك ، حليفُ بنى نوفل بن عبد مناف ، فظفر بهم وأصاب منهم غنيمة وسبايا . ويقال لم يلق حرباً فرجع القوم إلى الإسلام .

رِدة بنى وليعة والأشعث بنِ قيس بنِ مَعْدى كرب

ابن معاوية الكندى

٢٨٨ — قالوا : وَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم زياد بن لَبيد البَيَاضى من الأنصار حَضْرَمَوْت ، ثم ضمّ إليه كِنْدة . ويقال إنّ الذى ضمّ إليه كِندة أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه . وكان زياد بن لبيد رجلاً حازماً صليباً ، فأخذ فى الصدقة من بعض كِندة قلوصاً ، فسأله الكندىّ رَدّها عليه وأَخْذَ غيرِها . وكان قد وسمها بميْسم الصدقة فأبى ذلك ، وكلّمه الأشعث بن قيس فيه فلم يجبه ، وقال : لست برادٍّ شيئاً قد وقع الميْسم عليه . فانتقضتْ عليه كِندة كلّها ، إلاّ السَّكون فإنهم كانوا معه ، فقال شاعرهم : (ص ١٠٠) .

ونحنُ نَصرْنا الدّين إذ ضلّ قومُنا شقــاءً وشايعنا ابنَ أمّ زيادِ

ولم نَبغِ عن حقّ البَيَاضِىّ مَزْحَلاً وكان تُقى الرحمن أفضلَ زادِ

وجمع له بنو عمرو بن معاوية بن الحارث الكندى ، فبيّتهم فيمن معه من المسلمين فقتل منهم بَشراً فيهم مِخْوَس ومِشْرَح وجَمَد وأَبْضَعَة بنو مَعدى كرب ابن وَليعَة بن شُرَحْبيل بن معاوية بن حُجْر القَرِد ، والقَرِدُ الجواد فى كلامهم ، ابن الحارث بن الولاّدة بن عمرو بن معاوية بن الحارث . وكانت لهؤلاء الأخوة أودية يملكونها ، فسُمّوا الملوك الأربعة . وكانوا وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتدّوا ، وقُتلت أختٌ لهم يقال لها العَمَرّدة ، وقاتِلُها يحسبها رجلا . ثم إن زياداً أقبل بالسبى والأموال فمرّ على الأشعث بن قيس وقومه ، فصرخ النساء والصبيان وبكوا ، فحمى الأشعث أنفاً وخرج فى جماعة من قومه فعرض

لزياد ومَنْ معه . فأصيب ناس من المسلمين ، ثم هزموهم . فاجتمعت عظماء كِنْدة إلى الأشعث بن قيس . فلما رأى زياد ذلك كتب إلى أبى بكر يستمدّه ، وكتب أبو بكر إلى المهاجر بن أبى أميــة يأمره بإنجاده . فلقيا الأشعث بن قيس فيمن معهما من المسلمين ، ففضّا جمعه وأوقعا بأصحابه، فقتلا منهم مقتــلة عظيمة . ثم إنهم لجأوا إلى النُّجَيْر ، وهو حصن لهم، فحصرهم المسلمون حتى جهدوا . فطلب الأشعث الأمان لعدّة منهم وأخرج نفسه من العدة . وذلك إن الجِفْشِيش الــكندى — واسمه مَعْدان بن الأسود بن معدى كرب — أخذ بحقوه وقال : أجعلنى من العدّة . فأدخله وأخرج نفسه . ونزل إلى زياد بن لبيد والمهاجر فبعثا به إلى أبى بكر الصديق ، فمنّ عليه وزوّجه أخته أم فَرْوَة بنت أبى قحافة . فولدت له محمداً واسحاق وقُرَيْبة (ص ١٠١) وحُبابة وجَعْدَة . و بعضهم يقول: زوّجه أخته قُرَيْبة . ولما تزوّجها أتى السوق فلم يَرَ بها جزوراً إلا كَسَفَ عرقو بيْها وأعطى ثمنها وأطعمها الناس . وأقام بالمدينة ، ثم سار إلى الشام والعراق غازياً ، ومات بالــكوفة وصلّى عليه الحسن بن على بن أبى طالب بعد صلحه معاوية . وكان الأشعث يكنى أبا محمد و يلقب عُرْف النار .

٢٨٦ — وقال بعض الرواة : ارتدّ بنو وَليعة قبل وفاة النبىّ صلى الله عليه وسلم . فلما بلغت زياد بن لبيد وفاته صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى بيعة أبى بكر ، فبايعوه خلا بنى وَليعة ،فبيّتهم وقتلهم . وارتدّ الأشعثُ وتحصّن فى النُّجَيْر، فحاصره زياد بن لبيد والمهاجر ، اجتمعا عليه وأمَدّهما أبو بكر رضى الله عنه بعكْرمة بن أبى جهل بعد انصرافه من عُمان . فقدم عليهما وقد فتح النُّجَيْر . فسأل أبو بكر المسلمين أن يُشركوه فى الغنيمة ففعلوا .

٢٩٠ — قالوا : وكان بالنُجَيْر نسوة شمـتْنَ بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فـكتب أبو بكر رضى الله عنه فى قطع أيديهن وأرجلهنّ ، منهن الثّبْجاء الحضرميّة ، وهند بنت يامين اليهودية .

٢٩١ — وحدثنى بكر بن الهيثم ، قال : حدثنى عبد الرزاق بن همام اليمانى ، عن مشايخ حدّثوه من أهل اليمن أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولّى خالد بن سعيد بن العاصى صنعاء ، فأخرجه العنسى الـكذاب عنها ، وأنه ولّى المهاجر بن أبى أمية على كندة ، وزياد بن لبيد الأنصارى على حَضْرَموْت والصّدِف — وهم ولد مالك بن مُرَتّع بن معاوية بن كِندة — وإنما سُمِّى صَدِفاً لأن مُرَتِّعا تزوج حضرمية وشرط لها أن تـكون عنده، فإذا ولدت ولداً لم يخرجها من دار قومها . فولدت له مالـكاً . فقضى الحاكم عليه بأن يُخرجها إلى أهلها . فلما خرج مالك عنه معها قال : صَدَفَ عنى مالك .فسمى الصّدِف .

وقال عبد الرزّاق : (ص ١٠٢) فأخبرنى مشايخ من أهل اليمن قالوا : كتب أبو بكر إلى زياد بن لبيد والمهاجر بن أبى أميّة المخزومى ، وهو يومئذ على كِندة ، يأمُرهما أن يجتمعا فتـكون أيديهما يداً وأمرهما واحداً ، فيأخذا له البيعة ويقاتلا من امتنع من أداء الصدقة . وأن يستعينا بالمؤمنين على الـكافرين وبالمطيعين على العاصين والمخالفين . فأخذا من رجل من كندة فى الصدقة بكرة من الابل ، فسألهما أخذَ غيرها فسامحه المهاجر وأبىٰ زياد إلا أخذها وقال : ما كنت لأردّها بعد أن وقع عليها مِيْسم الصدقة . فجمع بنو عمرو بن معاوية جمعاً . فقال زياد بن لبيد للمهاجر : قد ترى هذا الجمع ، وليس الرأى أن نزول جميعاً عن مكاننا، ولـكن أنفصل عن العسكر فى جماعة فيكون ذلك أخفى للأمر وأستر . ثم أبيِّت هؤلاء الـكفرة . وكان زياد حازماً صليباً . فصار إلى بنى عمرو

وألفاهم فى الليل فبيتّهم فأتى على أكثرهم ، وجعل بعضهم يقتل بعضاً . ثم اجتمع والمهاجر ومعهما السبي والأسارى ، فعرض لهما الأشعث بن قيس ووجوه كندة فقاتلاهم قتالاً شديداً . ثم إن الكنديين تحصّنوا بالنُجَيْر ، فحاصراهم حتى جهدهم الحصار ، وأضرّ بهم . ونزل الأشعث على الحكم .

٢٩٢ — قالوا: وكانت حضرَمَوْت أتت كندة مُنْجِدةَ لها، فواقعهم زياد والمهاجر فظفرا بهم وارتدّتْ خولان ، فوجّه إليهم أبو بكر يعلى بن مُنْيَة فقاتلهم حتى اذعنوا وأقرّوا بالصدقة ، ثم أتى المهاجر كتاب أبى بكر بتوليته صنعاء ومخاليفها ، وجمع عمله لزياد إلى ما كان فى يده . فكانت اليمن بين ثلاثة : المهاجر وزياد ويعلى . ووُلّى أبو سفيان بن حرب ما بين آخر حَدّ الحجاز وآخر حَدّ نجران .

٢٩٣ — وحدثنى أبو التمار قال : حدثنى شريك قال : أنبأنا ابراهيم بن مهاجر ،

عن ابراهيم النَّخَعى قال : ارتدّ الأشعثُ بن قيس الكندى فى ناس من (ص ١٠٣) كندة فحوصروا ، فأخذ الأمان لسبعين منهم ولم يأخذه لنفسه ، فأتى به أبو بكر فقال : إنّا قاتلوك، لأنه لا أمان لك إذ أخرجت نفسك من العدة. فقال : بل تمنّ علىّ يا خليفة رسول الله وتزوجنى . ففعل وزوّجه أخته .

٢٩٤ — وحدّثنى القاسم بن سلاّم أبو عبيد قال : حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث ابن سعد عن علوان بن صالح عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عوف ،

عن أبى بكر الصدّيق أنه قال : ثلاث تركتهنّ وددت أنى لم أفعل . وددت أنى يوم أُتيت بالأشعث بن قيس ضربتُ عنقه ، فإنه تخيّل إلىّ أنه لا يرى شراً إلاّ سعى فيه وأعان عليه . ووددت أنى يوم أُتيتُ بالفُجاءة قتلتُه ولم أحرقه . ووددت أنى حين وجّهتُ خالداً إلى الشام وجّهت عمر بن الخطاب إلى العراق ، فأكون قد بسطت يمينى وشمالى جميعاً فى سبيل الله .

٢٩٥ — أخبرني عبد الله بن صالح العجلي عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن فراس أو بُنان ،

عن الشعبي أنّ أبا بكر ردّ سبايا النُجَيْر بالفداء لكل رأس أربع مئة درهم، وأن الأشعث بن قيس استَسْلف من تجار المدينة فداءهم ففداهم ثم ردّه لهم .
وقال الأشعث بن قيس يرثي بشير بن الأَوْدَح ، وكان ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ، ويزيد بن أماناة، ومَنْ قُتل يوم النُّجَيْر :

لعمري وما عَمْري عليّ بهيّنٍ لقد كنتُ بالقتلى أحقَّ ضنينِ
فلا غروَ ألاّ يومَ يُقْسَمُ سَبْيهُم وما الدهرُ عندي بعدهم بأمينِ
وكنت كذاتِ البَوّ رِيعتْ فأقبلتْ على بَوّها إذ طُرِّبت بحنينِ
عن ابن أماناةَ الكريمِ وَبَعْدَهُ بشيرِ الندى فَلْيَجْرِ دمعُ عيونِ

(ص ١٠٤)

أمرُ الأسود العنسيّ ومن ارتدّ معه باليمن

٢٩٦ — قالوا : كان الأسود بن كعب بن عوف العنسيّ قد تكهّن وادّعى النبوة فاتّبعه عَنْس ، واسم عَنْس زيد بن مالك بن أدد بن يشجُب ابن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وعنس أخو مراد بن مالك وخالد ابن مالك وسعد العشيرة بن مالك . واتّبعه أيضاً قومٌ من غير عَنْس ، وسمّى نفسه رحمان اليمن كما تسمّى مُسيلمة رحمان اليمامة . وكان له حمار مُعَلَّم يقول له : اسجد لربك . فيسجد ، ويقول له : ابرك ، فيبرك . فسُمّى ذا الحمار . وقال بعضهم : هو ذو الخمار لأنه كان متخمراً معتماً أبداً .

٢٩٧ — وأخبرنى بعض أهل اليمن أنه كان أسودَ الوجه ، فسُمى الأسود للونه وأنّ اسمه عَيْهَلة .

٢٩٨ — قالوا : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البَجَلِي فى السنة التى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، وفيها كان إسلام جرير ، إلى الأسود يدعوه إلى الإسلام فلم يُجبه ؛ وبعض الرواة يُنكر بعثة النبى صلى الله عليه وسلم جريراً إلى اليمن .

٢٩٩ — قالوا : وأتى الأسودُ صنعاءَ فغلب عليها وأخرج خالدَ بن سعيد بن العاصى عنها ، ويقال أنه إنما أخرج المهاجر بن أبى أمية وانحاز إلى ناحية زياد بن لبيد البياضى ، وكان عنده ، حتى أتاه كتاب أبى بكر يأمره بمعاونة زياد فلما فرغ من أمرها ولاّه صنعاء وأعمالها . وكان الأسود متجبراً ، فاستذلّ الأبناء وهم أولاد

أهل فارس الذين وجّههم كسرى إلى اليمن مع ابن ذى يزن وعليهم وَهْرِز ، واستخدمهم فأضرّ بهم ، وتزوج المرزبانة امرأة باذام ملكهم ، وعامل أبرويز عليهم . فوجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن هُبَيْرة المكشوح المرادى لقتاله . وإنما سُمى المكشوح لأنه كُوِى على كشحه من داء كان به ، وأمره باستمالة (ص ١٠٥) الأبناء . وبعث معه فروة بن مُسَيْك المرادى . فلما صار إلى اليمن بلغتهما وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأظهر قيس للأسود أنه على رأيه حتى خلى بينه وبين دخول صنعاء ، فدخلها فى جماعة من مَذْحِج وهَمْدان وغيرهم . ثم استمال فيروز بن الديلمى أحد الأبناء . وكان فيروز قد أسلم . ثم أتيا باذام رأس الأبناء ، ويقال إن باذام قد كان مات ورأس الأبناء بعده خليفة له يسمى داذَوَيْه ، وذلك أثبت . فأسلم دَاذَوَيْه . ولقى قيس باب بن ذى الجرّة الحِمْيَرى فاستماله ، وبثّ داذَوَيْه دعاته فى الأبناء فأسلموا ، فتطابق هؤلاء جميعاً على قتل الأسود واغتياله ، ودسّوا إلى المرزُبانة امرأته مَنْ أعلمها الذى هم عليه . وكانت شانئةً له . فدلّتهم على جدولٍ يُدخل إليه منه . فدخلوا سَحَراً ، ويقال بل نقبوا جدار بيته بالخلّ نقباً ، ثم دخلوا عليه فى السَحَر ، وهو سكران نائم ، فذبحه قيس ذبحاً . فجعل يخور خوار الثور حتى أفزع ذلك حرسه فقالوا : ما شأن رحمان اليمن ؟ فبدرت امرأته فقالت : إن الوحى ينزل عليه . فسكنوا وأمسكوا . واحتزّ قيس رأسه ثم علا سور المدينة حين أصبح فقال : الله أكبر ! الله أكبر ! . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأن الأسودَ كذابٌ عدوُّ الله . فاجتمع أصحاب الأسود فألقى إليهم رأسه فتفرّقوا إلا قليلا ، وخرج أصحاب قيس ففتحوا الباب ووضعوا فى بقية أصحاب العنسىّ السيفَ ، فلم ينجُ إلاّ من أسلم منهم .

وذكر بعض الرواة أنّ الذى قتل الأسود العنسىّ فيروز بن الديلمى ، وأنّ قيساً أجاز عليه واحتزّ رأسه .

وذكر بعض أهل العلم أنّ قتل الأسود كان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة أيام . فقال في مرضه : قد قتل الله الأسودَ العنسيّ . قتله الرجل الصالح فيروز بن الديلمي ، وأنّ الفتح وردَ على أبي بكر بعد ما (ص ١٠٦) استُخلف بعشر ليال .

٣٠٠ — وأخبرني بكر بن الهيثم قال : حدثني ابن أنس اليماني عمن أخبره ،

عن النعمان بن بُزُرْجُ أحد الأبناء أنّ عامل النبي صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه الأسود عن صنعاء أبانُ بن سعيد بن العاصي ، وأنّ الذى قتل الأسود العنسيّ فيروز بن الديلمي ، وأنّ قيساً وفيروز ادّعيا قتله وهما بالمدينة . فقال عمر : قتله هذا الأسد يعني فيروز .

٣٠١ — قالوا : ثم إنّ قيساً اتهم بقتل داذَوَيْه ، وبلغ أبا بكر أنه على إجلاء الأبناء عن صنعاء ، فأغضبه ذلك ، وكتب إلى المهاجر بن أبي أمية حين دخل صنعاء وهو عامله عليها يأمره بحمل قيس إلى ما قِبَله . فلما قدم به عليه أحلفه خمسين يميناً عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه ما قتل داذَوَيْه فحلف ، فخلّى سبيله ووجّهه إلى الشام مع من انتُدب لغزو الروم من المسلمين .

فتوح الشام

٣٠٢ — قالوا : لما فرغ أبو بكر رضى الله عنه من أمر أهل الرِدَّة رأى توجيهَ الجيوش إلى الشام . فكتب إلى أهل مكة والطائف واليمن ، وجميع العرب بنجد والحجاز ، يستنفرهم للجهاد ويرغّبهم فيه وفى غنائم الروم . فسارع الناس إليه من بين محتسبٍ وطامع ، وأتوا المدينة من كل أوْبٍ . فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال : خالد بن سعيد بن العاصى بن أمية وشُرَحْبيل بن حَسَنَة حليف بنى جمح ، — وشُرَحْبيل فيما ذكر الواقدى ابن عبدالله بن المطاع الكندى ، وحَسَنَة أمه ، وهى مولاة معْمَر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، وقال الكلبى : هو شُرَحْبيل بن ربيعة بن الطاع من ولد صُوفة ، وهم الغَوْث بن مُرٍّ ابن أدّ بن طابخة — وعمرو بن العاص بن وائل السَّهمى (ص ١٠٧) . وكان عقده هذه الألوية يوم الخميس لمستهلّ صفر سنة ثلاث عشرة ، وذلك بعد مقام الجيوش معسكرين بالجُرْف المحرم كله وأبو عبيدة بن الجراح يصلّى بهم ، وكان أبو بكر أراد أبا عبيدة أن يعقد له فاستعفاه من ذلك . وقد روى قوم أنه عقد له وليس ذلك بثبت ، ولكنّ عمر وَلاّه الشام كله حين استُخلف .

٣٠٣ — وذكر أبو مِخْنَف أنّ أبا بكر قال للأمراء : إن اجتمعتم على قتالٍ فأميركم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفِهْرى ، وإلاّ فيزيد بن أبى سفيان . وذكر أنّ عمرو بن العاصى إنما كان مدداً للمسلمين وأميراً على من ضُمّ إليه .

قال : ولما عقد أبو بكر لخالد بن سعيد كره عمرُ ذلك . فكلّم أبا بكر فى عزله ، وقال : إنه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب . فعزله أبو بكر ووجّه أبا أروى الدَّوْسى لأخذِ لوائه ، فلقيه بذى المَرْوَة فأخذ اللواء منه ، وورد

به على أبي بكر ، فدفعه أبو بكر رضى الله عنه الى يزيد بن أبي سفيان . فسار به ومعاوية أخوه يحمله بين يديه . ويقال بل سلّم اليه اللواء بذى المَرْوَة ، فمضى على جيش خالد ، وسار خالد بن سعيد محتسباً فى جيش شُرَحْبيل .

وأمر أبو بكر رضى الله عنه عمرو بن العاصى أن يسلك طريق أيْلَةَ عامداً لفلسطين ، وأمر يزيد أن يسلك طريق تبوك ، وكتب إلى شُرَحْبيل أن يسلك أيضاً طريق تبوك . وكان العقد لكل أمير فى بدء الأمر على ثلاثة آلاف رجل ، فلم يزل أبو بكر يُتْبعهم الأمداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمس مئة ، ثم تتامَّ جمعُهم بعد ذلك أربعة وعشرين ألفاً .

٣٠٤ — ورُوى عن الواقدى أن أبا بكر ولّى عَمْراً فلسطين ، وشُرَحْبيلَ الأردُنَّ ، ويزيدَ دمشق ، وقال : إذا كان بكم قتال فأميركم الذى تكونون فى عمله .

ورُوى أيضاً أنه أمر عَمْراً مشافهةً أن يصلّىَ بالناس إذا اجتمعوا ، وإذا (ص ١٠٨) تفرقوا صلّى كلُّ أميرٍ بأصحابه . وأمر الأمراء أن يعقدوا لكل قبيلة لواءً يكون فيهم .

٣٠٥ — قالوا : فلما صار عمرو بن العاصى إلى أول عمل فلسطين كتب إلى أبي بكر يُعلمه كثرة عدد العدوّ وعدَّتهم وسعةَ أرضهم ونجدةَ مقاتلتهم . فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى وهو بالعراق يأمره بالمسير إلى الشام . فيقال إنه جعله أميراً على الأمراء فى الحرب . وقال قوم : كان خالد أميراً على أصحابه الذين شخصوا معه ، وكان المسلمون إذا اجتمعوا لحربٍ أمَّره الأمراء فيها لبأسه وكيده ويُمْن نقيبته .

٣٠٦ — قالوا : فأول وقعة كانت بين المسلمين وعدوّهم بقرية من قرى غَزّة يقال لها داثِن، كانت بينهم و بين بَطْريق غزة . فاقتتلوا فيها قتالاً شديداً . ثم إن الله تعالى أظهر أولياءه وهزم أعداءه وفضّ جمعهم ، وذلك قبل قدوم خالد بن الوليد الشام . وتوجّه يزيد بن أبى سفيان فى طلب ذلك البَطْريق . فبلغه أن بالعَرَبَة من أرض فلسطين جمعاً للروم ، فوجّه اليهم أبا أمامة الصُّدَى ابن عَجْلان الباهلى فأوقع بهم وقتل عظيمهم ثم انصرف .

٣٠٧ — وروى أبو مِخْنَف فى يوم العَرَبَة أنّ ستة قواد من قواد الروم نزلوا العربة فى ثلاثة آلاف ، فسار اليهم أبو أمامة فى كثف من المسلمين ، فهزمهم وقتل أحد القواد ، ثم اتبعهم فصاروا إلى الدُّبِيَّة ، وهى الدابية ، فهزمهم وغنم المسلمون غُنْماً حسنا .

٣٠٨ — وحدثنى أبو حفص الشامى

عن مشايخ من أهل الشام قالوا : كانت أول وقائع المسلمين وقعة العَرَبَة ، ولم يقاتلوا قبل ذلك مذ فصلوا من الحجاز . ولم يمروا بشىء من الأرض فيما بين الحجاز وموضع هذه الوقعة إلا غلبوا عليه بغير حرب وصار فى أيديهم . (ص ١٠٩) .

ذكر شخوص خالد بن الوليد إلى الشام
وما فتح فى طريقه

٣٠٩ — قالوا : لما أتى خالد بن الوليد كتابُ أبى بكر وهو بالحيرة خلّف المثنىّ بن حارثة الشيبانى على ناحية الكوفة وسار فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة فى ثمان مئة ويقال فى ست مئة ويقال فى خمس مئة . فأتى عين التّمر . ففتحها عنوة . ويقال إنّ كتاب أبى بكر وافاه وهو بعين التّمر وقد فتحها ، فسار خالد من عين التّمر فأتى صَنْدَوْداء وبها قوم من كِندة وإياد والعجم ، فقاتله أهلها فظفرَ ، وخلّف بها سعدَ بن حَرَام الأنصارى ، فولده اليوم بها . وبلغ خالداً أنّ جمعاً لبنى تغلب بن وائل بالمُصَيَّخ والحُصَيْد مرتدّين ، عليهم ربيعة بن بُجَيْر . فأتاهم ، فقاتلوه فهزمهم وسبى وغنم ، وبعث بالسبى إلى أبى بكر . فكانت منهم أم حبيب الصهباء بنت حبيب بن بُجَيْر ، وهى أم عمر بن أبى طالب . ثم أغار خالد على قُراقِر ، وهو ماء لكلب ، ثم فوّز منه إلى سُوَى ، وهو ماء لكلب أيضاً ، ومعهم فيه قوم من بَهْرآء . فقتل حُرْقُوص بن النعمان البَهْرانى من قُضاعة واكتسح أموالهم . وكان خالد لما ركب المفازة عمد إلى الرواحل فأرواها من الماء ، ثم قطع مشافرها وأجرّها لئلا تجترّ فتعطش ، ثم استكثر من الماء وحمله معه ، فنفد فى طريقه ، فجعل ينحر تلك الرواحل راحلةً راحلةً ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها . وكان له دليل يقال له رافع بن عُمَيْر الطائى ففيه يقول الشاعر : (ص ١١٠) .

لله دَرُّ نافعٍ أنىّ اهتدى فوّز من قُراقرٍ إلى سُوَى
ماءً إذا ما رامه الجِبْسُ انثنى ما جازها قبلكَ من إنسٍ يُرَى

وكان المسلمون لما انتهوا إلى سُوى وجدوا حُرقوصاً وجماعةً معه يشربون ويتغنون ، وحُرقوص يقول :

ألا عَلّلانى قبلَ جيشِ أبى بكر لعلّ منايانا قريبٌ ولا ندرى

فلما قتله المسلمون جعل دمهَ يسيلُ فى الجفنة التى كان فيها شرابه . ويقال إن رأسه سقط فيها أيضاً . وقال بعض الرواة : إن المغنّى بهذا البيت رجل ممن كان أغار خالد عليه من بنى تغلب مع ربيعة بن بُجَير .

٣١٠ — وقال الواقدى : خرج خالد من سُوى إلى الكواثِل ، ثم أتى قَرْقيسيا ، فخرج اليه صاحبها فى خلق ، فتركه وانحاز إلى البرّ ومضى لوجهه ، وأتى خالد أرَكَة ، وهى أرك ، فأغار على أهلها وحاصرهم ، ففتحها صلحاً على شىء أخذه منهم للمسلمين. وأتى دُوْمَة الجندل ففتحها . ثم أتى قُصَم فصالحه بنو مَشْجَعَة ابن التَّيْم بن النَّمِر بن وَبَرَة بن تغلب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة وكتب لهم أمانا . ثم أتى تَدْمُر فامتنع أهلها وتحصنّوا ، ثم طلبوا الأمان فأمّنهم على أن يكونوا ذمة ، وعلى أن قروا المسلمين ورضخوا (ص ١١١) لهم . ثم أتى القريتين فقاتله أهلها ، فظفر وغنم . ثم أتى حَوّارين من سَنِير فأغار على مواشى أهلها فقاتلوه ، وقد جاءهم مددُ أهلِ بَعْلَبَكّ وأهلِ بُصرى ، وهى مدينة حوران ، فظفر بهم فسبى وقتل . ثم أتى مرج راهط فأغار على غسّان فى يوم فصحهم ، وهم نصارى ، فسبى وقتل . ووجّه خالد بُسْرَ بن أبى أرطاة العامرى من قريش وحبيب بن مَسْلَمَة الفهرىّ إلى غوطة دمشق ، فأغارا على قرى من قراها . وصار خالد إلى الثنيّة التى تُعرف بثنيّة العُقاب بدمشق . فوقف عليها ساعة ناشراً رايته ، وهى راية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ، فسُمّيت ثَنِيّة

العُقاب يومئذ . والعربُ تُسمى الراية عُقاباً ، وقوم يقولون : إنها سُمّيت بعُقاب من الطير كانت ساقطة عليها . والخبر الأول أصح . وسمعتُ من يقول : كان هناك مِثالُ عُقابٍ من حجارة ، وليس ذلك بشيء .

٣١١ — قالوا : ونزل خالد بالباب الشرقيّ من دمشق ، ويقال بل نزل بباب الجابية ، فأخرج إليه أسقف دمشق نُزُلاً وخدمة فقال : احفظ لى هـذا العهد . فوعده بذلك . ثم سار خالد حتى انتهى إلى المسلمين وهم بقناة بُصرى . ويقال إنه أتى الجابية وبها أبو عبيدة فى جماعة من المسلمين فالتقيا ومضيا جميعاً إلى بُصرى .

فتح بُصرى

٣١٢ — قالوا : لما قدم خالدُ بن الوليد على المسلمين بُصرى اجتمعوا عليها (ص ١١٢) وأمّروا خالداً فى حربها ، ثم ألصقوا بها وحاربوا بَطْريقها حتى ألجأوه وكُماة أصحابه إليها . ويقال بل كان يزيد بن أبى سفيان المتقلّد لأمرِ الحرب . لأنّ ولايتها وإمرتها كانت إليه لأنها من دمشق . ثم إنّ أهلها صالحوا على أن يؤمَّنوا على دمائهم وأموالهم وأولادهم على أن يؤدوا الجزية .

٣١٣ — وذكر بعضُ الرواة أنّ أهلَ بُصرى صالحوا على أن يؤدّوا عن كل حالم ديناراً وجريبَ حنطة . وافتتح المسلمون جميع أرض كورة حَوْران وغلبوا عليها .

قال : وتوجه أبو عبيدة بن الجرّاح فى جماعة من المسلمين كثيفة من أصحاب الأمراء ضُمّوا إليه ، فأتى مآب من أرض البلقاء وبها جمع العدو ، فافتتحها صلحاً على مثل صلح بُصرى .

وقال بعضهم : إنّ فتح مآب قبل فتح بصرى .

وقال بعضهم : إنّ أبا عبيدة فتح مآب وهو أمير على جميع الشام أيام عمر .

يوم أجنادَين ويقال أجنادِين

٣١٤ — ثم كانت وقعة أجنادين وشهدها من الروم زهاء مئة ألف سَرَّبَ هرقلُ أكثرهم ، وتجمع باقوهم من النواحي ، وهرقلُ يومئـذ مقيمٌ بحمص . فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً ، وأبلى خالد بن الوليد يومئذ بلاءً حسناً ، ثم إنّ الله هزم أعداءه ومَزّقهم كلّ ممزق ، وقتل منهم خلق كثير . واستُشهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وعمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية ، وأخوه أبان بن سعيد ، وذلك الثبت ، ويقال بل توفى أبان في سنة تسع وعشرين . وطُلَيْب بن عُمَيْر بن وهب بن عبد بن قصيّ ، بارزه علج فضربه ضربة أبانت يده اليمنى فسقط سيفه مع كفه ، ثم غشيه (ص ١١٣) الروم فقتلوه . وأمه أروى بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يكنى أبا عديّ . وسَلَمَة بن هشام بن المغيرة ، ويقال إنه قُتل بمرج الصُفَّر . وعِكْرِمَة بن أبي جهل ابن هشام المخزومي . وهَبّار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي ، ويقال بل قُتل يوم مؤتة . ونُعَيم بن عبد الله النحّام العدويّ ، ويقال قُتل يوم اليرموك . وهشام بن العاصي بن وائل السهمي ، ويقال قتل يوم اليرموك . وعمر بن الطُّفَيل ابن عمرو الدَّوْسي ، ويقال قُتل يوم اليرموك . وجُنْدُب بن عمرو الدَّوْسي . وسعيد بن الحارث . والحارث بن الحارث . والحجَّاج بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي .

٣١٥ — وقال هشام بن محمد الـكلبي : قُتل النحّام يوم مؤتة ، وقُتل سعيد بن الحارث بن قيس يوم اليرموك ، وقُتل تميم بن الحارث يوم أجنادَين ،

وقُتل عبيد الله بن عبد الأسد أخوه يوم اليرموك . قال : وقتل الحارث بن هشام ابن المغيرة يوم أجنادين .

٣١٦ — قالوا : ولما انتهى خبر هذه الوقعة إلى هرقل نُخِبَ قلبُه وسقط فى يده ومُلِئ رعباً ، فهرب من حمص إلى أنطاكية . وقد ذكر بعضهم أنّ هربه من حمص إلى أنطاكية كان عند قدوم المسلمين الشام . وكانت وقعة أجنادين يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، سنة ثلاث عشرة ، ويقال لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ، ويقال لليلتين بقيتا منه .

٣١٧ — قالوا : ثم جمعت الروم جمعاً بالياقوصة ، والياقوصة وادٍ فمه الفوّارة ، فلقيهم المسلمون هناك ، فكشفوهم وهزموهم ، وقتلوا كثيراً منهم ، ولحق فَلُّهم بمدن الشام . وتوفى أبو بكر رضى الله عنه فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، فأتى المسلمين نعيه وهم بالياقوصة (ص ١١٤) .

يوم فِحْل من الأُرْدُنّ

٣١٨ — قالوا : وكانت وقعة فِحْل من الأُرْدُنّ لليلتين بقيتا من ذى القعدة ، بعد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخمسة أشهر ، وأميرُ الناس أبو عبيدة ابن الجراح . وكان عمر قد كتب إليه بولايته الشام وإمرة الأمراء مع عامر بن أبى وَقّاص أخى سعد بن أبى وقّاص .

٣١٩ — وقوم يقولون : إن ولاية أبى عبيدة الشام أتته والناس محاصرون دمشق ، فكتمها خالداً أياماً ، لأنّ خالداً كان أميرَ الناس فى الحرب . فقال له خالد : ما دعاك رحمك الله إلى ما فعلت ؟ قال : كرهت أن أكسرك وأوهن أمرك وأنت بإزاء عدوّ .

وكان سببَ هذه الوقعة أنّ هرقل لما صار إلى أنطاكية استنفر الروم وأهلَ الجزيرة ، وبعثَ رجلاً من خاصّته وثقاته فى نفسه . فلقُوا المسلمين بفِحْل من الأُرْدُنّ ، فقاتلوهم أشد قتال وأبرحه حتى أظهرهم الله عليهم . وقُتل بَطريقُهم وزهاء عشرة آلاف معه ، وتفرّق الباقون فى مدن الشام ، ولحق بعضهم بهرقل ، وتحصن أهلُ فِحْل فحصرهم المسلمون حتى سألوا الأمان على أداء الجزية عن رؤوسهم والخراج عن أرضهم ، فأمّنوهم على أنفسهم وأموالهم ، وأنْ لا تهدم حيطانهم . وتولى عقد ذلك أبو عبيدة بن الجرّاح ، ويقال : تولاّه شُرَحْبيل ابن حَسَنَة .

أمر الأردن

٣٢٠ — حدثنى حفص بن عمر العمري ،

عن الهيثم بن عَدِيّ قال : افتتح شُرَحْبيل (ص ١١٥) بن حَسَنَة الأردُنّ عنوةً ، ماخلا طَبَرِيّة فإن أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم .

٣٢١ — وحدثنى أبو حفص الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز التنوحى ،

عن عِدة منهم أبو بشر مؤذّن مسجد دمشق أنّ المسلمين لما قدموا الشام كان كلّ أمير منهم يقصد لناحية ليغزوَها ويبثّ غاراته فيها . فكان عمرو ابن العاصى يقصد لفلسطين ، وكان شُرَحْبيلُ يقصد للأردن ، وكان يزيد ابن أبى سفيان يقصد لأرض دمشق . وكانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه ، وإذا احتاج أحدُهم إلى معاضدة صاحبه وإنجاده سارع إلى ذلك . وكان أميرهم عند الاجتماع فى حربهم ، أولَ أيام أبى بكر رضى الله عنه ، عمرو بن العاصى ، حتى قدم خالد بن الوليد الشام فكان أمير المسلمين فى كل حرب . ثم وُلّى أبو عبيدة بن الجراح أمرَ الشام كله وإمرةَ الأمراء فى الحرب والسلم من قبل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أنه لما استُخلف كتب إلى خالد بعزله وولّى أبا عبيدة .

ففتح شُرَحْبيل بن حَسَنَة طَبَرِيّةَ صلحاً بعد حصار أيام ، على أن أمّن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومنازلهم إلا ما جلوا عنه وخلّوه ، واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً . ثم إنهم نقضوا فى خلافة عمر واجتمع إليهم قومٌ من الروم وغيرهم ، فأمر أبو عبيدة عمرو بن العاصى بغزوهم . فسار إليهم

فى أربعة آلاف ففتحها على مثل صلح شُرَحْبيل . ويقال بل فتحها شُرَحْبيل ثانية . وفتح شُرَحْبيل جميع مدن الأرْدُنّ وحصونها على هذا الصلح فتحاً يسيراً بغير قتال : ففتح بَيْسان،وفتح سُوسِيَة ، وفتح أفيق ، وجَرَش ، و بيت رأس ، وَقَدَس ، والجَوْلان ، وغلب على سواد الأرْدُنّ وجميع أرضها .

٣٢٢ — قال أبو حفص : قال أبو محمد سعيد بن عبد العزيز ،

وبلغنى أن الوَضِين بن عطاء قال : فتح شُرَحْبيل عَكا ، وصور ، وصَفّورِية .

وقال أبو بشر المؤذِّن : إن أبا عبيدة وجَّه (ص ١١٦) عمرو بن العاصى إلى سواحل الأرْدُنّ فكثر به الروم وجاءهم المدد من ناحية هِرَقل وهو بالقسطنطينية . فكتب إلى أبى عبيدة يستمدّه . فوجَّه أبو عبيدة يزيد ابن أبى سفيان . فسار يزيد وعلى مقدّمته معاوية أخوه . ففتح يزيد وعمرو سواحل الأرْدُنّ ، فكتب أبو عبيدة بفتحها لهما ، وكان لمعاوية فى ذلك بلاء حسن وأثر جميل .

٣٢٣ — وحدثنى أبو اليسع الأنطاكى عن أبيه ،

عن مشايخ أهل أنطاكية والأردُنّ قالوا : نقل معاوية قوماً من فُرْس بَعَلْبَكّ وحِمْص وأنطاكية إلى سواحل الأرْدُنّ : صُور وعكا وغيرها سنة اثنتين وأربعين . ونقل من أساورة البصرة والكوفة وفُرْسِ بعلبكّ وحمص إلى أنطاكية فى هذه السنة أو قبلها أو بعدها بسنة جماعة . فكان من قوّاد الفرس مُسْلم بن عبد الله جدّ عبد الله بن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكي .

٣٢٤ — وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي، وأخبرني هشام بن الليث الصوري ،

عن مشايخ من أهل الشام قالوا : رمّ معاوية عكا عند ركوبه منها إلى قبرص ، ورمّ صور . ثم إنّ عبد الملك بن مروان جدّدهما وقد كانتا خربتا .

٣٢٥ — وحدثني هشام بن الليث قال :

حدثني أشياخنا قالوا : نزلنا صور والسواحل وبها جندٌ من العرب وخَلْقٌ من الروم . ثم نزع إلينا أهـــل بلدان شتّى فنزلوها معنا ، وكذلك جميع سواحل الشام .

٣٢٦ — وحدثني محمد بن سهم الأنطاكي ،

عن مشايخ أدركهم قالوا : لما كانت سنة تسع وأربعين خرجت الروم إلى السواحل ، وكانت الصناعـــة بمصر فقط . فأمر معاوية بن أبي سفيان بجمع الصنّاع النجّارين ، فجُمِعوا ورتّبهم في السواحـــل . وكانت الصناعة في الأُرْدُنّ بعكّا .

قال : فذكر أبو الخطاب الأزدي أنه كانت لرجل من ولد أبي مُعَيْط بعكا أرحاء ومستغلّات . فأراده هشام بن عبدالملك على أن يبيعه إيّاها ، فأبى المُعَيْطِيّ ذلك عليه . فنقل هشام الصناعة إلى صور ، واتخذ بصور (ص ١١٧) فنـــدقاً ومستغلّا .

وقال الواقدي : لم تزل المراكب بعكّا حتى وُلِّي بنو مروان فنقلوها إلى صور، فهي بصور إلى اليوم . وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله في سنة سبع وأربعين ومائتين بترتيب المراكب بعكّا وجميع السواحل وشحنها بالمقاتلة .

يوم مرج الصُفَّر

٣٢٧ — قالوا: ثم اجتمعت الروم جمعاً عظيماً وأمَدّهم هرقل بمدد . فلقيهم المسلمون بمرج الصُفَّر وهم متوجِّهون إلى دمشق ، وذلك لهلال المحرم سنة أربع عشرة . فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى جرت الدماء فى الماء وطحنت بها الطاحونة ، وجُرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف . ثم وَلّى الكفرةُ منهزمين مفلولين لا يلوون على شىء ، حتى أتوا دمشق وبيت المقدس . واستُشهد يومئذ خالدُ ابن سعيد بن العاصى بن أمية ، ويكنى أبا سعيد . وكان قد أعرس فى الليلة التى كانت الوقعة فى صبيحتها بأمّ حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومى امرأة عكْرِمة بن أبى جهل . فلما بلغها مصابه انتزعت عمود الفُسطاط فقاتلت به. فيقال إنها قَتَلت يومئذ سبعة نفر وإنّ بها لرَدْعَ الخَلُوق.

٣٢٨ — وفى رواية أبى مِخْنَف أن وقعة المرج بعد أجنادين بعشرين ليلة ، وأنّ فتح مدينة دمشق بعدها ، ثم بعد فتح مدينة دمشق وقعةُ فِحْل . ورواية الواقدى أثبت .

وفى يوم المرج يقول خالد بن سعيد بن العاصى :

مَنْ فارسٌ كرِهَ الطّعانَ يُعيرُنى رُمْحاً إذا نزلوا بمرج الصُفر

وقال عبد الله بن كامل بن حبيب بن عُمَيْر بن خُفَاف بن امرىء القيس ابن بُهْثَةَ بن سُلَيْم :

شَهِدَتْ قبائلُ مالكٍ وتَغَيّبَتْ عَنّى عُمَيْرَةُ يومَ مرج الصُفَّر

يعنى مالك بن خُفاف . (ص ١١٨) .

٣٢٩ — وقال هشام بن محمد الكلبي : استُشهد خالد بن سعيد يوم المرج ، وفي عنقه الصَّمصامة سيفه . وكان النبي صلى الله عليه وسلم وجّهه إلى اليمن عاملاً ، فمرّ برهْطِ عمرو بن معدى كَرِب الزبيدى من مَذْحِج ، فأغار عليهم ، فسبا امرأة عمرٍو وعِدّةً من قومه ، فعرض عليه عمرو أنْ يمنّ عليهم ويسلموا ، ففعل وفعلوا ، فوهب له عمرو سيفه الصَّمصامة وقال :

خليلٌ لم أهَبْه مِنْ قِلاه ولكنّ المواهبَ للكرام
خليلٌ لم أخُنْه ولم يَخُنِّى كذلك ما خِلالىَ أو ندامى
حَبَوْتُ به كريمًا من قُريشٍ فسُرّ به وصِينَ عن اللّئام

قال : فأخذ معاوية السيف من عنق خالد يوم المرج حين استُشهد فكان عنده ، ثم نازعه فيه سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية فقضى له به عثمان ، فلم يزل عنده . فلما كان يوم الدار وضُرب مروان على قفاه وضُرب سعيد فسقط صريعاً ، أخذ الصَّمْصَامة منه رجلٌ من جُهَيْنة فكان عنده . ثم إنه دفعه إلى صَيْقَلٍ ليجلوَه ، فأنكر الصيقل أن يكون للجُهَنىّ مثله ، فأتى به مروان بن الحكم وهو والى المدينة . فسأل الجُهَنى عنه فحدّثه حديثه فقال : أما والله لقد سُلبتُ سيفى يوم الدار ، وسُلِبَ سعيد بن العاصي سيفه . فجاء سعيد فعرف السيف فأخذه وختم عليه ، وبعث به إلى عمرو بن سعيد الأشدق وهو على مكة . فهلك سعيد فبقى السيف عند عمرو بن سعيد . ثم أصيب عمرو بن سعيد بدمشق وانتُهب متاعُه ، فأخذ السيف محمد بن سعيد أخو عمرو لأبيه . ثم صار إلى يحيى ابن (ص ١٢٩) سعيد . ثم مات فصار إلى عَنْبَسَة بن سعيد بن العاصي . ثم إلى سعيد بن عمرو بن سعيد . ثم هلك فصار إلى محمد بن عبد الله بن سعيد ، وولده ينزلون ببارق . ثم صار إلى أبان بن يحيى بن سعيد ، فحلاّه بحلية ذهب فكان عند أم ولد له . ثم إنّ أيوب بن أبى أيوب بن سعيد بن عمرو بن سعيد باعه من

المهدى أمير المؤمنين بنيف وثمانين ألفاً ، فردّ المهدى حليته عليه . ولما صار الصَّمصامة إلى موسى الهادى أمير المؤمنين أُعجب به وأمر الشاعر ، وهو أبو الهول أن ينعته فقال :

حازَ صَمْصَامةَ الزُّبيدىّ عمروٍ   خيرُ هذا الأنام موسى الأمينُ
سيفُ عمروٍ وكان فيما علمنا   خَيْرَ ما أُطبقت عليه الجفونُ
أخضرُ اللونِ بين حدّيْه بُرْدٌ   من ذُعاف تميس فيه المنونُ
فإذا ما سَلَلْتَه بَهَرَ الشمـــس ضياءً فلم تَكَدْ تستبينُ
ما يبالى إذا الضَّريبةُ حانت   أشِمالٌ سَطَتْ به أم يمينُ
نِعْمَ مِخْراقُ ذى الحفيظةِ فى الهيـــجا يُعَضّا به ونِعْمَ القرينُ

ثم إن أمير المؤمنين الواثق بالله دعى له بصَيْقل وأمره أن يُسْقِنَه ، فلما فعل ذلك تغيّر .

فتحَ مدينة دِمَشق وأرضِها

٣٣٠ — قالوا : لما فرغ المسلمون من قتالِ مَنْ اجتمع لهم بالمرج أقاموا خمس عشرة ليلة ، ثم رجعوا إلى مدينة دمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع عشرة ، فأخذوا الغوطة وكنائسها عنوة . وتحصّن أهل المدينة وأغلقوا بابها . فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقى فى زهاء خمسة آلاف (ص ١٢٠) ضمّهم إليه أبو عبيدة . وقوم يقولون إنّ خالداً كان أميراً ، وإنما أتاه عزله وهم محاصرون دمشق . وسُمّى الديرُ الذى نزل عنده خالد ديرُ خالد . ونزل عمرو ابن العاصى على باب توما . ونزل شُرَحْبيل على باب الفراديس . ونزل أبو عبيدة على باب الجابية . ونزل يزيد بن أبى سفيان على الباب الصغير إلى الباب الذى يعرف بكَيْسان . وجُعل أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجى على مَسْلَحة ببَرْزَة . وكان الأسقف الذى أقام لخالد النزُل فى بدأته ربما وقف على السور فدعى له خالد: فاذا أتى سلّم عليه وحادثه . فقال له ذات يوم : يا أبا سليمان ! إنّ أمركم مقبلٌ ، ولى عليك عِدة ، فصالحنى عن هــذه المدينة ، فدعى خالد بدواة وقرطاس فكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهــل دمشق إذا دخلها : أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يُهدم ولا يسكن شىء من دورهم . لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنين لا يُعْرَضُ لهم إلا بخير اذا أعطوا الجزية »

ثم إن بعض أصحاب الأسقف أتى خالداً فى ليلة من الليالى فأعلمه أنها ليلة عيد لأهل المدينة ، وأنهم فى شُغُل ، وأنّ الباب الشرقى قد رُدم بالحجارة وتُرك

وأشار عليه أنْ يلتمس سُلّماً . فأتاه قوم من أهل الدير الذى عند عسكره بسلّمَيْن فرقى جماعة من المسلمين عليهما إلى أعلى السور ونزلوا إلى الباب وليس عليه إلاّ رجلٌ أو رجلان . فتعاونوا عليه وفتحوه ، وذلك عند طلوع الشمس ، وقد كان أبو عبيدة بن الجرّاح عانى فتح باب الجابية وأصعد جماعة من المسلمين على حائطه ، فأنصبّ مقاتلةُ الروم إلى ناحيته فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً ، ثم إنّهم ولّوا مدبرين ، وفتح أبو عبيدة والمسلمون معه باب الجابية عُنوةً ، ودخلوا منه ، فالتقى أبو عبيدة (ص ١٢١) وخالد بن الوليد بالمِقْسلاّط ، وهو موضع النحّاسين بدمشق ، وهو البريص الذى ذكره حسان بن ثابت فى شعره حين يقول :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهمُ   بَرَدَىْ يُصَفَّقُ بالرحيقِ السَلْسَلِ

٣٣٠ — وقد رُوى أن الروم أخرجوا ميتاً لهم من باب الجابية ليلاً ، وقد أحاط بجنازته خلقٌ من شجعانهم وكماتهم ، وانصبّ سائرهم إلى الباب فوقفوا عليه ليمنعوا المسلمين من فتحه ودخوله إلى رجوع أصحابهم من دفن الميت ، وطمعوا فى غفلة المسلمين عنهم ، وإنّ المسلمين بدروا بهم فقاتلوهم على الباب أشد قتال وأبرحه حتى فتحوه فى وقت طلوع الشمس . فلما رأى الأسقف أن أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقى . فدخل والأسقف معه ناشراً كتابه الذى كتبه له . فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه ؟ فقال أبو عبيدة : إنه يجيز على المسلمين أدناهم . وأجاز صلحه وأمضاه ، ولم يلتفت إلى ما فُتِح عنوة ، فصارت دمشق صلحاً كلها . وكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر وأنفذه ، وفتحت أبواب المدينة فالتقى القوم جميعاً .

٣٣١ — وفى رواية أبى مِخْنَف وغيره أنّ خالداً دخل دمشق بقتال، وأن أبا عبيدة دخلها بصلح، فالتقيا بالزّياتين. (ص ١٢٢) والخبر الأول أثبت.

٣٣٢ — وزعم الهيثم بن عدىّ أنّ أهــل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم.

٣٣٣ — وقال محمد بن سعد: قال أبو عبد الله الواقدى: قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس. وقد رُوى ذلك ولا أدرى من أين جاء به مَنْ رواه. ولكن دمشق لما فتحت لحق بَشَرٌ كثير من أهلها بِهِرقل وهو بأنطاكية، فكثرت فضولُ منازلها فنزلها المسلمون.

٣٣٤ — وقد روى قوم أن أبا عبيدة كان بالباب الشرقى وأن خالداً كان بباب الجابية. وهذا غلط[1].

٣٣٥ — قال الواقدى: وكان فتحُ مدينة دمشق فى رجب سنة أربع عشرة. وتاريخ كتاب خالد بصلحها فى شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة. وذلك أن

(١) فى هامش نسخة A ما يلى: يقول محمد بن عساكر: قد اعتمد المؤلف على الرواية فى فتح دمشق من باب الجابية عنوة بيد أبى عبيدة رضى الله عنه وأكد ذلك بقوله هنا والخبر الأول أثبت وهو على الحقيقة أضعف الروايات فى فتح دمشق. والصحيح الثابت بالاخبار والآثار أن خالداً رضى الله عنه دخلها من الباب الشرقى قسراً ودخلها أبو عبيده سلماً من باب الجابية هذا من حيث صحة الأخبار وأما من حيث دلالة الآثار فان جامع دمشق لم يكن بيد المسلمين منه قبل عمارته الا الجانب الشرقى بحكم السيف ودليلنا أن المقصورة التى تنسب الى الصحابة والسبع القرأة به أيضاً. ولم تزل الكنيسة من غربية إلى أن هدمها الوليد بن عبد الملك لما عزم على بنائه فى خلافته. وفى رواية المؤلف أولا من أن خالداً أتى بسلمين من الدير المجاور لعسكره فرقى أصحابه فيها إلى سور الباب الشرقى دليل يقوى ما ذكرناه ههنا والله أعلم بالصواب.

خالداً كتب الكتاب بغير تاريخ ، فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمَّع لهم باليرموك أتى الأسقف خالداً فسأله أن يجدِّد له كتاباً ويُشهد عليه أبا عبيدة والمسلمين . ففعل وأثبت فى الكتاب شهادة أبى عبيدة ويزيد بن أبى سفيان وشُرَحْبيل بن حسنة وغيرهم ، فأرّخه بالوقت الذى جدّده .

٣٣٦ — وحدثنى القاسم بن سلام (ص ١٢٣) قال : حدثنا أبو مسهر ،

عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى قال : دخل يزيدُ دمشق من الباب الشرقى صلحاً فالتقيا بالمقسلاّط، فأُمضيت كلّها على الصلح .

٣٣٧ — وحدثنى القاسم قال : حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبى المهلب الصنعانى ،

عن أبى الأشعث الصنعانى أو أبى عثمان الصنعانى أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر .

٣٣٨ — حدثنى أبو عبيد قال : حدثنا نعيم بن حماد عن ضَمْرة بن ربيعة ،

عن رجاء بن أبى سَلَمة قال : خاصم حسانُ بن مالك عجمَ أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز فى كنيسة كان رجل من الأمراء أقطعه إيّاها . فقال عمر إن كانت من الخمس العشرة الكنيسة التى فى عهدهم فلا سبيل لك عليها .

قال ضَمْرَة عن على بن أبى حَمَلَة : خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز فى كنيسة كان فلان قطعها لبنى نصر بدمشق ، فأخرجنا عمر عنها وردّها إلى النصارى . فلما ولّى يزيد بن عبد الملك ردّها إلى بنى نصر .

٣٣٩ — حدثنى أبو عبيد قال : حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم ،

عن الأوزاعى أنه قال : كانت الجزية بالشام فى بدئ الأمر جريباً وديناراً على كل جمجمة . ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورِق أربعين درهماً ، وجعلهم طبقات لغنى الغنىّ وإقلال المقلّ وتوسط المتوسط .

قال هشام : وسمعت مشايخنا يذكرون أن اليهود كانوا كالذمة للنصارى يؤدّون إليهم الخراج فدخلوا معهم فى الصلح .

وقد ذكر بعض الرواة أنّ خالدَ بن الوليد صالح أهل دمشق فيما صالحهم عليه على أن ألزم كلّ رجل من الجزية ديناراً وجريب حنطة وخلاً وزيتاً لقوت المسلمين .

٣٤٠ — حدثنا عمرو الناقد حدثنا عبد الله بن وهب المصرى عن عمر بن محمد عن نافع (ص ١٢٤)

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب أنّ عمر كتب إلى أمراء الأجناد يأمرهم أن يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى ، وأن يجعلوها على أهل الورِق على كل رجل أربعين درهماً ، وعلى أهل الذهب أربعة دنانير ، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مديان حنطةً وثلاثة أقساط زيتاً ، كل شهر لكل إنسان بالشام والجزيرة ، وجعل عليهم وَدَكاً وعسلاً لا أدرى كم هو ، وجعل لكل إنسان بمصر فى كل شهر أردباً وكسوةً وضيافة ثلاثة أيام .

٣٤١ — وحدثنا عمرو بن حماد بن أبى حنيفة قال حدثنا مالك بن أنس عن نافع ،

عن أسلم أنّ عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورِق أربعين درهماً ، مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام .

٣٤٢ — وحدثنى مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن اسلم بمثله .

٣٤٣ — قالوا : ولما وُلّى معاوية بن أبى سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا فى المسجد بدمشق . فأبى النصارى ذلك ، فأمسك . ثم طلبها عبد الملك بن مروان فى أيامه للزيادة فى المسجد ، وبذل لهم مالاً فأبوا أن يسلّموها إليه . ثم إنّ الوليد بن عبد الملك جمعهم فى أيامه وبذل لهم مالاً عظيماً على أنْ يعطوه إيّاها فأبوا . فقال : لئن لم تفعلوا لأهدمنّها . فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ! إنّ من هدم كنيسةً جُنّ وأصابته عاهة . فأحفظه قوله ، ودعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده ، وعليه قباء خز أصفر . ثم جمع الفَعَلَة والنقّاضين فهدموها ، وأدخلها فى المسجد . فلما استُخلف عمر بن عبد العزيز شكا النصارى إليه ما فعل الوليد بهم فى كنيستهم . فكتب إلى عامله يأمره بردّ ما زاده فى المسجد عليهم . فكره أهلُ دمشق ذلك وقالوا : يُهدم مسجدنا بعد أن أذنّا فيه وصلّينا ويُرَدُّ بيعةً ؟. وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربى وغيره من الفقهاء . وأقبلوا على النصارى فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التى أخذت عُنوة وصارت فى أيدى المسلمين ، على أن يصفحوا عن كنيسة (ص ١٢٥) يوحنا ويُمسكوا عن المطالبة بها . فرضوا بذلك وأعجبهم . فكتب به إلى عمر فسرّه وأمضاه .

وبمسجد دمشق فى الرواق القبلى مما يلى المئذنة كتاب فى رخامة بقرب السقف : « مما أمر ببنيانه أمير المؤمنين الوليد سنة ست وثمانين » .

٣٤٤ — وسمعت هشام بن عمار يقول : لم يزل سور مدينة دمشق قائماً حتى هدمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس بعد انقضاء أمر مروان وبنى أمية .

٣٤٥ — وحدثنى أبو حفص الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز ،

عن مؤذّن مسجد دمشق وغيره قالوا : اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بُصرى ففتحوها صلحاً ، وانبثّوا فى أرض حوران جميعاً فغلبوا عليها . وأتاهم صاحب أذرِعات فطلب الصلح على مثل ما صولح عليه أهل بصرى على أنّ جميعَ أرضِ البَثَنِيّة أرضُ خراج . فأجابوهم إلى ذلك . ومضى يزيد بن أبى سفيان حتى دخلها ، وعقد لأهلها . وكان المسلمون يتبصرفون بكورتى حوران والبَثَنِيّة . ثم مضوا إلى فلسطين والأُرْدُنّ وغزوا ما لم يكن فُتح . وسار يزيد إلى عَمّان ففتحها فتحاً يسيراً بصلح على مثل صلح بُصرى ، وغلب على أرضِ البلقاء . ووُلّى أبو عبيدة وقد فُتح هذا كله ، فكان أمير الناس حين فتحت دمشق ، إلا أنّ الصلح كان لخالد وأجاز صلحه . وتوجه يزيد بن أبى سفيان فى ولاية أبى عبيدة ففتح عَرَنْدَل صلحاً ، وغلب على أرض الشراة وجبالها .

قال : وقال سعيد بن عبد العزيز أخبرنى الوضين أنّ يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا وعِرْقَة وجُبَيْل و بيروت وهى سواحل ، وعلى مقدمته أخوه معاوية ، ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها ، وتولّى فتح عِرْقَة معاوية نفسه فى ولاية يزيد . ثم إنّ الروم (ص ١٢٦) غلبوا على بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان بن عفان ، فقصد لهم معاوية حتى فتحها ، ثم رمّها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع .

٣٤٦ — قالوا : فلما استخلف عثمان وولّى معاويةَ الشام وجه معاويةُ سفيان بن مُجيب الأزدى إلى أطْرابُلس ، وهى ثلاث مدن مجتمعة ، فبنى فى مرج على أميال منها حصناً سُمى حصن سفيان ، وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم ، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة وكتبوا

إلى ملك الروم يسألونه أن يمدّهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى ما قِبَله . فوجّه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا . فلما أصبح سفيان —وكان يبيت كل ليلة فى حصنه ويحصّن المسلمين فيه، ثم يغدو على العدو — وجد الحصن الذى كانوا فيه خالياً فدخله . وكتب بالفتح إلى معاوية ، فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود . وهو الذى فيه المينا اليوم . ثم إنّ عبد الملك بناه بعدُ وحصّنه .

٣٤٧ — قالوا : وكان معاوية يوجّه فى كل عام إلى أطْرابُلُس جماعة كثيفة من الجند يشحنها بهم ويولّيها عاملاً ، فإذا انغلق البحر قفل وبقى العامل فى جُمَيِّعَة منهم يسيرة ، فلم يزل الأمر فيها جارياً على ذلك حتى وُلّى عبد الملك ، فقدم فى أيامه بَطْريق من بطارقة الروم ومعه بشر منهم كثير ، فسأل أن يُعطى الأمان على أن يقيم بها ويؤدّى الخراج . فأجيب إلى مسئلته . فلم يلبث إلاّ سنتين أو أكثر منهما بأشهر حتى تحيّن قفول الجند عن المدينة ، ثم أغلق بابها وقتل عاملها وأسر مَنْ معه من الجند وعدة من اليهود ولحق وأصحابه بأرض الروم . فقدر المسلمون بعد ذلك عليه فى البحر وهو متوجّه إلى ساحل المسلمين فى مراكب كثيرة فقتلوه ، ويقال : بل أسروه وبعثوا به إلى عبد الملك فقتله وصلبه .

وسمعت من يذكر أن عبد الملك بعث إليه من حصره بأطرابلس (ص١٢٧) ثم أخذه سلماً وحمله إليه فقتله وصلبه . وهرب من أصحابه جماعة فلحقوا ببلاد الروم .

وقال علىّ بن محمد المدائنى قال عتاب بن إبراهيم : فتح أطرابلس سفيان بن مُجيب ، ثم نقض أهلها أيام عبد الملك ، ففتحها الوليد بن عبد الملك فى زمانه .

٣٤٨ — وحدثنى أبو حفص الشامى ،

عن سعيد عن الوَضين قال : كان يزيد بن أبي سفيان وجَّه معاوية إلى سواحل دمشق ، سوى أطرابلس فإنه لم يكن يطمع فيها . فكان يقيم على الحصن اليومين والأيام اليسيرة ، فربما قوتل قتالاً غير شديد ، وربما رمى ففتحها .

قال : وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحلٍ رتّبوا فيها قدر من يحتاج لها إليه من المسلمين ، فإن حدث فى شىء منها حَدَثٌ من قِبل العدو ، سرّبوا إليها الأمداد . فلما استُخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنتها و إقطاع من يُنزله إيّاها القطائع ففعل .

٣٤٩ — وحدثنى أبو حفص ،

عن سعيد بن عبد العزيز قال : أدركتُ الناسَ وهم يتحدثون أنّ معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل، فكتب إليه فى مرمّة حصونها ، وترتيب المقاتلة فيها ، و إقامة الحرس على مناظرها ، واتخاذ المواقيد لها . ولم يأذن له فى غزو البحر . وأن معاوية لم يزل بعثمان حتى أذن له فى الغزو بحراً وأمره أن يُعدّ فى السواحل إذا غزا أو أغزى جيوشاً سوى مَنْ فيها من الرتب ، وأن يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ، ويبنى المساجد ويكبّر ما كان ابتنى منها قبل خلافته . قال الوضين : ثم إنّ الناس بعدُ انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية .

٣٥٠ — حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه ،

عن جعفر بن كلاب الكلابى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولّى عَلْقَمَة ابن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب (ص ١٢٨) حوران ، وجعل ولايته

من قِبَل معاوية . فمات بها . وله يقول الحطيئة العبسى — وخرج اليه فكان موته قبل وصوله ، وبلغه أنه فى الطريق يريده ، فأوصى له بمثل سهم من سهام ولده : —

فما كان بينى، لو لقيتُك سالماً ، وبين الغنى الاّ ليالٍ قلائلُ

٣٥١ – وحدثنى عدة من أهل العلم منهم جارٌ لهشام بن عمار أنه كانت لأبى سفيان بن حرب أيام تجارته الى الشام فى الجاهلية ضيعة بالبلقاء تدعى بقُبُّش، فصارت لمعاوية وولده . ثم قُبضت فى أول الدولة وصارت لبعض ولد أمير المؤمنين المهدى رضى الله عنه . ثم صارت لقوم من الزّياتين يعرفون ببنى نعَيم من أهل الكوفة .

٣٥٢ — وحدثنى عباس بن هشام عن أبيه ،

عن جده قال : وَفَدَ تميم بن أوس أحد بنى الدار بن حبيب من لخم ، ويكنى أبا رُقَيّة ، على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أخوه نُعَيْم بن أوس ، فأقطعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حِبْرىٰ و بيت عَيْنُون ومسجد ابراهيم عليه السلام ، فكتب بذلك كتاباً . فلما افتتح الشام دفع ذلك إليهما . فكان سليمان بن عبد الملك إذا مرّ بهذه القطعة لم يعرّج وقال : أخاف أن تصيبنى دعوة النبى صلى الله عليه وسلم .

٣٥٣ — وحدثنى هشام بن عمار أنه سمع المشايخ يذكرون أنّ عمر بن الخطاب، عند مقدمه الجابية من أرض دمشق، مر بقوم مُجَذّمين من النصارى، فأمر أن يُعطوا من الصدقات ، وأن يجرى عليهم القوت .

وقال هشام : سمعت الوليد بن مسلم يذكر أن خالد بن الوليد شرط لأهل

الدير الذى يعرف بدير خالد شرطاً فى خراجهم بالتخفيف عنهم حين أعطوه سُلّماً صعد عليه . فأنفذه لهم أبو عبيدة .

ولما فرغ أبو عبيدة من أمر مدينة (ص ١٢٩) دمشق سار إلى حمص فمر ببَعْلَبَكّ ، فطلب أهلها الأمان والصلح ، فصالحهم على أن أمّنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب أمانٍ لفلان بن فلان وأهلِ بعلبك رومِها وفُرْسِها وعَرَبِها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم ، داخل المدينة وخارجها ، وعلى أرحائهم ، وللروم أن يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلاً ، ولا ينزلوا قرية عامرة . فإذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ساروا إلى حيث شاؤا . ومَنْ أسلم منهم فله مالنا وعليه ما علينا ، ولتجّارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التى صالحنا عليها ، وعلى مَنْ أقام منهم الجزية والخراج . شهد الله ، وكفى بالله شهيدا » .

أمر حِمْص

٣٥٤ — حدثنى عباس بن هشام عن أبيه ،

عن أبى مِخْنَف أنّ أبا عُبيدة بن الجرّاح لما فرغ من دمشق قَدَّم أمامه خالدَ بن الوليد ومِلْحانَ بن زَيَّار الطائىّ ثم اتّبعهما . فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلُها ، ثم لجأوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح ، فصالحوه على مئة ألف وسبعين ألف دينار .

قال الواقدى وغيره : بينا المسلمون على أبواب مدينة دمشق إذْ أقبلت خيل للعدوّ كثيفة ، فخرجتْ إليهم جماعة من المسلمين فلقوهم بين بيت لَهْيا والثَّنيّة ، فولّوا منهزمين نحو حمص ، على طريق قارا . واتبعوهم حتى وافوا حمص . فألفوهم قد عدلوا عنها . ورآهم الحمصيّون ، وكانوا منخوبين لهرب هِرَقْل عنهم وما كان يبلغهم من قوة كيد المسلمين و بأسهم وظفرهم ، فأعطوا بأيديهم (ص ١٣٠) وهتفوا بطلب الأمان . فأمّنهم المسلمون وكفّوا أيديهم عنهم . فأخرجوا إليهم العَلَفَ والطعام وأقاموا على الأُرُنْط ، — يريد الأرند، وهو النهر الذى يأتى أنطاكية ثم يصبّ فى البحر بساحلها — . وكان على المسلمين السِّمْط بن الأسود الكِنْدى، فلما فرغ أبو عبيدة من أمرِ دمشق استخلف عليها يزيد بن أبى سفيان ، ثم قدم حمص على طريق بَعْلَبَكّ ، فنزل بباب الرَّسْتَن . فصالحه أهلُ حمص على أن أمّنهمْ على أنفسهم وأموالهم وسورِ مدينتهم وكنائسهم وأرحائهم ، واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنّا للمسجد ، واشترط الخراج على من أقام منهم .

وذكر بعضُ الرواة أنّ السِّمْط بن الأسود الكندى كان صالح أهل حِمْص فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه ، وأنّ السِّمط قسم حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها ، وأسكنهم فى كل مرفوض جلا أهلُه أو ساحةٍ متروكة .

٣٥٥ — وحدثنى أبو حفص الدمشقى ،

عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما افتتح أبو عبيدة بن الجرّاح دمشق استخلف يزيد بن أبى سفيان على دمشق وعمروَ بن العاصى على فلسطين وشُرَحْبيل على الأردن . وأتى حمص فصالح أهلها على نحو صلح بعلبكّ . ثم خلّف بحمص عُبَادَة بن الصامت الأنصارى ومضى نحو حماة ، فتلقاه أهلها مذعنين ، فصالحهم على الجزية فى رؤسهم والخراج فى أرضهم . فمضى شَيْزَر فخرجوا يكفِّرون ومعهم المُقَلِّسون ، ورضوا بمثل ما رضى به أهل حماة . و بلغت خيله الزَرّاعة والقَسْطَل. ومرّ أبو عبيدة بمعرّة حمص ، وهى التى تُنسب إلى النعمان بن بشير ، فخرجوا يقلّسون بين يديه . ثم أتى فامِيَة ففعل أهلها مثل ذلك ، وأذعنوا بالجزية والخراج واستتم أمر حمص ، فكانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً .

وقد اختلفوا فى تسمية الأجناد (ص ١٣١) فقال بعضهم : سمى المسلمون فلسطين جنداً لأنه جمع كوراً ، وكذلك دمشق ، وكذلك الأردن ، وكذلك حمص مع قِنَّسرين . وقال بعضهم : سُمّيت كلُّ ناحية لها جند يقبضون أطماعهم بها جنداً. وذكروا أنّ الجزيرة كانت إلى قِنسرين فجنّدها عبد الملك بن مروان، أى أفردها ، فصار جندها يأخذون أطماعهم بها من خراجها . وأنّ محمد بن مروان كان سأل عبد الملك تجنيدها ففعل . ولم تزل قِنَّسرين وكورها مضمومة إلى حمص حتى كان يزيد بن معاوية فجعل قِنَّسرين وأنطاكية ومَنْبِج وذواتها جندا.

فلما استُخلف أمير المؤمنين الرشيد هارون بن المهدى أفرد قِنَّسْرِين بكورها فصيَّر ذلك جنداً واحداً، وأفرد مَنْبِج ، ودُلوك ، ورَعْبان ، وقُورُس، وأنطاكية وتِيزين ، وسمّاها العواصم . لأن المسلمين يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر . وجعل مدينة العواصم مَنْبِج ، فسكنها عبد الملك بن صالح بن علىّ فى سنة ثلاث وسبعين ومئة و بنى بها أبنية .

٣٥٦ — وحدثنى أبو حفص الدمشقى ، عن سعيد بن عبد العزيز وحدثنى موسى ابن إبراهيم التنوخى عن أبيه ،

عن مشايخ من أهل حمص قال : استخلف أبو عبيدة عُبادةَ بن الصامت الأنصارى على حمص . فأتى اللاذِقيّة فقاتله أهلها . فكان بها باب عظيم لا يفتحه إلاّ جماعة من الناس . فلما رأى صعوبة مرامها عسكر على بُعدٍ من المدينة . ثم أمر أن تحفر حفائر كالأسراب يستتر الرجل وفرسه فى الواحدة منها . فاجتهد المسلمون فى حفرها حتى فرغوا منها . ثم إنهم أظهروا القفول إلى حِمْص ، فلما جُنَّ عليهم الليل عادوا إلى معسكرهم وحفائرهم ، وأهل اللاذقية غارّون يرون أنّهم قد (ص ١٣٢) انصرفوا عنهم . فلما أصبحوا فتحوا بابهم وأخرجوا سرحهم . فلم يرعهم إلاّ تصبيح المسلمين إيّاهم ، ودخولهم من باب المدينة . ففُتحتْ عَنْوَةً ودخل عُبادة الحصن ، ثم علا حائطه فكبّر عليه . وهرب قوم من نصارى اللّاذِقيّة إلى اليُسَيِّد ، ثم طلبوا الأمان على أن يتراجعوا إلى أرضهم . فقوطعوا على خراج يؤدّونه قلّوا أو كثروا ، وتُرِكت لهم كنيستهم ، وبنى المسلمون باللاذقية مسجداً جامعاً بأمر عُبادة ، ثم إنه وُسِّع بعد .

وكانت الروم أغارت فى البحر على ساحل اللّاذِقيّة فهدموا مدينتها وسبوا أهلها ، وذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مئة ، فأمر عمر ببنائها وتحصينها . ووجّه إلى الطاغية فى فداء من أُسِرَ من المسلمين ، فلم يتمّ ذلك ، حتى توفى عمر فى سنة إحدى ومئه ، فأتمّ المدينة وشحنها يزيد بن عبد الملك .

٣٥٧ — وحدثنى رجل من أهل اللّاذِقيّة قال : لم يمت عمر بن عبد العزيز حتى حرّز مدينة اللّاذِقيّة وفرغ منها ، والذى أحدث يزيد بن عبد الملك فيها مرمةٌ وزيادةٌ فى الشحنة .

٣٥٨ — وحدثنى أبو حفص الدمشقى قال :

حدثنى سعيد بن عبد العزيز وسعيد بن سليمان الحمصى قالا : ورد عُبادة والمسلمون السواحل ، ففتحوا مدينة تُعرف ببلدة على فرسخين من جَبلَة عُنوةً . ثم إنها خربت وجلا عنها أهلها . فأنشأ معاوية بن أبى سفيان جَبَلَة . وكانت حصناً للروم جَلَوْا عنه عند فتح المسلمين حِمْص وشحنها .

٣٥٩ — وحدثنى سفيان بن محمد البَهرانى ،

عن أشياخه قالوا : بنى معاوية لجَبَلَة حصناً خارجاً من الحصن الرومى القديم . وكان سكان الحصن الرومى رهباناً وقوماً يتعبّدون فى دينهم .

٣٦٠ — وحدثنى سفيان بن محمد قال ،

حدثنى أبى وأشياخنا قالوا : فتح عُبادة والمسلمون معه أنْطَرْطُوس ، وكان حصناً ، ثم جلا عنه أهله . فبنى معاوية أنْطَرْطُوس ومصّرها ، وأقطع بها القطائع ، وكذلك فعل بِمَرَقِيّة و بُلُنْياس .

٣٦١ — وحدثنى (س ١٣٣) أبو حفص الدمشقى ،

عن أشياخه قالوا : افتتح أبو عبيدة اللاّذِقيّة وجَبَلَة وأنْطَرْطُوس على يدَىْ عُبادة بن الصامت . وكان يوكل بها حَفَظَةً إلى انغلاق البحر . فلما كانت شحنة معاوية السواحل وتحصينه إياها شحنها وحصّنها ، وأمضى أمرها على ما أمضى عليه أمر السواحل .

٣٦٢ — وحدثنى شيخ من أهل حمص قال : بقرب سَلَمْيَة مدينة تدعى المؤتفِكة انقلبت بأهلها فلم يسلم منهم إلا مئة نفسٍ ، فبنوا مئة منزل وسكنوها ، فسُمِّيت

حوزتهم التى بنوا فيها سلم مئة . ثم حرّف الناس اسمها فقالوا : سَلَمْيَة . ثم إن صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس اتّخذها و بنى وولده فيها ومصّروها ، ونزلها قوم من ولده .

وقال ابن سهم الأنطاكى : سَلَمْيَة اسم رومى قديم .

٣٦٣ — وحدثنى محمد بن مُصَفّى الحمصى قال : هدم مروان بن محمد سور حمص . وذلك أنهم كانوا خالفوا عليه ، فلما مرَّ بأهلها هارباً من أهل خراسان اقتطعوا بعض ثقله وماله وخزائن سلاحه .

وكانت مدينة حمص مفروشة بالصخر ، فلما كانت أيام أحمد بن محمد بن أبى اسحاق المعتصم بالله شغبوا على عاملهم الفضل بن قارن الطبرى ، أخى مازيار ابن قارن ، فأمر بقلع ذلك الفرش فقُلع . ثم إنهم أظهروا المعصية وأعادوا ذلك الفرش وحاربوا الفضل بن قارن حتى قدروا عليه وأنهبوا ماله ونساءه ، وأخذوه فقتلوه وصلبوه ، فوجّـه أحمدُ بن محمد إليهم موسى بن بغا الكبير مولى بأمير المؤمنين المعتصم بالله ، فحاربوه وفيهم خلق من نصارى المدينة ويهودها . فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وهزم باقيهم حتى ألحقهم بالمدينة ، ودخلها عُنْوةً ، وذلك فى سنة خمسين ومائتين .

وبحِمْص هُرْىُ يَرِدَه قمح وزيت من السواحل وغيرها ، مما قوطع أهله عليه وأسجلت لهم السجلاّت بمقاطعتهم (ص ١٣٤) .

يوم اليرموك

٣٦٤ — قالوا : جمع هِرَقْلُ جموعاً كثيرة من الروم وأهل الشام وأهل الجزيرة وأرمينية تكون زهاء مائتى ألف ، وولّى عليهم رجلاً من خاصته ، وبعث على مقدمته جَبَلَة بن الأيهم الغسَّانى فى مستعربة الشام من لَخْم وجُذام وغيرهم ، وعزم على محاربة المسلمين ، فإن ظهروا وإلاّ دخل بلاد الروم فأقام بالقسطنطينية . واجتمع المسلمين فزحَفوا إليهم ، فاقتتلوا على اليرموك أشدّ قتال وأبرحه . واليرموك نهر . وكان المسلمون يومئذ أربعة وعشرين ألفاً . وتسلسلت الروم واتباعها يومئذ لئلا يطمعوا أنفسهم فى الهرب ، فقتل الله منهم زهاء سبعين ألفاً ، وهرب فلّهم فلحقوا بفلسطين وأنطاكية وحلب والجزيرة وأرمينية . وقاتل يوم اليرموك نساء من نساء المسلمين قتالاً شديداً ، وجعلت هِنْدُ بنت عُتْبَة أم معاوية بن أبى سفيان تقول : عَضِّدوا الغُلْفَان بسيوفكم . وكان زوجها أبو سفيان خرج إلى الشام تطوُّعاً وأحبّ مع ذلك أن يرى ولده وحملها معه ، ثم إنه قدم المدينة فمات بها سنة إحدى وثلاثين ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، ويقال إنه مات بالشام . فلما أتى أم حبيبة بنته نعيه دعت فى اليوم الثالث بصفرة فمسحت بها ذراعيها وعارِضتها وقالت : لقد كنت عن هذا غنيّة لولا أنى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لا تحدّ امرأة على ميت سوى زوجها أكثر من ثلاث . ويقال : إنها فعلت هذا الفعل حين أتاها نعى أخيها يزيد . والله أعلم .

وكان أبو سفيان بن حرب أحد العوران ، ذهبت عينُه يوم الطائف .

٣٦٥ — قالوا : وذهبت يوم اليرموك عين الأشعث بن قَيْس ، وعين هاشم ابن عُتْبة بن أبى وقّاص الزُهرى ، وهو (ص١٣٥) المِرْقال ، وعين قَيْس بن مكشوح .

واستُشهد عامر بن أبى وقاص الزُهرى، وهو الذى كان قدِم الشام بكتاب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بولايته الشام . ويقال بل مات فى الطاعون . وقال بعض الرواة : استُشهد يوم أجنادين . وليس ذلك بثبت .

قال : وعقد أبو عبيدة لحبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى على خيل الطلب ، فجعل يقتل من أدرك . وانحاز جَبَلَة بن الأيهم إلى الأنصار فقال : أنتم اخوتنا و بنو أبينا . وأظهر الاسلام . فلما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام سنة سبع عشرة لاحى جَبَلَةُ رجلاً من مُزَيْنَـة فلطم عينه ، فأمره عمر بالاقتصاص منه فقال : أوَعينُه مثلُ عينى ؟ والله لا أقيم ببلد علىّ به سلطان . فدخل بلاد الروم مرتداً . وكان جَبَلَة ملك غسان بعد الحارث بن أبى شِمر .

ورُوى أيضاً أن جَبَلَة أتى عمر بن الخطاب وهو على نصرانيّته . فعرض عمر عليه الإسلام وأداء الصدقه فأبى ذلك وقال : أقيم على دينى وأؤدّى الصدقة . فقال عمر : إن أقمتَ على دينك فأدِّ الجزية . فأنف منها . فقال عمر : ما عندنا لك إلاّ واحدة من ثلاث : إما الإسلام ، و إما أداء الجزية ، و إما الذهاب إلى حيث شئتَ . فدخل بلاد الروم فى ثلاثين ألفاً . فلما بلغ ذلك عمر ندم . وعاتبه عُبادة بن الصامت فقال : لو قبلتَ منه الصدقة ثم تألّفتَه لأسلم . وإن عمر رضى الله عنه وجّه فى سنة إحدى وعشرين عُمير بن سعد الأنصارى إلى بلاد الروم فى جيش عظيم وولاّه الصائفة . وهى أول صائفة كانت ، وأمره أن يتلطفَ لجَبَلَة بن الأيهم و يستعطفَه بالقرابة بينهما و يدعوه إلى الرجوع إلى بلاد الإسلام، على أن يؤدى ما كان بذل من الصدقة ويقيم على دينه . فسار عُمَيْر حتى دخل بلاد الروم ، وعرض على جَبَلَة ما أمره عمر بعرضه عليه ، فأبى إلاّ المقام فى بلاد الروم . وانتهى عُمير إلى موضع يعرف بالحمار ، وهو (ص ١٣٦) وادٍ ، فأوقع بأهله وأخربه . فقيل : أخربُ من جوفِ حمار .

٣٦٦ — قالوا : ولما بلغ هِرَقل خبر أهل اليرموك و إيقاع المسلمين بجنده هرب من أنطاكية إلى قسطنطينية . فلما جاوز الدرب قال : عليكِ ياسورية السلام ! ونعم البلد هذا للعدو . يعنى أرض الشام لكثرة مراعيها .

وكانت وقعة اليرموك فى رجب سنة خمس عشرة .

قال هشام بن الكلبى : شهد اليرموك حُبَاش بن قَيْس القُشَيْرى، فقتل من العلوج خلقاً ، وقُطِعَتْ رجلُه وهو لا يشعر . ثم جعل ينشدها . فقال سوّار ابن أوفى :

ومِنّا ابنُ عتّابٍ وناشدُ رِجْلِهِ ومنّا الذى أدّى إلى الحىّ حاجباً

يعنى ذا الرُّقَيْبَة .

٣٦٧ — وحدثنى أبو حفص الدمشقى قال :

حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال : بلغنى أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع ، و بلغ المسلمين إقبالهُم اليهم لوقعة اليرموك ، ردّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا : شُغلنا عن نُصْرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : لَوِلايتُكم وعدلُكم أحبُّ إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعنّ جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا : والتوارةِ لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نُغْلَب ونُجْهَد . فأغلقوا الأبواب وحرسوها . وكذلك فعل أهل المدن التى صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا: إنْ ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه ، و إلاّ فإنّا على أمرنا مابقى للمسلمين عدد . فلما هزم الله الكفرة وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلّسين فلعبوا وأدّوا الخراج .

وسار أبو عبيدة إلى جند قِنّسْرين وأنطاكية ففتحها .

٣٦٨ — وحدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه ، عن جده قال : أبلى السِّمْط بن الأسود الكندى بالشام و بحمص خاصة وفى (ص ١٣٧) يوم اليرموك . وهو الذى قسم منازل حمص بين أهلها . وكان ابنه شُرَحْبيل بن السِّمْط بالكوفة مقاوماً للأشعث بن قيس الكندى فى الرياسة . فوفد السِّمْط إلى عمر فقال له : يا أمير المؤمنين ! إنك لا تفرّق بين السبى ، وقد فرقت بينى و بين ولدى ، فحوِّلْه إلى الشام أو حوِّلْنى إلى الكوفة . فقال : بل أحوله إلى الشام . فنزل حمص مع أبيه .

أمر فلسطين

٣٦٩ — حدثنى أبو حفص الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه وعن بقية ابن الوليد ،

عن مشايخ من أهل العلم قالوا : كانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه أرض فلسطين ، وعلى الناس عمرو ابن العاصى . ثم إنّ عمرو بن العاصى فتح غزّة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، ثم فتح بعد ذلك سَبَسْطِيَة ونابُلُس على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم ، وعلى أنّ الجزيةَ على رقابهم والخراجَ على أرضهم ، ثم فتح مدينة لُدّ وأرضها ، ثم فتح يُبْنىٰ وعَمَواس و بيت جِبْرين ، واتخذ بها ضيعةً تدعى عَجْلان باسم مولى له ، وفتح يافا ، ويُقال فتَحَها معاوية . وفتح عمرو رَفَح على مثل ذلك .

وقدم عليه أبو عبيدة بعد أن فتح قِنِّسْرين ونواحيها ، وذلك فى سنة ست عشرة وهو محاصر إيلياء ، و إيلياء مدينة بيت المقدس . فيقال إنه وجّهه إلى أنطاكية من إيلياء وقد غدر أهلها ، ففتحها ثم عاد ، فأقام يومين أو ثلاثة . ثم طلب أهل إيلياء من أبى عبيدة الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من (ص ١٣٨) أداء الجزية والخراج والدخول فى ما دخل فيه نظراؤهم ، على أن يكون المتولى للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه . فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك . فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق ، ثم صار إلى إيلياء ، فأنفذ صلح أهلها وكتب لهم به . وكان فتح إيلياء فى سنة سبع عشرة .

وقد رُوى فى فتح إيلياء وجه آخر .

٣٧٠ — حدثنى القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد ،

عن يزيد بن أبى حبيب أنّ عمر بن الخطاب بعث خالد بن ثابت الفَهْمى إلى بيت المقدس فى جيش ، وهو يومئذ بالجابية ، فقاتلهم فأعطوه على ما أحاط به حصنهم شيئاً يؤدّونه ويكون للمسلمين ما كان خارجاً . فقدم عمر فأجاز ذلك ثم رجع إلى المدينة .

٣٧١ — وحدثنى هشام بن عمار عن الوليد ،

عن الأوزاعى أن أبا عبيدة فتح قِنَّسْرين وكورها سنة ست عشرة . ثم أتى فلَسْطين فنزل إيلياء فسألوه أن يصالحهم . فصالحهم فى سنة سبع عشرة ، على أن يقدم عمر رحمه الله فينفذ ذلك ويكتب لهم به .

٣٧٢ — حدثنى هشام بن عمار قال : حدثنى الوليد بن مسلم عن تميم بن عطية ،

عن عبد الله بن قيس قال : كنت فيمن تَلَقّى عمر مع أبى عبيدة مقدمَه الشام ، فبينما عمر يسير إذ لقيه المقلِّسون من أهل أذرِعات بالسيوف والريحان . فقال عمر : مه ؟ امنعوهم . فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين هذه سُنّتهم ، أو كلمة نحوها ، وإنك إنْ منعتهم منها يروا أنّ فى نفسك نقضاً لعهدهم . فقال : دعوهم .

قال : فكان طاعون عَمَوَاس سنة ثمان عشرة ، فتوفى فيه خلق من المسلمين منهم أبو عبيدة بن الجراح . مات وله ثمان وخمسون سنة ، وهو أمير . ومُعاذ ابن جَبَل أحدُ بنى سَلَمَة من الخزرج ، ويُكنى أبا عبد الرحمن . توفى بناحية الأُقحوانة من الأُردُنّ وله ثمان وثلاثون سنة . وكان أبو عبيدة لما احتضر استخلفه ، ويقال استخلف عياض بن غَنْم الفهرى ، ويقال بل استخلف عمرو بن العاصى . فاستخلف (ص ١٣٩) عمرو ابنه ومضى إلى مصر . والفضلُ بن العباس

ابن عبد المطلب ، و يكنى أبا محمد ، وقوم يقولون إنه استُشهد بأجنادين ، والثبت أنه توفى فى طاعون عَمَواس . وشُرَحْبِيلُ بن حَسَنَة ، ويُكنى أبا عبد الله ، مات وهو ابن تسع وستين سنة . وسُهَيل بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤىّ ، ويكنى أبا يزيد . والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى ، وقيل إنه استُشهد يوم أجنادين .

٣٧٣ — قالوا : ولما أتت عمر بن الخطاب وفاة أبى عبيدة كتب إلى يزيد ابن أبى سفيان بولاية الشام مكانه، وأمره أن يغزو قَيسارية . وقال قوم : إن عمر إنما ولّى يزيد الأردنّ وفِلَسْطين ، وأنه ولّى دمشق أبا الدَرْداء ، وولّى حمص عُبادة بن الصامت .

٣٧٤ — وحدثنى محمد بن سعد قال :

حدثنى الواقدى قال : اختلف علينا فى أمر قَيسارية فقال قائلون : فتحها معاوية ، وقال آخرون : بل فتحها عياض بن غَنْم بعد وفاة أبى عبيدة وهو خليفته ، وقال قائلون : بل فتحها عمرو بن العاصى ، وقال قائلون : خرج عمرو بن العاصى إلى مصر وخلف ابنه عبد الله . فكان الثبت من ذلك والذى اجتمع عليه العلماء أنّ أول الناس الذى حاصرها عمرو بن العاصى ، نزل عليها فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة . فكان يقيم عليها ما أقام ، فإذا كان للمسلمين اجتماع فى أمر عدوّهم سار إليهم . فشهد أجنادين وفِحْل والمرج ودمشق واليَرْموك ، ثم رجع إلى فلسطين فحاصرها بعد إيلياء ، ثم خرج إلى مصر من قيسارية . وَوُلّى يزيد بن أبى سفيان بعد أبى عبيدة ، فوكل أخاه معاوية بمحاصرتها ، وتوجّه إلى دمشق مطعوناً فمات بها .

وقال غير الواقدى : وَلّى عمر يزيدَ بن أبى سفيان فِلَسْطين مع ما ولاّه من أجناد الشام ، وكتب إليه يأمره بغزو قيسارية ، وقد كانت حوصرت قبل

ذلك ، فنهض إليها فى سبعة عشر ألفاً ، فقاتله (ص ١٤٠) أهلها ثم حصرهم . ومرض فى آخر سنة ثمان عشرة ، فمضى إلى دمشق واستخلف على قيسارية أخاه معاوية بن أبى سفيان ففتحها ، وكتب إليه بفتحها ، فكتب به يزيد إلى عمر .

ولما توفى يزيد بن أبى سفيان كتب عمر إلى معاوية بتوليته ما كان يتولاّه ، فشكر أبو سفيان ذلك له وقال : وصلتك يا أمير المؤمنين رحم .

٣٧٥ — وحدثنى هشام بن عمار قال : حدثنى الوليد بن مسلم ،

عن تميم بن عطيّة قال : ولّى عمرُ معاويةَ بن أبى سفيان الشام بعد يزيد ، وولّى معه رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والقضاء . فولّى أبا الدرداء قضاء دمشق والأردنّ وصلاتَهما ، وولّى عُبادة قضاء حِمص وقِنّسْرين وصلاتَهما .

٣٧٦ — وحدثنى محمد بن سعد ،

عن الواقدى فى إسناده قال : لما ولّى عمر بن الخطاب معاويةَ الشام حاصر قَيْسارية حتى فتحها ، وقد كانت حوصرت نحواً من سبع سنين ، وكان فتحها فى شوال سنة تسع عشرة .

٣٧٧ — وحدثنى محمد بن سعد عن محمد بن عمر ،

عن عبد الله بن عامر فى إسناده قال : حاصر معاوية قَيْسارية حتى يئس من فتحها ، وكان عمرو بن العاصى وابنه حاصراها ، ففتحها معاوية قسراً ، فوجد بها من المرتزقة سبع مئة ألف ، ومن السامرة ثلاثين ألفاً ، ومن اليهود مائتى ألف ، ووجد بها ثلاث مئة سوق قائمة كلها ، وكان يحرسها فى كل ليلة على سورها مئة ألف .

وكان سبب فتحها أن يهودياً يقال له يوسف أتى المسلمين ليلاً فدلّهم على طريقٍ فى سِرْب فيه الماء إلى حِقو الرجل على أن أمّنوه وأهله ، وأنفذ معاوية ذلك . ودخلها المسلمون فى الليـل وكبّروا فيها ، فأراد الروم أن يهربوا من السِرْب فوجدوا المسلمين عليه . وفتح المسلمون الباب فدخل معاوية ومَنْ معه . وكان بها خلق من العرب ، وكانت فيهم شقراء التى يقول فيها حسان بن ثابت :

تقول شقراء لو صَحَوْتَ عن الـخمرِ لأصبحتَ مُثْرِيَ العَدَدِ (ص ١٤١)

ويقال إنّ اسمها شعثاء .

٣٧٨ — وحدثنى محمد بن سعد ،

عن الواقدى فى إسناده أنّ سبي قَيسارية بلغوا أربعة آلاف رأس . فلما بعث به معاوية إلى عمر بن الخطاب أمر بهم فأنزلوا الجُرْف . ثم قسمهم على يتامى الأنصار وجعل بعضهم فى الكتاب والأعمال للمسلمين . وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أخدم بنات أبى أمامة أسعد بن زُرارَة خادمين من سبي عين التمر فماتا ، فأعطاهنّ عمر مكانهما من سبي قَيسارية .

٣٧٩ — قالوا : ووجّه معاوية بالفتح مع رجلين من جُذام، ثم خاف ضعفهما عن المسير فوجّه رجلاً من خَثْعَم ، فـكان الخثعمى يجهد نفسه فى السير والسُّرى وهو يقول :

أرّقَ عَيْنَيَّ أخو جُذامِ أَخَيُّ جُشْمٍ وأخو حَرَام
كيف أنامُ وهما أمامى إذ يرحلانِ والهجيرُ طامِ

فسبقهما ودخل على عمر فـكبّر عمر .

٣٨٠ — وحدثنى هشام بن عمّار فى إسناد لهلم أحفظه أنّ قَيسارية فُتحت قسراً فى سنة تسع عشرة . فلما بلغ عمر فتحها نادى إن قَيسارية فتحت قسراً . وكبّر وكبّر المسلمون . وكانت حوصرت سبع سنين وفتحها معاوية .

٣٨١ — قالوا : وكان موت يزيد بن أبى سفيان فى آخر سنة ثمان عشرة بدمشق . فمن قال إن معاوية فَتَح قيسارية فى حياة أخيـه قال إنما فُتحت فى آخر سنة ثمان عشرة ، ومن قال إنه فتحها فى ولايته الشام قال فُتحت فى سنة تسع عشرة ،وذلك الثبت . وقال بعض الرواة : إنها فُتحت فى أول سنة عشرين .

٣٨٢ — قالوا : وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى معاوية يأمره بتتبُّع ما بقى من فلسطين . ففتح عَسْقَلان صلحاً بعد كيد . ويقال : إن عمرو بن العاصى كان فتحها ثم نقض أهلها وأمدّهم الروم ، ففتحها معاوية وأسكنها الروابط (ص ١٤٢) ووكل بها الحَفَظَة .

٣٨٣ — وحدثنى بكر بن الهيثم قال : سمعت محمد بن يوسف الفاريابى يحدّث ،

عن مشايخ من أهل عَسْقلان أنّ الروم أخربت عَسْقلان وأجلَتْ أهلها عنها فى أيام ابن الزبير . فلما وُلّى عبد الملك بن مروان بنـاها وحصّنها ورَمّ أيضاً قَيْسارية .

٣٨٤ — وحدثنى محمد بن مصفّى قال : حدثنى أبو سليمان الرملى ،

عن أبيه أنّ الروم خرجت فى أيام ابن الزبير إلى قيسارية فشعّثتها وهدمت مسجدها . فلما استقام لعبد الملك بن مروان الأمرُ رمّ قَيسارية وأعاد

مسجدها وأشحنها بالرجال ، وبنى صور عَكا الخارجة ، وكانت سبيلهما مثلَ سبيل قَيسارية .

٣٨٥ — وحدثنى جماعة من أهل العلم بأمر الشام قالوا : ولّى الوليدُ بن عبد الملك سليمانَ بن عبد الملك جندَ فلَسطين . فنزل لُدّ . ثم أحدث مدينة الرملة ومصّرها . وكان أول ما بنى منها قصره والدار التى تعرف بدار الصبّاغين . وجعل فى الدار صهريجاً متوسطاً لها . ثم اختطّ للمسجد خطةً وبناه ، فوُلّى الخلافة قبل استتمامه . ثم بنى فيه بعدُ فى خلافته . ثم أتمه عمرُ بن عبد العزيز ونقص من الخطة ، وقال : أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذى اقتصرت بهم عليه .

ولما بنى سليمان لنفسه أذِن للناس فى البناء فبنوا . واحتفر لأهل الرملة قناتهم التى تُدعى بَرَدَة ، واحتفر آباراً ، وولى النفقة على بنائها بالرملة ومسجد الجماعة كاتباً له نصرانياً من أهل لُدّ يقال له البطريق بن النكا ، ولم تكن مدينة الرملة قبل سليمان ، وكان موضعها رملة .

٣٨٦ — قالوا : وقد صارت دار الصبّاغين لورثة صالح بن على بن عبد الله ابن العباس لأنها قُبضت مع أموال بنى أمية .

٣٨٧ — قالوا : وكان بنو أمية ينفقون على آبار الرملة وقناتها بعد سليمان ابن عبد الملك . فلما استُخلف بنو العباس أنفقوا عليها . وكان الأمر فى تلك (ص ١٤٣) النفقة يخرج فى كل سنة من خليفة بعد خليفة ، فلما استُخلف أمير المؤمنين أبو اسحاق المعتصم بالله أسجل بتلك النفقةِ سجلاً فانقطع الاستئمار ، وصارت جارية يحتسب بها العمال فتُحتسبُ لهم .

٣٨٨ — قالوا : و بفلسطين فروزٌ بسجلات من الخلفاء مفردةٌ من خراج العامة ، و بها التخفيف والردود . وذاك أنَّ ضِياعاً رُفضت فى خلافة الرشيد وتركها أهلها ، فوجَّه أمير المؤمنين الرشيد هَرْثَمَةَ بن أعْيَن لعمارتها. فدعا قوماً من مزارعيها وأكَرَتِها إلى الرجوع إليها على أن يُخفِّف عنهم من خَراجهم ولين معاملتهم ، فرجعوا ، فأولئك أصحاب التخافيف . وجاء قوم منهم بعدُ فرُدَّت عليهم أرضوهم على مثل ما كانوا عليه ، فهم أصحاب الردود .

٣٨٩ — وحدثنى بكر بن الهيثم قال : لقيت رجلاً من العرب بعَسْقَلان . فأخبرنى أنَّ جده ممن أسكنه إياها عبد الملك وأقطعه بها قطيعةً مع مَنْ أقطع من المرابطة . قال : وأرانى أرضاً . فقال : هذه من قطائع عثمان بن عفان .

قال بكر : وسمعت محمد بن يوسف الفاريابى يقول : بعَسْقَلان ها هنا قطائع أُقطِعت بأمر عمر وعثمان لو دخل فيها رجل لم أجد بذلك بأسا .

أمر جند قِنَّسْرين والمدن التى تُدعى العواصم

٣٩٠ — قالوا : سار أبو عبيدة بن الجرّاح بعد فراغه من أرض اليرموك إلى حمص فاستقراها . ثم أتى قِنَّسْرِين ، وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فقاتله أهل مدينة قِنّسرين ، ثم لجأوا إلى حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح حمص . وغلب المسلمون على أرضها وقرارها . وكان حاضر قِنّسرين لتنوخ مذ أول ما تَنَخّوا بالشام نزلوه ، وهم فى خِيَم الشعر ، ثم (ص ١٤٤) ابتنوا به المنازل ، فدعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام فأسلم بعضهم ، وأقام على النصرانية بنوسَليح ابن حُلْوان بن عِمْران بن الحافِ بن قُضاعة .

٣٩١ — فحدثنى بعض ولد يزيد بن حُنين الطائى الأنطاكى ،

عن أشياخهم أن جماعة من أهل ذلك الحاضر أسلموا فى خلافة أمير المؤمنين المهدى ، فكتب على أيديهم بالخضرة قِنّسرين . ثم سار أبو عبيدة يريد حلب ، فبلغه أن أهل قِنّسرين قد نقضوا وغدروا . فوجّه إليهم السِّمط ابن الأسود الكندى فحصرهم ثم فتحها .

٣٩٢ — حدثنى هشام بن عمار الدمشقى قال : حدثنا يحيى بن حمزة عن أبى عبد العزيز عن عُبادة بن نُسَىّ ،

عن عبد الرحمن بن غَنْم قال : رابطنا مدينة قِنّسرين مع السِّمْط — أو قال شُرَحْبيل بن السِّمْط — . فلما فتحها أصاب فيها بقراً وغنماً . فقسم فينا طائفة منها وجعل بقيتها فى المغنم . وكان حاضر طيّىء قديماً نزلوه بعد حرب الفساد التى كانت بينهم حين نزل الجبلين من نزل منهم وتفرق باقوهم فى البلاد . فلما ورد أبو عبيدة عليهم أسلم بعضهم، وصالح كثير منهم على الجزية . ثم أسلموا بعد ذلك بيسير إلاّ من شذّ عن جماعتهم . وكان بقرب مدينة حلب حاضر يُدعى

حاضر حلب يجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم . فصالحهم أبو عبيدة على الجزية . ثم إنهم أسلموا بعد ذلك فكانوا مقيمين وأعقابهم به إلى بُعيد وفاة أمير المؤمنين الرشيد . ثم إن أهل ذلك الحاضر حاربوا أهل مدينة حلب وأرادوا إخراجهم عنها ، فكتب الهاشميّون من أهلها إلى جميع مَنْ حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم. فكان أسبقهم إلى إنجادهم و إغاثتهم العباس بن زُفَر ابن عاصم الهلالى بالخؤولة ، لأن أمّ عبد الله بن (ص ١٤٥) العباس لُبَابةُ بنتُ الحارث بن حزْن بن بُجَيْر بن الهُزَم الهلالية . فلم يكن لأهل ذلك الحاضر به و بمن معه طاقة، فأجلوهم عن حاضرهم وأخربوه . وذلك فى أيام فتنة محمد بن الرشيد. فانتقلوا إلى قِنَّسرين فتلقّاهم أهلُها بالأطعمة والكُسى . فلما دخلوها أرادوا التغلب عليها فأخرجوهم عنها فتفرقوا فى البلاد ، فمنهم قوم بتَكْرِيت قد رأيتُهم ، ومنهم قوم بأرمينية وفى بلدان كثيرة متباينة .

٣٩٣ — وأخبرنى أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله قال : سمعتُ شيخاً من مشايخ بنى صالح بن على بن عبد الله بن عباس يحدث أمير المؤمنين المعتصم بالله رحمه الله سنة غزا عَمُّورِية قال : لما ورد العباس بن زُفَر الهلالى حلب لإغاثة الهاشميين ناداه نسوة منهم : يا خال ! نحن بالله ثم بك . فقال : لاخوفَ عليكم إن شاء الله ، خذلنى الله إن خذلتكم .

قال : وكان حِيار بنى القَعْقاع بلداً معروفاً قبل الإسلام ، و به كان مقيل المنذر بن ماء السماء اللخمى ملك الحيرة . فنزله بنو القَعْقَاع بن خُلَيْد بن جَزْء بن زُهير بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن ربيعة بن الحارث بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغيض، أوطنوه فنُسب إليهم .

وكان عبد الملك بن مروان أقطع القَعْقَاع به قطيعة ، وأقطع عمه العباس ابن جَزْء بن الحارث قطائع أوغرها له إلى اليمن فأوغرت بعده . وكانت

أو أكثرها مواتاً . وكانت ولاّدة بنت العباس بن جَزْء عند عبد الملك ، فولدت له الوليد وسليمان .

٣٩٤ — قالوا : ورحل أبو عبيدة إلى حلب وعلى مقدمته عِياض بن غَنْم الفِهرى . وكان أبوه يسمّى عبد غَنْم ، فلما أسلم عياض كره أن يُقال عبد غنم فقال : أنا عياض بن غَنْم . فوجد أهلها قد تحصّنوا فنزل عليها . فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان (ص١٤٦) على أنفسهم وأموالهم وسورِ مدينتهم وكنائسهم ومنازلهم والحصنِ الذى بها . فأُعطوا ذلك ، فاستثنى عليهم موضع المسجد . وكان الذى صالحهم عليه عياض ، فأنفذ أبو عبيدة صلحه .

وزعم بعض الرواة أنهم صالحوا على حقن دمائهم وأن يُقاسموا أنصاف منازلهم وكنائسهم . وقال بعضهم : إنّ أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحداً ، وذلك أنّ أهلها انتقلوا إلى أنطاكية ، وأنهم إنما صالحوه عن مدينتهم وهم بأنطاكية ، وراسلوه فى ذلك فلما تمّ صلحهم رجعوا إلى حلب .

٣٩٥ — قالوا : وسار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية وقد تحصّن بها خلق من أهل جند قِنّسرين . فلما صار بمهروبة ، وهى على قريب فرسخين من مدينة أنطاكية ، لقيه جمع للعدو . ففضّهم وألجأهم إلى المدينة ، وحاصر أهلها من جميع أبوابها . وكان معظم الجيش على باب فارس والباب الذى يدعى باب البحر . ثم إنهم صالحوه على الجزية والجلاء . فجلا بعضهم وأقام بعضهم . فأمّنهم ووضع على كل حالمٍ منهم ديناراً وجريباً . ثم نقضوا العهد فوجّه إليهم أبو عبيدة عياض ابن غَنْم وحبيب بن مَسْلَمَة ففتحاها على الصلح الأول . ويقال : بل نقضوا بعد رجوعه إلى فلسطين ، فوجّه عمرو بن العاصى من إيلياء ففتحها ، ثم رجع فمكث يسيراً حتى طلب أهل إيلياء الأمان والصلح . والله أعلم .

٣٩٦ — وحدثنى محمد بن سهم الأنطاكى عن أبى صالح الفراء قال ،

قال مَخْلَد بن الحسين : سمعت مشايخ الثغر يقولون : كانت أنطاكية عظيمة الذكر والأمر عند عمر وعثمان . فلما فُتحت كتب عمر إلى أبى عبيدة أن رَتِّب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة ، وأجعلهم بها مرابطة ، ولا تحبس عنهم العطاء . ثم لما وُلِّى معاوية (ص١٤٧) كتب إليه بمثل ذلك . ثم إن عثمان كتب إليه يأمره أن يلزمها قوماً وأن يقطع قطائع ففعل .

قال ابن سهم : وكنت واقفاً على جسر أنطاكية على الأُرُنْط فسمعت شيخاً مسنّاً من أهل أنطاكية وأنا يومئذ غلام يقول : هذه الأرض قطيعة من عثمان لقوم كانوا فى بعث أبى عبيدة ، أقطعهم إياها أيام ولاية عثمان معاوية الشام .

٣٩٧ — قالوا : ونقل معاوية بن أبى سفيان إلى أنطاكية فى سنة اثنتين وأربعين جماعة من الفرس وأهل بَعْلَبَكّ وحمص ومن المِصْرَيْن. فكان منهم مُسلِم بن عبد الله جدُّ عبد الله بن حبيب بن النعمان بن مُسْلم الأنطاكى . وكان مُسْلِم قُتل على بابٍ من أبواب أنطاكية يُعرف اليوم بباب مُسْلم . وذلك أن الروم خرجت من الساحل فأناخت على أنطاكية، فكان مسلم على السور ، فرماه عِلج بحجر فقتله .

٣٩٨ — وحدثنى جماعة من مشايخ أهل أنطاكية منهم ابن بُرْد الفقيه أنّ الوليد بن عبد الملك أقطع جنداً بأنطاكية أرض سلوقية عند الساحل ، وصيّر الفلثر ،وهو الجريب ،بدينار ومدى قمح فعمَروها ، وجرى ذلك لهم ، و بنى حصن سُلُوقِيّة .

٣٩٩ — قالوا : وكانت أرض بَغْراس لِمَسْلَمَةَ بن عبد الملك فوقفها في سبيل البِرِّ. وكانت عين السَّلَوْرِ و بحيرتها له أيضاً . وكانت الأسكندرية له ، ثم صارت لرجاء مولى المهدى إقطاعاً فورثه منصور و إبراهيم ابنا المهدى . ثم صارت لإبراهيم بن سعيد الجوهرى ، ثم لأحمد بن أبى دؤاد الإيادى ابتياعاً . ثم انتقل ملكها إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمه الله .

٤٠٠ — حدثنى ابن بُرد الأنطاكى ،

وغيره قالوا : أقطع مَسْلَمَة بن عبد الملك قوماً من ربيعة قطائع ، فقُبضت وصارت بعد للمأمون ، وجرى أمرها على يد صالح الخازن صاحب الدار بأنطاكية . (ص ١٤٨)

٤٠١ — قالوا : و بلغ أبا عبيدة أنّ جمعاً للروم بين معرّة مِصْرِين وحلب ، فلقيهم وقتل عدة بطارقة ، وفضّ ذلك الجيش وسبى وغنم . وفتح معرّة مِصرين على مثل صلح حلب . وجالت خيوله فبلغت بوقا ، و فُتحت قرى الجُومَة وسَرْمِين ومَرْتحوان وتِيزِين . وصالحوا أهل دير طيايا (كذا) ودير الفسيلة على أن يضيفوا من مرّ بهم من المسلمين ، وأتاه نصارى خُناصرة فصالحهم . وفتح أبو عبيدة جميع أرض قِنَّسرين وأنطاكية .

٤٠٢ — حدثنى العباس بن هشام ،

عن أبيه قال : خُناصرة نسبت إلى خُناصر بن عمرو بن الحارث الكلبى ثم الكنانى ، وكان صاحبها . وَبُطْنان حبيب نُسب إلى حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى ، وذلك أنّ أبا عبيدة أو عياض بن غَنْم وجّهه من حلب ففتح حصناً بها فنُسب إليه .

٤٠٣ — قالوا : وسار أبو عبيدة يريد قُورُس ، وقدّم أمامه عياضاً . فتلقاه راهب من رهبانها يسأل الصلح عن أهلها . فبعث به إلى أبى عبيدة وهو بين

جِبرين وتل أعزاز فصالحه ، ثم أتى قُورُس فعقد لأهلها عهداً وأعطاهم مثل الذى أعطى أهل أنطاكية ، وكتب للراهب كتاباً فى قرية له تدعى شرقينا ، وبثّ خيله فغلب على جميع أرض قورُس إلى آخر حد نِقاَ بُلس .

٤٠٤ — قالوا : وكانت قورُس كالمسلحة لأنطاكية يأتيها فى كل عام طالعة من جند أنطاكية ومقاتلتها ، ثم حُوِّل إليها ربع من أرباع أنطاكية وقُطعت الطوالع عنها . ويقال إن سلْمان بن ربيعة الباهلى كان فى جيش أبى عُبيدة مع أبى أمامة الصُدَىّ بن عجلان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنزل حصناً بقورُس فنسب إليه ، وهو يعرف بحصن سلمان . ثم قفل من الشام فيمن أمدّ به (ص١٤٩) سعد بن أبى وقاص وهو بالعراق . وقيل إن سلمان بن ربيعة كان غزا الروم بعد فتح العراق وقبل شخوصه إلى أرمينية فعسكر عند هـذا الحصن وقد خرج من ناحية مَرْعَش فنُسب إليه . وسلمان وزياد من الصقالبة الذين رتّبهم مروان بن محمد فى الثغور . وسمعت من يذكر أنّ سلمان هذا رجل من الصقالبة نُسب إليه الحصن والله أعلم .

٤٠٥ — قالوا : وأتى أبو عبيدة حلب السّاجور وقدّم عياضاً إلى مَنْبِج ، ثم لحقه وقد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية ، فأنفذ أبو عبيدة ذلك . وبعث عياض بن غَنْم إلى ناحية دُلُوك ورَعْبان ، فصالحه أهلها على مثل صلح منْبِج ، واشترط عليهم أن يبحثوا عن أخبار الروم ويكاتبوا بها المسلمين . وولّى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملاً ، وضمّ إليه جماعة من المسلمين ، وشحن النواحى المخوفة .

٤٠٦ — قالوا : ثم سار أبو عبيدة حتى نزل عراجين . وقدّم مقدمته إلى بالس . وبعث جيشاً عليه حبيبُ بن مَسْلَمَة إلى قاصرين . وكانت بالِس وقاصرين لأخَوَيْن من أشراف الروم أُقطعا القرى التى بالقرب منهما ، وجُعلا

حافظَيْن لما بينهما من مدن الروم بالشام . فلما نزل المسلمون بها صالحهم على الجزية والجلاء ، فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج ، ولم يكن يومئذ إنما اُتخذ فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه للصوائف. ويقال بل كان له رسم قديم .

٤٠٧ — قالوا : رتّب أبو عبيدة ببالِس جماعة من المقاتلة وأسكنها قوماً من العرب الذين كانوا بالشام، فأسلموا بعد قدوم المسلمين الشام ، وقوماً لم يكونوا من البعوث نزعوا من البوادى من قيس ، وأسكن قاصرين قوماً ثم رفضوها أو اعقابهم . وبلغ أبو عبيدة الفرات ثم رجع إلى (ص ١٥٠) فلسطين . وكانت بالِس والقرى المنسوبة إليها فى حدها الأعلى والأوسط والأسفل أعذاء عُشريّة .

فلما كان مَسْلَمَةُ بن عبد الملك بن مروان توجه غازياً للروم من نحو الثغور الجزرية عسكر ببالس. فأتاه أهلها وأهل بُويلس (كذا) وقاصِرين وعابدين وصِفّين، وهى قرى منسوبة إليها . فأتاه أهل الحدّ الأعلى فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقى أرضهم، على أن يجعلوا له الثُلث من غلاّتهم بعد عُشر السلطان الذى كان يأخذه ، ففعل. فحفر النهر المعروف بنهر مَسْلَمة، ووفوا له بالشرط، ورمّ سور المدينة وأحكمه .

ويقال بل كان ابتداء العرض من مَسلمة ، وأنه دعاهم إلى هـذه المعاملة . فلما مات مَسلمة صارت بالس وقراها لورثته . فلم تزل فى أيديهم إلى أن جاءت الدولة المباركة وقبض عبد الله بن علىّ أموال بنى أمية فدخلت فيها. فأقطعها أمير المؤمنين أبو العباس سليمانَ بن علىّ بن عبد الله بن العباس فصارت لابنه محمد ابن سليمان . وكان جعفر بن سليمان أخوه يسعى به إلى أمير المؤمنين الرشيد رحمه الله ويكتب إليه فيُعمله أنّه لا مالَ له ولا ضيعة إلاّ وقد اجتاز إضعاف قيمته

وأنفقه فيما يرشح له نفسه وعلى من اتخذ من الخَوَل ، وأن أمواله حِلٌ طلقٌ لأمير المؤمنين . وكان الرشيد يأمر بالاحتفاظ بكتبه . فلما توفى محمد بن سليمان أُخرجت كتبه إلى جعفر واحتُجَّ عليه بها . ولم يكن لمحمد أخ لأبيه وأمه غيره فأقرّ بها ، وصارت أمواله للرشيد . فأقطع بالِس وقراها المأمون رحمه الله ، فصارت لولده من بعده .

٤٠٨ — حدثني هشام بن عمار قال : حدثنا يحيى بن حمزة عن تميم بن عطية ،

عن عبد الله بن قيس الهمْدانى قال : قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية . فأراد قسمة الأرض بين المسلمين لأنها فتحت عنوة ، فقال له معاذ بن جَبَل : والله لئن قسمتها ليكونن ما نكره ، ويصير الشيء الكثير فى أيدى القوم ثم يبيدون فيبقى (ص ١٥١) ذلك لواحد ، ثم يأتى من بعدهم قوم يسدون عن الأسلام مسداً فلا يجدون شيئاً . فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم . فصار إلى قول معاذ .

٤٠٩ — حدثني الحسين بن على بن الأسود العجلى عن يحيى بن آدم عن مشايخ من الجزريين عن سليمان بن عطاء عن سلمة الجهني ،

عن عمه أنّ صاحب بُصرى ذكر أنه كان صالح المسلمين على طعام وزيت وخلّ . فسأل عمر أن يكتب له بذلك ، وكذّبه أبو عُبيدة وقال : إنما صالحناه على شيء ينتفع به المسلمون لمشتاهم . ففرض عليهم الجزية على الطبقات والخراج على الأرض .

٤١٠ — وحدثني الحسين قال : حدثنا محمد بن عبيد الأحدب قال : أخبرنا عبد الله بن عمر عن نافع ،

عن أسلم مولى عمر أنّ عمر كتب إلى أمراء الجزية أن لا يضربوها إلا على من

جرت عليه للوسي . وجعلها على أهل الذهب أربعة دنانير ، وجعل عليهم لأرزاق المسلمين من الحنطة لكل رجل مُدْيين ، ومن الزيت ثلاثة أقساط بالشام والجزيرة ، مع إضافة من نزل بهم ثلاثا .

٤١١ — وحدثني أبو حفص الشامي عن محمد بن راشد ،

عن مكحول قال : كل عُشرىّ بالشام فهو مما جلا عنه أهله فأقطعه المسلمون فأحيوه ، وكان مواتاً لا حقّ فيه لأحد فأحيوه بإذن الولاة .

أمر قبرس

٤١٣ — قال الواقدى وغيره : غزا معاوية بن أبى سفيان فى البحر غزوة قبرس الأولى ، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها . وكان معاوية استأذن عمر فى غزو البحر فلم يأذن له . فلما وُلّى عثمان بن عفان كتب إليه يستأذنه فى غزوة قبرس ويُعلمه قربَها وسهولةَ الأمر فيها . فكتب إليه أن قد شهدتُ (ص ١٥٢) ماردّ عليك عمر رحمه الله حين استأمرته فى غزو البحر . فلما دخلت سنة سبع وعشرين كتب إليه يهوّن عليه ركوب البحر إلى قبرس . فكتب إليه عثمان : فإن ركبْت ومعك امرأتك فاركبْه مأذوناً لك وإلاّ فلا . فركب البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة ، وحمل امرأته فاختَة بنت قَرَظَة بن عبد عمرو بن نَوْفل ابن عبد مناف بن قصىّ ، وحمل عُبادةُ بن الصامت امرأتَه أم حَرَام بنت مِلْحان الأنصاريّة ، وذلك فى سنة ثمان وعشرين بعد انحسار الشتاء ، ويقال فى سنة تسع وعشرين . فلما صار المسلمون إلى قبرس فأرْقوا إلى ساحلها — وهى جزيرة فى البحر تكون فيما يقال ثمانين فرسخاً فى مثلها — بعث إليهم أركونُها يطلب الصلح وقد أذعن أهلها به . فصالحهم على سبعة آلاف ومائتى دينار يؤدّونها فى كل عام ، وصالحهم الروم على مثل ذلك فهم يؤدّون خرجين . واشترطوا أن لا يمنعهم المسلمون أداء الصلح إلى الروم . واشترط عليهم المسلمون أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم ، وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوهم من الروم . فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرس ، ولم ينصروا عليهم .

فلما كانت سنة اثنتين وثلاثين أعانوا الروم على الغزاة فى البحر بمراكب أعطوهم إيّاها ، فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين فى خمس مئة مركب ، ففتح

قبرس عنوةً ، فقتل وسبى ثم أقرّهم على صلحهم . وبعث إليها باثنى عشر ألفاً كلهم أهل ديوان ، فبنوا بها المساجد . ونقل إليها جماعة من بعلبكّ ، وبنى بها مدينة . وأقاموا يعطون الأعطية إلى أن توفى معاوية وولّى بعده ابنُه يزيد ، فأقفل ذلك البعث وأمر بهدم المدينة . وبعض الرواة يزعم أن غزوة معاوية الثانية قبرس فى سنة خمس وثلاثين .

٤١٣ — وحدثنى محمد بن مصفّى الحمصى ،

عن الوليد قال : بلغنا أنّ يزيد بن معاوية رُشى مالاً عظيماً (ص١٥٣) ذا قدر حتى أقفل جند قُبرس ، فلما قفلوا هدم أهل قبرس مدينتهم ومساجدهم .

٤١٤ — وحدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن عبد السلام بن موسى ،

عن أبيه قال : لما غُزيت قبرس الغزوة الأولى ركبت أم حَرَام بنت مِلْحان مع زوجها عُبادة بن الصامت . فلما انتهوا إلى قبرس خرجت من المركب وقُدّمت إليها دابة لتركبها فعثرت بها فقتلتها ، فقبرها بقبرس يدعى قبر المرأة الصالحة .

٤١٥ — قالوا : وغزا مع معاوية أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصارى ، وأبو الدرداء ، وأبو ذرّ الغفارى ، وعُبادة بن الصامت ، وفَضَالة ابن عُبيد الأنصارى ، وعُمير بن سعد بن عُبيد الأنصارى ، وواثلة بن الأسقع الكنانى ، وعبد الله بن بشر المازنى ، وشدّاد بن أوس بن ثابت ، وهو ابن أخى حسّان بن ثابت ، والمِقْداد ، وكعب الحَبْر بن ماتع ، وجُبير بن نُفَيْر الحضرمى .

٤١٦ — حدثني هشام بن عمار الدمشقي قال : حدثنا الوليد بن مسلم،

عن صفوان بن عمرو أن معاوية بن أبي سفيان غزا قبرس بنفسه ومعه امرأته . ففتحها الله فتحاً عظيماً وغنم المسلمين غنماً حسنا . ثم لم يزل المسلمون يغزونهم حتى صالحهم معاوية في أيامه صلحاً دائماً على سبعة آلاف دينار ، وعلى النصيحة للمسلمين و إنذارهم عدوهم من الروم . هذا أو نحوه .

٤١٧ — قالوا : وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك أجلى منهم خلقاً إلى الشام لأمرٍ اتهمهم به . فأنكر الناس ذلك فردّهم يزيد بن عبد الملك إلى بلادهم . وكان حُمَيْد بن معيوف الهمْداني غزاهم في خلافة الرشيد لحدثٍ أحدثوه ، فأسر منهم بشراً ، ثم إنهم استقاموا للمسلمين فأمر الرشيد بردِّ من أُسر منهم فرُدّوا .

٤١٨ — حدثني محمد بن سعد،

عن الواقدي في إسناده قال : لم يزل أهل قُبرس على صلح معاوية حتى وُلّي عبد الملك بن مروان ، فزاد عليهم ألف دينار . فجرى ذلك إلى خلافة عمر بن عبد العزيز فحطّها (ص ١٥٤) عنهم . ثم لما وُلّي هشام بن عبد الملك ردّها . فجرى ذلك إلى خلافة أبي جعفر المنصور فقال : نحن أحقُّ مَنْ أنصفهم ولم نتكثّر بظلمهم . فردّهم إلى صلح معاوية .

٤١٩ — وحدثني بعض أهل العلم من الشاميين وأبو عُبيد القاسم بن سلاّم قالوا : أحدث أهل قُبرس حدثاً في ولاية عبد الملك بن صالح بن عليّ بن عبد الله ابن عباس الثغورَ ، فأراد نقض صلحهم والفقهاء متوافرون . فكتب إلى الليث

ابن سعد ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عُيَيْنَة ، وموسى بن أعْيَن ، واسماعيل ابن عيّاش ، ويحيي بن حمزة ، وأبى اسحاق الفزارى ، ومَخْلَد بن الحسين فى أمرهم فأجابوه . وكان فيما كتب به الليثُ بن سعد : « إنّ أهل قبرس قوم لم نزل نتهمهم بغش أهل الأسلام ومناصحة أعداء الله الروم ، وقد قال الله تعالى ﴿ وإما تخافَنّ من قوم خيانةً فانبذْ إليهم على سَوَاء ﴾[1] ولم يقل لا تنبذ إليهم حتى تستيقن خيانتهم . وإنى أرى أن تنبذ إليهم ، ويُنْظَروا سنة يأتمرون . فمن أحبّ اللحاق ببلاد المسلمين على أن يكون ذمّة يؤدّى الخراج قبلتَ ذلك ، ومَنْ أراد أن ينتحى إلى بلاد الروم فعل ، ومَنْ أراد المقام بقبرس على الحرب أقام ، فكانوا عدواً يقاتلون ويغزون ، فإنّ فى إنظار سنة قطعاً لحجتهم ووفاء بعدهم . »

وكان فيما كتب به مالك بن أنس : « إنّ أمان أهل قُبرس كان قديماً متظاهراً من الولاة لهم . وذلك لأنهم رأو أن إقرارهم على حالهم ذلٌّ وصَغار لهم وقوةٌ للمسلمين عليهم بما يأخذون من جزيتهم ويصيبون به من الفرصة فى عدوهم . ولم أجد أحداً من الولاة نقض صلحهم ولا أخرجهم عن بلادهم وأنا أرى أن لا تعجِّل بنقض عهدهم ومنابذتهم حتى تتجه الحجّةُ عليهم ، فإنّ الله يقول ﴿ فأتِمّوا إليهم عَهْدَهم إلى مُدَّتِهم ﴾[2] فإن هم لم يستقيموا بعد ذلك (ص ١٥٥) ويَدَعوا غشّهم ورأيتَ أنّ الغدر ثابت منهم أوقعتَ بهم ، فكان ذلك بعد الإعذار فرزقتَ النصر ، وكان بهم الذل والخزى إن شاء الله تعالى »

وكتب سفيان بن عُيينة : « إنّا لا نعلم النبى صلى الله عليه وسلم عاهد قوماً فنقضوا العهد إلاّ استحل قتلهم غير أهل مكة ، فإنه مَنّ عليهم ، وكان نقضهم أنهم نصروا حلفاءهم على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خُزاعة . وكان

(١) السورة ٨ ، الآية ٥٨ .

(٢) السورة ٩ ، الآية ٤ .

فيما أَخَذَ على أهل نجران أن لا يأكلوا الربا ، فحكم فيهم عمر رحمه الله حين أكلوه بإجلائهم . فإجماع القوم أنه مَنْ نقض عهداً فلا ذمة له . »

وكتب موسى بن أعْيَن : « قد كان يكون مثل هذا فيما خلا فيعمل الولاة فيه النَّظِرة . ولم أر أحداً ممن مضى نقض أهل قبرس ولا غيرها ، ولعل عامتهم وجماعتهم لم يمالئوا على ما كان من خاصتهم . وأنا أرى الوفاء لهم والتمام على شرطهم ، وإن كان منهم الذى كان . وقد سمعت الأوزاعى يقول فى قوم صالحوا المسلمين ثم أخبروا المشركين بعورتهم ودلّوهم عليها : إنهم إن كانوا ذمة فقد نقضوا عهدهم وخرجوا من ذمتهم ، فإن شاء الوالى قتل وصلب ، وإن كانوا صلحاً لم يدخلوا فى ذمة المسلمين نبذ إليهم الوالى على سواء « إنّ الله لا يحبّ كيدَ الخائنين »[1]

وكتب اسماعيل بن عيّاش : « أهلُ قبرس أذلاّء مقهورون يغلبهم الروم على أنفسهم ونسائهم ، فقد يحق علينا أن نمنعهم ونحميهم . وقد كتب حبيب ابن مَسْلمة لأهل تَفْليس فى عهده أنه إن عرض للمسلمين شغل عنكم وقهرَكم عدوكم ، فإنّ ذلك غيرُ ناقضٍ عهدكم بعد أن تفوا للمسلمين . وأنا أرى أن يقرّوا على عهدهم وذمتهم ، فإن الوليد بن يزيد قد كان أجلاهم إلى الشام فاستفظع ذلك المسلمون واستعظمه الفقهاء ، فلما وُلِّى يزيد بن الوليد بن عبد الملك ردّهم إلى قبرس ، فاستحسن المسلمون ذلك من فعله ورأوه عدلا » .

وكتب يحيى بن حمزة : « إن أمر قُبرس كأمر عَرَبْسُوس (ص ١٥٦) فإنّ فيها قدوة حسنة وسنة متبعة . وكان من أمرها أن عُمير بن سعد قال لعمر ابن الخطاب وقدم عليه : إنّ بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عَرَبْسُوس . وإنهم يخبرون عدوّنا بعوراتنا ولا يُظهرونا على عوراتِ عدونا . فقال عمر : فإذا

---

(١) اقتباس من القرآن سورة ١٢ ، الآية ٥٢ .

قدمتَ فخيّرهم أن تعطيهم مكان كلٍّ شاةٍ شاتين ، ومكان كلٍّ بقرةٍ بقرتين ، ومكان كل شيء شيئين ، فإذا رضوا بذلك فاعطهم إياه وأجْلِهم وأخربها ؛ فإن أبوا فانبِذْ إليهم وأجّلهم سنة ،ثم أخربها . فانتهى عمير إلى ذلك فأبوا . فأجّلهم سنة ثم أخربها . وكان لهم عهد كعهد أهل قبرس . وتركُ أهل قبرس على صلحهم والاستعانة بما يؤذن على أمور المسلمين أفضل . وكل أهل عهد لايقاتل المسلمون من ورائهم ويجرى عليهم أحكامهم فى دارهم فليسوا بذمة ، ولكنهم أهل فدية يكفّ عنهم ما كفّوا ويوفى لهم بعهدهم ما وفوا ورضوا ، ويقبل عفوهم ما أدّوا .

وقد رُوى عن معاذ بن جبل أنه كره أن يُصالَح أحدٌ من العدو على شيء معلوم إلا أن يكون المسلمون مضطرّين إلى صلحهم ، لأنه لا يدرى لعلّ صلحهم نفع وعز للمسلمين » .

وكتب ابو اسحاق الفزارى ومَخْلَد بن الحسين : « إنّا لم نر شيئاً اشبه بأمر قُبرس من أمر عَرَبْسّوس ،وما حكم به فيها عمر بن الخطاب فإنه عرض عليهم ضعف مالهم على أن يخرجوا منها أو نَظِرَة سنة بعد نبذ عهدهم إليهم ، فأبوا الأولى فأُنظروا . ثم أُخربت. وقد كان الأوزاعى يحدثّ أنّ قبرس فُتحت فتُركوا على حالهم وصولحوا على أربعة عشر ألف دينار : سبعة آلاف للمسلمين وسبعة آلاف للروم ، على أن لا يكتموا الروم أمر المسلمين . وكان يقول : ما وفى لنا أهل قبرس قط ، وإنا لنرى أنهم أهل عهد ، وأنّ صلحهم وقع على شيء فيه شرط لهم وشرط عليهم ، ولا يستقيم نقضه إلاّ بأمرٍ يُعرف فيه غدرهم ونكثهم » .

أمر السّامِرَة.

٤٢٠ — حدثنى هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم، عن صَفوان بن عمرو أنّ أبا عبيــدة بن الجرّاح صالح السّامرة بالأُردُنّ وفلسطين، وكانوا عيوناً وأدلآء للمسلمين، على جزية رؤوسهم وأطعمهم أرضهم. فلما كان يزيد بن معاوية وضع الخراج على أرضهم.

٤٢١ — وأخبرنى قوم من أهل المعرفة بأمر جُنْدَىْ الأردُنّ وفلسطين أنّ يزيد بن معاوية وضع الخراج على أراضى السّامرة بالأردنّ، وجعل على رأس كل امرئ منهم دينارين، ووضع الخراج أيضاً على أرضيهم بفلسطين، وجعل على رأس كل امرئ منهم خمسة دنانير. والسامرة يهود، وهم صنفان: صنف يقال لهم الدُّسْتان، وصنف يقال لهم الكُوشان.

٤٢٢ — قالوا: وكان بفلسطين فى أول خلافة أمير المؤمنين الرشيد رحمه الله طاعون جارف ربما أتى على جميع أهــل البيت. فخربت أرضوهم وتعطّلت. فوكل السلطان بها من عَمرَها، وتألّف الأَكَرَة والمزارعين إليها، فصارت ضياعاً للخلافة، وبها السّامرة. فلما كانت سنة ست وأربعين ومائتين رفع أهل قرية من تلك الضياع تدعى بيت ماما، من كورة نابُلُس، وهم سامرة، يشكون ضعفهم وعجزهم عن أدآء الخراج على خمسة دنانير. فأمر المتوكل على الله بردّهم إلى ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير.

٤٢٣ — حدثنى هشام بن عمار قال : حدثنا الوليد بن مسلم ،

عن صفوان بن عمرو (ص ١٥٨) وسعيد بن عبد العزيز أنّ الروم صالحت معاوية على أن يؤدِّى إليهم مالاً ، وارتهن معاوية منهم رُهناء فوضعهم بِبَعْلَبَكَّ . ثم إن الروم غدرت ، فلم يستَحِلّ معاوية والمسلمون قَتلَ مَنْ فى أيديهم من رَهْنِهم ، وخلّوا سبيلهم وقالوا : وفاء بغدر ، خيرٌ من غدر بغدر .

قال هشام : وهو قول العلماء ، الأوزاعى وغيره .

أمر الجَراجِمة

٤٢٤ — حدثنى مشايخ من أهل أنطاكية أنّ الجَراجِمة من مدينةٍ على جبل اللكام عند معدن الزاج، فيما بين بيّاس و بوقا، يقال لها الجُرْجُومة. وأنّ أمرهم كان فى أيام استيلاء الروم على الشام وأنطاكية إلى بَطْريق أنطاكية وواليها. فلما قدم أبو عبيدة أنطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهمّوا باللّحاق بالروم إذ خافوا على أنفسهم، فلم ينتبه المسلمون لهم ولم يُنَبَّهوا عليهم. ثم إن أهل أنطاكية نقضوا وغدروا، فوجّه إليهم أبو عبيدة مَنْ فتحها ثانية، وولّاها بعد فتحها حبيبَ بن مَسْلَمَة الفِهرى. فغزا الجُرْجُومة فلم يقاتله أهلها، ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح. فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح فى جبل اللُّكام، وأن لا يؤخَذوا بالجزية، وأن ينفّلوا أسلاب مَنْ يقتلون من عدوّ المسلمين إذا حضروا معهم حرباً فى مغازيهم. ودخل مَنْ كان فى مدينتهم من تاجرٍ وأجيرٍ وتابعٍ من الأنباط وغيرهم وأهلِ القرى فى هذا الصلح، فسمّوا الرواديف لأنهم تلوهم وليسوا منهم. ويقال إنهم جاؤا بهم إلى عسكر المسلمين وهم أرداف لهم فسُمّوا رواديف. فكان الجَراجمة يستقيمون للولاة مرةً ويَعْوَجّون أخرى فيكاتبون (ص ١٥٩) الروم و يمالئونهم.

فلما كانت أيامُ ابن الزبير وموتُ مروان بن الحكم وطلبُ عبد الملك الخلافة بعده لتوليته إياه عهده واستعداده للشخوص إلى العراق لمحاربة المصعب ابن الزبير، خرجت خيلٌ للروم إلى جبل اللُّكام وعليها قائد من قوّادهم، ثم صارت إلى لبنان وقد ضَوَتْ إليها جماعة كثيرةٌ من الجراجمة وأنباطٍ وعبيدٍ أبّاق من عبيد المسلمين. فاضطرّ عبد الملك إلى أن صالحهم على ألفِ دينار فى كل جمعة، وصالح طاغية الروم على مال يؤدّيه إليه لشغله عن محاربته وتخوّفه أن

يخرج إلى الشام فيغلب عليه . واقتدى فى صلحه بمعاوية حين شُغل بحرب أهل العراق فإنه صالحهم على أن يؤدِّى إليهم مالاً وارتهن منهم رهنــاء وضعهم ببعلبكّ . ووافق ذلك أيضاً طلبُ عمرو بن سعيد بن العاصى الخلافة و إغلاقه أبواب دمشق حين خرج عبد الملك عنها فازداد شغلاً ، وذلك فى سنة سبعين .

ثم إن عبد الملك وجه إلى الرومىّ سُحَيْمَ بن المهاجر فتلطف حتى دخــل عليه متنــكراً ، فأظهر الممالأة له وتقرّب إليهم بذم عبد الملك وشتمه وتوهين أمره ، حتى أمِنه واغترّ به . ثم إنه انــكفأ عليه بقوم من موالى عبد الملك وجنده كان أعدّهم لمواقعته ورتّبهم بمــكان عرفه . فقتله ومَنْ كان معه من الروم ، ونادى فى سائر من ضوى إليه بالأمان .

فتفرق الجَراجمة بقرى حمص ودمشق . ورجع أكثرهم إلى مدينتهم باللُّكام وأتى الأنباط قراهم ، فرجع العبيد إلى مواليهم .

وكان ميمون الجُرْجُمانى عبــداً رومياً لبنى أم الحــكم أخت معاوية بن أبى سفيان وهم ثقفيّون ، وإنما نُسب إلى الجَراجِمة لاختلاطه بهم وخروجه (ص ١٦٠) بجبل لبنان معهم . فبلغ عبد الملك عنه بأس وشجاعة فسأل مواليه أن يُعتقوه ففعلوا . وقوّده على جماعة من الجند وصيّره بأنطاكية ، فغزا مع مَسْلَمَة بن عبد الملك الطُّوانة ، وهو على ألفٍ من أهل أنطاكية . فاستشهد بعد بلاء حسن وموقف مشهود . فغمَّ عبد الملك مصابه وأغزى الروم جيشاً عظيماً طلباً بثأره .

٤٢٥ — قالوا : ولما كانت سنة تسع وثمانين اجتمع الجراجمة إلى مدينتهم وأتاهم قوم من الروم من قبل الاسكندرونة ورُوسِس . فوجّه الوليد بن عبد الملك إليهم مَسْلَمَة بن عبد الملك فأناخ عليهم فى خلق من الخلق ، فافتتحها على أن

ينزلوا بحيث أحبوا من الشام ، ويُجرى على كل امرئ منهم ثمانيةُ دنانير ، وعلى عيالاتهم القوتُ من القمح والزيت ، وهو مديان من قمح وقسطان من زيت ، وعلى أن لا يُكرهوا ولا أحدٌ من أولادهم ونسائهم على ترك النصرانية ، وعلى أن يلبسوا لباس المسلمين ، ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية ، وعلى أن يغزوا مع المسلمين فيَنْفَلوا أسلابَ من يقتلونه مبارزة ، وعلى أن يؤخذ من تجاراتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين . فأخرب مدينتهم وأنزلهم فأسكنهم جبل الحُوّار وسنح اللولون (كذا) وعَمْقَ تِيزين . وصار بعضهم إلى حمص ونزل بطريق الجُرْجُومة فى جماعة معه أنطاكية ، ثم هرب إلى بلاد الروم .

وقد كان بعض العمّال ألزم الجَراجمة بأنطاكية جزية رؤوسهم ، فرفعوا ذلك إلى الواثق بالله رحمه الله وهو خليفة فأمر بإسقاطها عنهم .

٤٢٦ — وحدثنى بعض من أثق به من الكتّاب أنّ المتوكل على الله رحمه الله أمر بأخذ الجزية من هؤلاء الجَراجمة ، وأن تجرى عليهم الأرزاق ، إذ كانوا ممن يُستعان به فى المسالح وغير ذلك .

وزعم أبو الخطاب الأزدى أن أهل الجُرْجُومة كانوا يغيرون فى أيام عبد الملك على (ص ١٦١) قرى أنطاكية والعَمْق ، وإذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلِّف واللاحق ومَنْ قدروا عليه ممن فى أواخر العسكر ، وغالوا فى المسلمين . فأمر عبد الملك ففرض لقوم من أهل أنطاكية وأنباطها ، وجُعلوا مسالح ، وأُردفتْ بها عساكرُ الصوائف ليؤدِّبوا الجَراجمة عن أواخرها ، فسُمّوا الروادیف . وأجرى على كل امرئ منهم ثمانية دنانير . والخبر الأول أثبت .

٤٢٧ — وحدثنى أبو حفص الشامى عن محمد بن راشد ،

عن مكحول قال : نقل معاوية فى سنة تسع وأربعين أو سنة خمسين إلى السواحل قوماً من زُطّ البصرة والسيابجة وأنزل بعضهم أنطاكيــة . قال أبو حفص : فبأنطاكية محلة تعرف بالزُطّ . وببوقا من عمل أنطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزُطّ . وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل إلى أنطاكية قوماً من الزُطّ الســند ممنْ حمله محمد بن القاسم إلى الحجّاج . فبعث بهم الحجّاج إلى الشام .

٤٢٨ — وحدثنى محمد بن سعد ،

عن الواقدى قال : خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بَعْلَبَكَّ ، فوجّه صالح بن على بن عبد الله بن عباس مَنْ قتل مقاتلتهم وأقرَّ مَنْ بقى منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم ، وأجلى قوماً من أهل لبنان .

٤٢٩ — فحدثنى القاسم بن سلام أنّ محمد بن كثير حدثه ،

أن الأوزاعى كتب إلى صالح رسالة طويلة حفظ منها : « وقد كان من إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممن قتلتَ بعضهم ورددتَ باقيهم إلى قراهم ما قد علمت ، فكيف تُؤْخَذُ عامةٌ بذنوب خاصة ، حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وحكمُ الله تعالى أن لا تزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى ، وهو أحق ما وقف عنده واقتُدى به ، وأحقُّ الوصايا أن تُحفظ وتُرعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال : من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه . ثم ذكر كلاما .

٤٣٠ — حدثني محمد بن سهم الأنطاكي قال : حدثني معاوية بن عمرو ،

عن أبي اسحاق (ص ١٦٢) الفزارى قال : كانت بنو أمية تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية مما يلى ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم المراكب للغزو ، وترتب الحفظة فى السواحل ، ويكون الإغفال والتفريط خلال الحزم والتيقظ . فلما وُلِّى أبو جعفر المنصور تتبّع حصونَ السواحل ومدنَها فعمّرَها وحصّنها و بنى ما احتاج إلى البناء منها ، وفعل مثل ذلك بمدن الثغور . ثم لما استُخلف المهدىّ استتمّ ما كان بقى من المدن والحصون وزاد فى شحنها .

قال معاوية بن عمرو : وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون فى الغزو ونفاذ بصيرته فى الجهاد أمراً عظيماً . أقام من الصناعة ما لم يُقِم قبله ، وقسم الأموال فى الثغور والسواحل ، وأشجى الروم وقمعهم . وأمر المتوكل على الله بترتيب المراكب فى جميع السواحل وأن تُشحن بالمقاتلة ، وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائتين .

الثغور الشـــامية

٤٣١ — حدثنى مشايخ من أهل أنطاكية وغيرهم قالوا: كانت ثغور المسلمين الشامية أيام عمر وعثمان رضى الله عنهما وما بعد ذلك أنطاكية وغيرها من المدن التى سمّاها الرشيد عواصم. فكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوهم اليوم ما وراء طَرَسُوس. وكان فيما بين الإسكَنْدَرونة وطَرَسُوس حصون ومسالح للروم كالحصون والمسالح التى يمرّ بها المسلمون اليوم. فربما أخلاها أهلُها وهربوا إلى بلاد الروم خوفاً، وربما نقل إليها من مقاتلة الروم مَنْ تُشْحَن به. وقد قيل إن هرقل أدخل أهل هذه المدن معه عند انتقاله من أنطاكية لئلا يسير المسلمون فى عمارة ما بين أنطاكية و بلاد الروم. والله أعلم.

٤٣٢ — وحدثنى ابن طسون (؟) البَغْراسىّ عن أشياخهم أنهم قالوا: الأمر المتعالم (ص ١٦٣) عندنا أنّ هِرَقل نقل أهل هذه الحصون معه وشعّثها. فكان المسلمون إذا غزوا لم يجدوا بها أحداً، وربما كمن عندها القوم من الروم فأصابوا غرّةً المتخلفين عن العسكر والمنقطعين عنها، فكان ولاة الشواتى والصوائف إذا دخلوا بلاد الروم خلّفوا بها جنداً كثيفاً إلى خروجهم.

وقد اختلفوا فى أول من قطع الدرب، وهو درب بَغْراس، فقال بعضهم: قطعه مَيْسَرَةُ بن مسروق العبسى، وجّهه أبو عُبيدة بن الجرّاح فلقى جمعاً للروم ومعهم مُسْتَعْرِبةٌ من غسّان وتنوخ و إياد يريدون اللحاق بهرَقْل، فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة. ثم لحق به مالك الأشتر النَّخَعىّ مدداً من قِبَل أبى عُبيدة وهو بأنطاكية. وقال بعضهم: أول من قطع الدرب عُمَيْر بن سعد الأنصارى حين توجّه فى أمر جَبَلَة بن الأيهم.

وقال أبو الخطاب الأزدى : بلغنى أن أبا عُبيدة نفسه غزا الصائفة فمرّ بالمصِّيصَة وطَرسوس وقد جلا أهلها وأهل الحصون التى تليها ، فأدْرَب ، فبلغ فى غَزَاته زَنْدَة .

وقال غيره : إنما وجّه مَيْسرة بن مسروق فبلغ زَنْدَة .

٤٣٣ — حدثنى أبو صالح الفراء عن رجل من أهل دمشق يقال له عبد الله بن الوليد عن هشام بن الغاز ،

عن عُبادَة بن نُسَىّ فيما يحسب أبو صالح قال : لما غزا معاوية غزوة عَمُّورِيَة فى سنة خمس وعشرين ، وجد الحصون فيما بين أنطاكية وطَرْسوس خالية ، فوقّف عندها جماعة من أهلِ الشامِ والجزيرةِ وقِنَّسْرين حتى انصرف من غزاته . ثم أغزى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحُرّ العبسى الصائفة ، وأمره ففعل مثل ذلك ، وكانت الولاة تفعله .

وقال هذا الرجل : ووجدتُ فى كتاب مغازى معاوية : إنه غزا سنة إحدى وثلاثين من ناحية المصِّيصَة . فبلغ دَرَوْلِيّة ، فلما خرج (ص ١٦٤) جعل لا يمرّ بحصن فيما بينه و بين أنطاكية إلا هدمه .

٤٣٤ — وحدثنى محمد بن سعد ،

عن الواقدى وغيره قال : لما كانت سنة أربع وثمانين غزا على الصائفة عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فدخل من درب أنطاكية وأتى المصِّيصة . فبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع بها سكاناً من الجند فيهم ثلاث مئة رجل انتخبهم من ذوى البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، و بنى فيها مسجداً فوق تلّ الحصن . ثم سار فى جيشه حتى غزا حصن سِنان ففتحه ووجه يزيد بن حُنين الطائى الأنطاكى فأغار ثم انصرف إليه .

وقال أبو الخطاب الأزدى : كان أول من ابتنى حصن المَصِّيصَة فى الإسلام عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله بن عبد الملك فى سنة أربعٍ وثمانين على أساسها القديم . فتم بناؤها وشحنها فى سنة خمس وثمانين . وكانت فى الحصن كنيسة جُعلت هُرْياً . وكانت الطوالع من أنطاكية تطلع عليها فى كل عام فتشتو بها ثم تنصرف ، وعِدّة من كان يطلع إليها ألف وخمس مئة إلى الألفين .

وقال : وشَخَص عمر بن عبد العزيز حتى نزل هُرْى المصِّيصَة وأراد هدمها وهدَم الحصون بينها و بين أنطاكية ، وقال : أكره أن يحاصر الروم أهلها . فأعلمه الناس أنها إنما عمرت ليدفع مَنْ بها من الروم عن أنطاكية ، وأنه إن أخرجها لم يكن للعدو ناهية دون أنطاكية . فأمسك و بنى لأهلها مسجداً جامعاً من ناحية كَفَرْبَيّا ، واتخذ فيه صهريجاً ، وكان اسمه عليه مكتوبا . ثم إن المسجد خرب فى خلافة المعتصم بالله وهو يُدعى مسجد الحصن .

قال : ثم بنى هشام بن عبد الملك الربض ، ثم بنى مروان بن محمد الخُصُوص فى شرقى جَيْحان ، و بنى عليها حائطاً وأقام عليه باب خشب ، وخَنْدَق خندقا . فلما استُخلف أبو العباس فرض بالمصِّيصَة لأربع مئة رجل زيادة فى شحنتها وأقطعهم . ثم لما استُخلف (ص ١٦٥) المنصور فرض بالمصِّيصَة لأربع مئة رجل . ثم لما دخلت سنة تسع وثلاثين ومئة ، أمر بعمران مدينة المصِّيصَة ، وكان حائطها متشعثاً من الزلازل ، وأهلها قليل فى داخل المدينة . فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة أربعين ومئة وسماها المعمورة ، و بنى فيها مسجداً جامعاً فى موضع هيكلٍ كان بها ، وجعله مثل مسجد عمر مرّات . ثم زاد فيه المأمون أيام ولاية عبد الله بن طاهر بن الحسين المغرب . وفرض المنصور فيها لألف رجل ، ثم نقل أهل الخُصُوص ، وهم فُرْس وصقالبة وأنباط نصارى . وكان مروان أسكنهم إيّاها وأعطاهم خططاً فى المدينة عوضاً عن منازلهم على ذرعها ، ونَقَضَه

منازلهم وأعانهم على البناء ، وأقطع الفرض قطائع ومساكن . ولما استُخلف المهدى فرض بالمصِّيصَة لألفى رجل ولم يُقْطِعْهم لأنها قد كانت شُحِنت من الجند والمطوّعة ، ولم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكيــة فى كل عام حتى وليها سالم البَرَلُّسى ، وفرض موضعه لخمس مئة مقاتل على خاصّة عشرة دنانير . فكثر مَنْ بها وقووا . وذلك فى خلافة المهدى .

٤٣٥ — وحدثنى محمد بن سهم ،

عن مشايخ الثغر قالوا : ألحّت الروم على أهل المصِّيصَة فى أول أيام الدولة المباركة حتى جلوا عنها . فوجّه صالحُ بن على جبريلَ بن يحيى البَجَلى إليها فعمّرها وأسكنها الناس فى سنة أربعين ومئة . وبنى الرشيد كَفَرْبَيّا ، ويقال : بل كانت ابتديت فى خلافة المهدى ثم غيّر الرشيد بناءها وحصّنها بخندق . ثم رُفع إلى المأمون فى أمر غلّةٍ كانت على منازلها فأبطلها . وكانت منازلها كالخانات . وأمر فجعل لها سور فرفع ، فلم يستتمّ حتى توفى ، فأمر المعتصم بالله بإتمامه وتشريفه .

٤٣٦ — قالوا : وكان الذى حصّن المُثَقَّب هشام بن عبـد الملك على يدِ حسّان بن مَاهُوَيْهْ الأنطاكى . ووجد فى خندقه حين حفر عظمَ ساقٍ مفرط الطول (ص ١٦٦) فبعث به إلى هشام . وبنى هشام حصن قَطَرْغاس على يدى عبد العزيز بن حيّان الأنطاكى ، وبنى هشام حصن مُورة على يدى رجل من أهل أنطاكية . وكان سبب بنائه إيّاه أنّ الروم عرضوا لرسولٍ له فى درب اللكام عند العَقَبة البيضاء ، ورتّب فيه أربعين رجلاً وجماعةً من الجراجمة ، وأقام ببَغْراس مسلحة فى خمسين رجلاً ، وابتنى لها حصناً . وبنى هشام حصن بُوقا من عمل أنطاكية ، ثم جُدِّد وأُصلح حديثاً .

و بنى محمد بن يوسف المروزى المعروف بأبى سعيد حصناً بساحل أنطاكية بعد غارة الروم على ساحلها فى خلافة المعتصم بالله رحمه الله .

٤٣٧ — حدثنى داود بن عبد الحميد قاضى الرقة عن أبيه ،

عن جده أنّ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أراد هدمَ المصِّيصَة ونقلَ أهلها عنها لما كانوا يلقون من الروم فتوفى قبل ذلك .

٤٣٨ — وحدثنى بعض أهل أنطاكية و بَغْراس أنّ مَسْلمة بن عبد الملك لما غزا عَمّورية حمل معه نساءه ، وحمل ناس ممن معه نساءهم . وكانت بنو أُميّة تفعل ذلك إرادة الجد فى القتال للغيرة على الحرم . فلما صار فى عَقَبَة بَغْراس عند الطريق المستدقّة التى تُشرف على الوادى سقط محملٌ فيه امرأة إلى الحضيض . فأمر مَسْلمةُ أن تمشى سائر النساء فمَشَيْن ، فسُمّيت تلك العقبة عقبة النساء . وقد كان المعتصم بالله رحمه الله بنى على حدِّ تلك الطريق حائطاً قصيراً من حجارة .

وقال أبو النعمان الأنطاكى : كان الطريق فيما بين أنطاكية والمصِّيصَة مسْبعة يعترض للناس فيها الأسد . فلما كان الوليد بن عبد الملك شُكى إليه ، فوجّه أربعة آلاف جاموسة وجاموس فنفع الله بها . وكان محمد بن القاسم الثقفى عامل الحجَّاج على السند بعث منها بألوف جواميس ، فبعث الحجَّاج إلى الوليد منها بما بعث من (ص ١٦٧) الأربعة آلاف ، وألقى باقيها فى آجام كَسْكر . ولما خُلع يزيد بن المهلّب فقُتل وقَبض يزيد بن عبد الملك أموال بنى المهلّب أصاب لهم أربعة آلاف جاموسة كانت بكُوَرِ دِجلة وكَسْكر ، فوجَّه بها يزيد ابن عبد الملك إلى المصِّيصَة أيضاً مع زُطِّها ، فكان أصل الجواميس بالمصِّيصَة ثمانية آلاف جاموسة . وكان أهل أنطاكية وقِنَّسرين قد غلبوا على كثير منها

واختاروه لأنفسهم فى أيام فتنة مروان بن محمد بن مروان ، فلما استُخلف المنصور أمر بردِّها إلى المصِّيصَة . وأما جواميس أنطاكية فكان أصلها ما قدم به الزُّطّ معهم ، وكذلك جواميس بُوقا .

وقال أبوا الخطاب : بُنِى الجسر الذى على طريق أذَنَة من المصِّيصة ، وهو على تسعة أميال من المصِّيصة ، سنة خمس وعشرين ومئة . فهو يُدعى جسر الوليد ، وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول .

وقال أبو النعمان الأنطاكى وغيره : بنُيت أذَنَة فى سنة إحدى وأربعين ومئة أو اثنتين وأربعين ومئة ، والجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مَسْلَمَة ابن يحيى البَجَلى ، ومِنْ أهل الشام مع مالك بن أدهم الباهلى ، وجّههما صالح ابن على .

٤٣٩ — قالوا : ولما كانت سنة خمس وستين ومئة أغزى المهدى ابنه هارون الرشيد بلاد الروم . فنزل على الخليج ، ثم خرج فرَمّ المصِّيصة ومسجدها وزاد فى شحنتها ، وقوّى أهلها ، وبنى القصر الذى عند جسر أذَنَة على سَيْحان . وقد كان المنصور أغزى صالح بن علىّ بلاد الروم فوجّه هلال بن ضَيْغَم فى جماعة من أهل دمشق والأردُنّ وغيرهم فبنى ذلك القصر ، ولم يكن بناؤه محكماً فهدمه الرشيد وبناه . ثم لما كانت سنة أربعٍ وتسعين ومئة بنى أبو سليم فرج الخادم أذَنَة فأحكم بناءها وحصّنها ، وندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم على زيادةٍ فى العطاء ، وذلك بأمر محمد بن الرشيد . فرَمّ قصر سَيْحان . وكان الرشيد توفى سنة ثلاث وتسعين ومئة وعامله على أعشار الثغور أبو سُلَيم ، فأقرّه محمد . وأبو سُلَيم هذا هو صاحب الدار بأنطاكية .

٤٤٠ — وحدثنى محمد بن سعد ،

عن الواقدى قال : غزا الحسن بن قَحْطَبَة الطائى بلاد الروم سنة اثنتين وستين ومئة فى أهل خراسان وأهل الموصل والشام وأمداد اليمن ومطوّعة العراق والحجاز . خرج مما يلى طَرسوس فأخبر المهدى بما فى بنائها وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة من عظيم الغناء عن الإسلام والكبت للعدو والوقم له فيما يحاول ويكيد . وكان الحسن قد أبلى فى تلك الغزاة بلاء حسناً ، ودوّخ أرض الروم حتى سموه الشيْتَن . وكان معه فى غزاته مَنْدَل العَنَزِي المحدّث الكوفى ومُعْتَمِر بن سليمان البصرى .

٤٤١ — وحدثنى محمد بن سعد قال :

حدثنى سعد بن الحسن قال : لما خرج الحسن من بلاد الروم نزل مرج طَرَسُوس فركب إلى مدينتها وهى خراب ، فنظر إليها وأطاف بها من جميع جهاتها ، وحزر عدة من يسكنها فوجدهم مئة ألف . فلما قدم على المهدى وصف له أمرها وما فى بنائها وشحنتها من غيظ العدو وكبْتِه وعزّ الإسلام وأهلِه ، وأخبره فى الحدث أيضاً بخبر رغّبه فى بناء مدينتها . فأمره ببناء طَرَسُوس ، وأن يبدأ بمدينة الحَدَث ، فبُنِيت . وأوصى المهدى ببناء طَرَسُوس .

فلما كانت سنة إحدى وسبعين ومئة ، بلغ الرشيد أن الروم ائتمروا بينهم بالخروج إلى طَرَسُوس لتحصينها وترتيب المقاتلة فيها . فأغزى الصائفة فى سنة إحدى وسبعين ومئة هَرْثَمَة بن أعْيَن ، وأمره بعمارة طرسوس وبنائها وتمصيرها ففعل . وأجرى أمرها على يد فرج بن سُلَيْم الخادم بأمر الرشيد ، فوكّل فرج ببنائها ، وتوجه أبو سُلَيم إلى مدينة السلام فأشخص الندبة الأولى من أهل خُراسان وهم ثلاثة آلاف رجل ، فوردوا طَرَسُوس . ثم أشخص الندبة الثانية

وهم ألفا رجل : ألفٌ من أهل المصِّيصة وألف من أهل انطاكية ، على زيادة عشرة دنانير لكل رجل فى أصل عطائه (ص ١٦٩) . فعسكروا مع الندبة الأولى بالمدائن على باب الجهاد فى مستهل المحرم سنة اثنتين وسبعين ومئة ، إلى أن استتم بناء طَرْسُوس وتحصينها و بناء مسجدها . ومسح فَرَج ما بين النهر إلى النهر فبلغ ذلك أربعة آلاف خطة ، كل خطة عشرون ذراعاً فى مثلها . وأقطع أهل طَرسوس الخطط وسكنتها الندبتان فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين ومئة .

٤٤٢ — قالوا : وكان عبدالملك بن صالح قد استعمل يزيد بن مَخْلَد الفزارى على طَرْسُوس فطرده مَنْ بها من أهل خراسان واستوحشوا منه لِلْهُبَيْرِيّة . فاستخلف أبا الفوارس فأقرّه عبد الملك بن صالح وذلك فى سنة ثلاث وسبعين ومئة .

٤٤٣ — قال محمد بن سعد : حدثنى الواقدى قال: جلا أهل سِيسِيّة ولحقوا بأعلى الروم فى أربع وتسعين ومئة أو ثلاث وتسعين ومئة . وسِيسِيّةُ مدينةُ تلِّ عَيْنِ زَرْبَة ، وقد عُمِرَت فى خلافة المتوكل على يدى علىّ بن يحيى الأرمنى ، ثم أخربتها الروم .

٤٤٤ — قالوا : فكان الذى أحرق أنطاكية المحترقة ببلاد الروم عباس ابن الوليد بن عبد الملك .

٤٤٥ — قالوا : وتلّ جُبَيْر نُسبت إلى رجل من فُرْس أنطاكية كانت له عنده وقعة وهو من طرسوس على أقل من عشرة أميال .

٤٤٦ — قالوا : والحصن المعروف بذى الكلاع إنما هو الحصن ذو القلاع لأنه على ثلاث قلاع . فَحُرِّف اسمه . وتفسيرُ اسمه بالرومية الحصن الذى مع الكواكب .

٤٤٧ — وقالوا : سُمّيت كنيسة الصلح لأن الروم لما حملوا صلحهم إلى الرشيد نزلوها .

ونُسب مرجُ حُسين إلى حسين بن مسلم الأنطاكى . وذلك أنه كانت له به وقعة ونكاية فى العدو .

٤٤٨ — قالوا : وأغزى المهدى ابنه هارون الرشيد فى سنة ثلاث وستين ومئة . فحاصر أهل صَمالو وهى التى تدعوها العامة سمالو . فسألوه الأمان لعشرة أهل أبيات فيهم القومس فأجابهم إلى ذلك . وكان فى شرطهم أن لا يفرّق بينهم . فأُنزلوا ببغداد على باب الشمّاسيّة . فسَمّوا موضعهم سمالو ، فهو معروف . ويقال بل نزلوا على حكم المهدى فاستحياهم وجمعهم بذلك الموضع ، وأمر (ص ١٧٠) أن يُسمّى سَمالو . وأمر الرشيد فنودى على مَنْ بقى فى الحصن فبيعوا . وأُخذ حَبَشىٌّ كان يشتم الرشيد والمسلمين فصُلِبَ على برج من أبراجه .

٤٤٩ — وحدثنى أحمد بن الحارث الواسطى عن محمد بن سعد ،

عن الواقدى قال : لما كانت سنة ثمانين ومئة أمر الرشيد بابتناء مدينة عين زَرْبَة وتحصينها ، وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل . ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومئة أمر ببناء الهارونيّة ، فبنيت وشُحنت أيضاً بالمقاتلة ومَنْ نزح إليها من المطوّعة ونُسبت إليه . ويقال إنه بناها فى خلافة المهدى ثم أُتمت فى خلافته .

٤٥٠ — قالوا : وكانت الكنيسة السوداء من حجارة سود بناها الروم على وجه الدهر ، ولها حصن قديم أُخرب . فأمر الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها وندب إليها المقاتلة فى زيادة العطاء .

٤٥١ — وأخبرنى بعض أهل الثغرعَزّون بن سعد أنّ الروم أغارت عليها والقاسمُ بن الرشيد مقيم بدابق . فاستاقوا مواشىَ أهلها وأسروا عدة منهم . فنفر إليهم أهل المصِّيصة ومطوّعتها فاستنقذوا جميع ما صار إليهم وقتلوا منهم بشراً ، ورجع الباقون منكو بين مفلولين . فوجّه القاسم من حصّنَ المدينة ورمّها وزاد فى شحنتها . وقد كان المعتصم بالله نقل إلى عين زَرْبَة ونواحيها بشراً من الزُطّ الذين قد كانوا غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة ، فانتفع أهلها بهم .

٤٥٢ — حدثنى أبو صالح الأنطاكى قال : كان أبو اسحاق الفزارى يكره شرى أرضٍ بالثغر ويقول : غلب عليه قوم فى بَدْى الأمر وأجلوا عنه ، فلم يقتسموه وصار إلى غيرهم ، وقد دخلت فى هذا الأمر شبهةٌ العاقلُ حقيقٌ بتركها .

وكانت بالثغر إيغارات قد تحيّفَتْ ما يرتفع من أغشاره حتى قصّرت عن نفقاته ، فأمر المتوكل فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين بإبطال تلك الإيغارات. فأُبطلت (ص ١٧١)

فتـــوح الجزيرة

٤٥٣ — حدثنى داود بن عبد الحميد قاضى الرقّة عن أبيه عن جده ،

عن ميمون بن مِهْران قال : الجزيرة كلها فتوحُ عياض بن غَنْم ، بعد وفاة أبى عبيدة ، ولاّه إياها عمر بن الخطاب ، وكان أبو عبيدة استخلفة على الشام ، فولّى عمرُ بن الخطاب يزيدَ بن أبى سفيان ثم معاوية من بعده الشام وأمر عياضاً بغزو الجزيرة .

٤٥٤ — وحدثنى الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم عن عدّة من الجزريين ،

عن سليمان بن عطاء القرشى قال : بعث أبو عبيدة عياض بن غَنْم إلى الجزيرة ، فمات أبو عبيدة وهو بها ، فولاّه عمر إياها بعد .

٤٥٥ — وحدثنى بكر بن الهيثم قال : حدثنا النُّفَيْلى عبد الله بن محمد قال : حدثنا

سليمان بن عطاء قال : لما فتح عياض بن غَنْم الرُّها ، وكان أبو عبيدة وجّهه ، وقف على بابها على فرس له كُمَيْت . فصالحوه على أنّ لهم هيكلهم وما حوله ، وعلى أنْ لا يُحدثوا كنيسة إلا ما كان لهم ، وعلى معونة المسلمين على عدوهم ، فإن تركوا شيئاً مما شرط عليهم فلا ذمة لهم . ودخل أهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرُّها .

٤٥٦ — وقال محمد بن سعد :

قال الواقدى : أثبتُ ما سمعنا فى أمر عياض أنّ أبا عبيدة مات فى طاعون عَمَوَاس سنة ثمان عشرة واستخلف عياضاً . فورد عليه كتاب عمر بتوليته حمص

وقِنَّسرين والجزيرة . فسار إلى الجزيرة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة ثمان عشرة فى خمسة آلاف ، وعلى مقدمته مَيْسَرَة بن مسروق العبسى ، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حِذْيَم الُجمَحى ، وعلى ميسرته صفوان بن المُعَطَّل السُّلَمى . وكان خالد بن الوليد على ميسرته . ويقال إن خالداً لم يسر تحت لواء أحد بعد (ص ١٧٢) أبى عبيدة ولزم حمص حتى توفى بها سنة إحدى وعشرين ، وأوصى إلى عمر . وبعضهم يزعم أنه مات بالمدينة ، وموته بحمص أثبت .

٤٥٧ — قالوا : فانتهت طليعةُ عِياض إلى الرَّقة فأغاروا على حاضرٍ كان حولها للعرب وعلى قومٍ من الفلاحين فأصابوا مغنما ، وهرب من نجا من أولئك فدخلوا مدينة الرَّقة . وأقبل عياض فى عسكره حتى نزل باب الرُّها ، وهو أحد أبوابها ، فى تعبئة . فرمُى المسلمون ساعة حتى جُرِح بعضهم . ثم إنه تأخر عنهم لئلا تبلغه حجارتهم وسهامهم ، وركب فطاف حول المدينة ووضع على أبوابها روابط ، ثم رجع إلى عسكره وبثَّ السرايا . فجعلوا يأتون بالأسرى من القرى وبالأطعمة الكثيرة ، وكانت الزروع مستحصدة . فلما مضت خمسة أيام أو ستة وهم على ذلك أرسل بَطْرِيقُ المدينة إلى عياض يطلب الأمان . فصالحه عياض على أن آمَن جميع أهلها على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم . وقال عياض : الأرض لنا قد وطئناها وأحرزناها ، فأقرَّها فى أيديهم على الخراج ودفع منها ما لم يُرِدْه أهل الذمة ورفضوه إلى المسلمين على العشر ، ووضع الجزية على رقابهم فألزم كل رجل منهم ديناراً فى كل سنة ، وأخرج النساء والصبيان ، ووظَّف عليهم مع الدينار أقفِزَةً من قمح وشيئاً من زيت وخلٍّ وعسل ، فلما وُلِّى معاويةُ جعل ذلك جزيةً عليهم ، ثم إنهم فتحوا أبواب المدينة وأقاموا للمسلمين سوقا على باب الرُّها ، فكتب لهم عياض :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عياض بن غَنْم أهل الرقّة يوم دخلها . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لا تُخرب ولا تُسكن إذا أعطوا الجزية التى عليهم ولم يحدثوا مغيلة ، وعلى أن لا يُحدثوا كنيسة ولا بيعة ، ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً ولا صليباً . شهد الله وكفى بالله شهيدا » وختم عياض بخاتمه .

ويقال إنّ عياضاً ألزمَ كلَّ حالم من أهل الرقّة أربعة دنانير . والثبت أنّ عمر كتب (ص ١٧٣) بَعْدُ إلى عُمَيْر بن سعد وهو واليه : أن ألزم كلَّ امرىء منهم أربعة دنانير كما ألزم أهل الذهب .

٤٥٨ — قالوا : ثم سار عياض إلى حَرّان فنزل باجُدّى ، وبعث مقدمته . فأغلق أهل حَرّان أبوابها دونهم ، ثم أتبعهم . فلما نزل بها بعث إليه الحَرْنانيّة من أهلها يُعلمونه أنّ فى أيديهم طائفة من المدينة ويسئلونه أن يصير إلى الرُّها ، فما صالحوه عليه من شىء قنعوا به وخلّوا بينه وبين النصارى حتى يصيروا إليه . وبلغ النصارى ذلك فأرسلوا إليه بالرضى بما عرض الحرنانية وبذلوا . فأتى الرُّها وقد جمع له أهلها ، فرموا المسلمين ساعة ، ثم خرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتى ألجأوهم إلى المدينة ، فلم ينشبوا أن طلبوا الصلح والأمان ، فأجابهم عياض إليه وكتب لهم كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عِياض بن غَنْم لأسقف الرُّها . إنكم إن فتحتم لى باب المدينة على أن تؤدّوا إلىّ عن كل رجل ديناراً ومدْيَىْ قمح فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومَنْ تبعكم . وعليكم إرشادُ الضالّ ، وإصلاح الجسورِ ، والطرقِ ، ونصيحةُ المسلمين . شهد الله ، وكفى بالله شهيدا » .

٤٥٩ — وحدثنى داود بن عبد الحميد عن أبيه ،

عن جده أن كتاب عياض لأهل الرُّها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عياض بن غَنْم ومَنْ معه من المسلمين لأهل الرُّها .

إنى أمَّنتهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم إذا أدُّوا الحقَّ الذى عليهم ، ولنا عليهم أن يُصلحوا جسورنا ويهدوا ضالّنا . شهد الله وملائكته والمسلمون . »

قال : ثم أتى عياض حَرّان ووجَّه صَفْوان بن المُعَطَّل وحبيب بن مَسْلَمَة الفهرى إلى سُمَيْساط . فصالح عياض أهل حَرّان على مثل صلح الرُّها ، وفتحوا له أبوابها ، وولّاها رجلاً . ثم سار إلى سُمَيْساط فوجد صَفْوان بن المُعَطَّل وحبيب ابن مَسْلَمَة مقيمين عليها (ص ١٧٤) وقد غلبا على قرى وحصون من قراها وحصونها . فصالحه أهلها على مثل صلح أهل الرُّها . وكان عياض يغزو من الرُّها ثم يرجع إليها .

٤٦٠ — وحدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن معمر ،

عن الزُهرىّ قال : لم يبق بالجزيرة موضعُ قدمٍ إلا فُتح على عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على يد عياض بن غَنْم : فتح حَرّان والرُّها والرقّة وقَرْقيسيا ونَصيبين وسِنْجار .

٤٦١ — وحدثنى محمد عن الواقدى عن عبد الرحمن بن مَسْلَمَة عن فُرات ابن سَلْمان ،

عن ثابت بن الحجّاج قال : فتح عياض الرقّة وحَرّان والرُّها ونَصيبين وميّافارقين وقَرْقيسيا وقُرى الفُرات ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة .

٤٦٢ — وحدثنى محمد عن الواقدى عن ثور بن يزيد ،

عن راشد بن سعد أن عياضاً افتتح الجزيرة ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة .

وقدى رُوى أنّ عياضاً لما أتى حَرّان من الرّقة وجــدها خالية قد انتقل أهلها إلى الرُّها . فلما فُتحت الرُّها صالحوا عن مدينتهم وهم بها . وكان صلحهم مثل صلح الرُّها .

٤٦٣ — وحدثنى أبو أيوب الرقّى المؤدّب قال : حدثنى الحجّاج بن أبى منيع الرصافى عن أبيه ،

عن جده قال : فتح عياضٌ الرقة ثم الرُّها ثم حَرّان ثم سُمَيْساط على صلح واحد . ثم أتى سَرُوج وراسكيفا والأرضَ البيضاء فغلب على أرضها ، وصالح أهل حصونها على مثل الرُّها . ثم إن أهل سُمَيْساط كفروا ، فلما بلغه ذلك رجع إليها ، فحاصرها حتى فتحها . و بلغه أن أهل الرُّها قد نقضوا ، فلما أناخ عليهم فتحوا له أبوات مدينتهم فدخلها وخلّف بها عامله فى جمــاعة . ثم أتى قُرَيَّات الفرات وهى جسر مَنْبِج وذواتها ، ففتحها على ذلك . وأتى عين الوردة ، وهى رأس العين ، فامتنعتْ عليه فتركها . وأتى تلّ (ص ١٧٥) مَوْزِن ففتحها على مثل صلح الرُّها وذلك فى سنة تسع عشرة . ووجّه عياض إلى قرقيسيا حبيبَ ابن مَسْلَمَة الفهرىّ ففتحها صلحاً مثل الرقة ، وفتح عياض آمد بغير قتال على مثل صلح الرُّها . وفتح ميّافارقين على مثل ذلك . وفتح حصن كَفَرْتوثا . وفتح نَصِيبين بعد قتالٍ على مثل صلح الرُّها . وفتح طورَ عَبْدين وحصنَ مارِدِين ودارا على مثل ذلك . وفتح قَرْدى وبازَبْدى على مثل صلح نَصِيبين . وأتاه بَطريق الزّوَزان فصالحه عن أرضه على أتاوة ، وكل ذلك فى سنة تسع عشرة وأيام من المحرم سنة عشرين . ثم سار إلى أرْزَن ففتحها على مثل صلح نَصِيبين . ودخل

الدرب فبلغ بَدْليس، وجازها إلى خِلاط وصالح بطريقها، وانتهى إلى العين الحامضة من أرمينية فلم يعدُها . ثم عاد فضمَّن صاحب بَدْليس خراج خِلاط وجماجمها ، وما على بَطريقها . ثم إنه انصرف إلى الرقّة ومضى إلى حِمْص ، وقد كان عمر ولاّه إياها ، فمات سنة عشرين .

وولّى عمرُ سعيدَ بن عامر بن حِذْيم فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات . فولّى عمرُ عُمَيْر بن سعد الأنصارى ، ففتح عين الوردة بعد قتال شديد .

٤٦٤ — وقال الواقدى حدثنى من سمع اسحاق بن أبي فروة يحدث

عن أبى وهب الجَيْشانى دَيْلَم بن الموسَّع أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى عياض يأمره أن يوجِّه عُمَيْر بن سعد إلى عين الوَرْدَة ، فوجّهه إليها . فقدّم الطلائع أمامه ، فأصابوا قوماً من الفلاحين ، وغنموا مواشىَ من مواشى العدوّ . ثم إن أهل المدينة غلّقوا أبوابها ونصبوا العَرّادات عليها ، فقُتل من المسلمين بالحجارة والسهام بشرٌ ، وأطلع عليهم بَطريقٌ من بطارقتها فشتمهم وقال : لسنا كمن لقيتم . ثم إنها فُتحت بَعْدُ على صلح .

٤٦٥ — حدثنى عمرو بن محمد عن الحجاج بن أبى منيع عن أبيه ،

عن جده قال : امتنعت رأس العين على عياض بن غَنم ففتحها عُمَيْرُ بن سعد ، وهو والى عمر على الجزيرة ، بعدَ أن قاتل (ص ١٧٦) أهلُها المسلمين قتالاً شديداً . فدخلها المسلمون ، عنوةً ثمَ صالحوهم بعد ذلك على أن دُفعت الأرض إليهم ووُضعت الجزية على رؤوسهم على كل رأس أربعةُ دنانير ، ولم تُسْبَ نساؤهم ولا أولادهم .

وقال الحجّاج : وقد سمعت مشايخ من أهل رأس العين يذكرون أن عُميراً لما دخلها قال لهم : لا بأس لا بأس ، إلىّ إلىّ . فكان ذلك أماناً لهم .

وزعم الهيثم بن عدىّ أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث أبا موسى الأشعرى إلى عين الوَرْدَه فغزاها بجند الجزيرة بعد وفاة عياض . والثبت أن عُميراً فتحها عنوةً فلم تُسْبَ ، وجعل عليهم الخراج والجزية ، ولم يقل هذا أحد غير الهيثم .

وقال الحجّاج بن أبى مَنيع : جلا خلقٌ من أهل رأس العين واعتمل المسلمون أراضيهم وازدرعوها بإقطاع .

٤٦٦ — وحدثنى محمد بن المفضل الموصلى ،

عن مشايخ من أهل سِنْجار قالوا : كانت سِنْجار فى أيدى الروم . ثم إن كسرى المعروف بأَبَرْوِيز أراد قتلَ مئة رجلٍ من الفرس كانوا حُملوا إليه بسبب خلافٍ ومعصية . فكُلِّم فيهم فأمر أن يوجَّهوا إلى سِنْجار ، وهو يومئذ يُعانى فتحها . فمات منهم رجلان ، ووصل إليها ثمانية وتسعون رجلاً ، فصاروا مع المقاتلة الذين كانوا بإزائها ، ففتحوها دونهم وأقاموا بها وتناسلوا . فلما انصرف عياض من خِلاط وصار إلى الجزيرة بعث إلى سِنْجار ففتحها صلحاً وأسكنها قوماً من العرب . وقد قال بعض الرواة : إن عياضا فتح حصناً من الموصل وليس ذلك بثبت .

٤٦٧ — قال ابن الكلبى : عُمَيْرُ بن سعد عامل عمر هو عُمير بن سعد بن شُهَيْد بن عمرو أحد الأوس . وقال الواقدى : هو عمير بن سعد بن عبيد . وقُتل أبوه سعد يوم القادسية . وسعد هذا هو الذى يروى الكوفيّون أنه أحد مَنْ جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤٦٨ — قال الواقدى : وقد روى قوم أن خالد بن الوليد وَلى لعمر بعض الجزيرة ، فاطَّلى فى حمامٍ بآمد (ص ١٧٧) أو غيرِها بشىء فيه خمر ، فعزله عمر . وليس ذلك بثبت .

٤٦٩ — وحدثنى عمرو الناقد قال : حدثنى الحجاج بن أبى منيع عن أبيه عن جده ، عن ميمون بن مِهْران قال : أخذ الزيت والخلّ والطعام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدة ، ثم خفّف عنهم واقتصر بهم على ثمانية وأربعين درهماً وأربعة وعشرين واثنا عشر نَظَراً من عمر للناس . وكان على كل إنسان مع جزيته مدّا قمحٍ وقسطان من زيت وقسطان من خل .

٤٧٠ — وحدثنى عِدّةٌ من أهل الرقّة قالوا : لما مات عياض وولى الجزيرة سعيد بن عامر بن حِذْيَم بنى مسجد الرّقة ومسجد الرُّها . ثم توفى فبنى المساجد بديار مُضَر وديار ربيعة عُمير بن سعد .

ثم لمـا وُلّى معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفان رضى الله عنه أمره أن يُنزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ، ويأذن لهم فى اعتمال الأرضين التى لا حقّ فيها لأحد . فأنزل بنى تميم الرابية ، وأنزل المازحين والمُدَيبِر أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم ، وفعل ذلك فى جميع نواحى ديار مضر ، ورتّب ربيعـة فى ديارها على ذلك ، وألزم المدن والقرى والمسالح مَنْ يقوم بحفظها ويذبّ عنها من أهل العطاء ، ثم جعلهم مع عماله .

٤٧١ — وحدثنى أبو حفص الشامى ، عن حماد بن عمرو النّصيبى قال : كتب عامل نَصيبين إلى معاوية ،

وهو عامل عثمان على الشام والجزيرة ، يشكو إليه أنّ جماعةً من المسلمين ممن معه أُصيبوا بالعقارب . فكتب إليه يأمره أن يوظّف على أهل كل حيز من المدينة عدة من العقارب مسماة فى كل ليلة . ففعل ، فكانوا يأتونه بها فيأمر بقتلها .

٤٧٢ — وحدثنى أبو أيوب المؤدب الرقى عن أبى عبد الله القرقسانى ، عن أشياخه أنّ عُمَيْرَ بن سعد لما فتح رأس العين سلك الخابور وما يليه حتى أتى قَرْقِيسِيا وقد نقض أهلها ، فصالحهم على مثل (ص ١٧٨) صلحهم الأول . ثم أتى حصون الفرات حصناً حصناً ففتحها على ما فُتحت عليه قَرْقِيسِيا ولم يلق فى شىء منها كثير قتال . وكان بعضُ أهلها ربما رموا بالحجارة . فلما فرغ من تلبس (كذا) وعانات أتى النّاؤسة وآلوسَة وهِيت ، فوجد عمّار بن ياسر ، وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب على الكوفة ، وقد بعث جيشاً يستغزى ما فوق الأنبار ، عليه سعد بن عمرو بن حَرَام الأنصارى ، وقد أتاه أهل هذه الحصون فطلبوا الأمان . فأمّنهم واستثنى على أهل هِيت نصف كنيستهم . فانصرف عُمَيْرٌ إلى الرّقة .

٤٧٣ — وحدثنى بعض أهل العلم قال : كان الذى توجّه إلى هِيت والحصون التى بعدها من الكوفة مِدْلاجُ بن عمرو السُّلمى ، حليف بنى عبد شمس وله صحبة ، فتولّى فتحها . وهو بنى الحَدِيثة التى على الفُرات . وولده بهيت ، وكان منهم رجل يكنى أبا هارون باقى الذكر هناك . ويقال إنّ مِدْلاجاً كان من قِبل سعد ابن عمرو بن حَرام . والله أعلم .

٤٧٤ — قالوا : وكان موضع نهر سعيد بن عبد الملك بن مروان — وهو الذى يقال له سعيد الخير وكان يُظهر نسكاً — غيضة ذات سباع . فأقطعه إياها الوليد . فحفر النهر وعمر ما هناك . وقال بعضهم : الذى أقطعه ذلك عمر بن عبد العزيز .

٤٧٥ — قالوا : ولم يكن للرافقة أثر قديم ، إنما بناها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله سنة خمس وخمسين ومئة على بناء مدينته ببغداد ، ورتّب فيها جنداً من أهل خراسان . وجرت على يدى المهدى ، وهو ولىّ عهد . ثم إنّ الرشيد بنى قصورها فكان بين الرّقة والرافقة فضاء مزارع . فلما قدم علىّ بن سليمان ابن علىّ والياً على الجزيرة نقل أسواق الرّقة إلى تلك الأرض ، فكان سوق الرّقة الأعظم فيما مضى يُعرف بسوق هشام العتيق . ثم لما قدم الرشيد الرّقة استزاد فى تلك الأسواق ، فلم تزل تجبى مع الصوافى .

وأما رُصافة (ص ١٧٩) هشام فإنّ هشام بن عبد الملك أحدثها ، وكان ينزل قبلها الزيتونة . وحفر الهنىّ والمرىّ ، واستخرج الضيعة التى تُعرف بالهنىّ والمرىّ ، وأحدث فيها واسط الرقة . ثم إنّ تلك الضيعة قُبضت فى أول الدولة . ثم صارت لامّ جعفر زُبَيْدَة بنت جعفر بن المنصور ، فابتنت فيها القطيعة التى تُنسب إليها وزادت فى عمارتها .

ولم يكن للرحبة التى فى أسفل قَرْقِيسِيا أثر قديم ، إنما بناها وأحدثها مالكُ ابن طَوْق بن عتّاب التغلبى فى خلافة المأمون .

وكانت أذْرَمَة من دِيار ربيعة قريةً قديمة ، فأخذها الحسن بن عمرو بن الخطاب التغلبى من صاحبها و بنى بها قصراً وحصّنها .

وكانت كَفَرْتوثا حصناً قديماً ، فاتخذها ولد أبى رِمْثَة منزلاً فمدّنوها وحصّنوها .

٤٧٦ — حدثنى معافى بن طاووس ،

عن أبيه قال : سألت المشايخ عن أعشار بَلَد وديار ربيعة والبَدِيَّة فقال : هى أعشار ما أسلمت عليه العرب أو عمرته من الموات الذى ليس فى يد أحد ، أو رفضه النصارى فمات وغلب عليها الدغل فأقطعه العرب .

٤٧٧ — حدثنى أبو عفان الرقى ،

عن مشايخ من كتّاب الرّقة وغيرهم قالوا : كانت عينُ الروميّة وماؤها للوليد ابن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط ، فأعطاها أبا زُبيد الطائى . ثم صارت لأبى العباس أمير المؤمنين فأقطعها ميمون بن حمزة مولى علىّ بن عبد الله بن عباس . ثم ابتاعها الرشيد من ورثته . وهى من أرض الرّقة .

٤٧٨ — قالوا : وكان ابن هُبيرة أُقطع غابة ابن هُبيرة ، فقُبضت وأُقطعها بشرُ بن ميمون صاحب الطاقات ببغداد بناحية باب الشام . ثم ابتاعها الرشيد . وهى من أرض سَروج .

وكان هشام أقطع عائشة ابنته قطيعةً برأس كيفا تُعرف بها ، فقُبضت .

وكانت لعبد الملك وهشام قرية تُدعى سَلَعُوس ونصف قرية (ص ١٨٠) تدعى كَفَرْجَدّا من الرُّها .

وكانت بحرّان للغَمْر بن يزيد تلّ عفراء ، وأرض تلّ مذابا (كذا) وأرض المصلّى ، وصوافى فى ربض حرّان ومستغلاتها .

وكان مرجُ عبد الواحد حمى المسلمين قبل أن تُبنى الحدَث وزِبَطْرَة ، فلما

بُنيتا استغُنىَ بهما فعُمِرَ ، فضمّه الحسين الخادم إلى الأحواز فى خلافة الرشيد . ثم توثّب الناسُ عليه فغلبوا على مزارعه ، حتى قدم عبد الله بن طاهر الشام فردّه إلى الضياع .

وقال أبو أيوب الرقى : سمعتُ أنّ عبــد الواحد الذى نُسب المرج إليه عبدُ الواحد بن الحارث بن الحـكم بن أبى العاصى ، وهو ابن عمّ عبد الملك ، كان المرج له فجعله حمى للمسلمين . وهو الذى مدحه القَطامىّ فقال :

أهلُ المدينة لا يَحْزُنْكَ شأنهمُ   إذا تخطأ عبدَ الواحد الأجَلُ

أمر نصارى بنى تَغْلِب بن وائل

٤٧٩ — حدثنا شيبان بن فرّوخ قال : حدثنا أبو عَوانة عن المغيرة ،

عن السفّاح الشيبانى أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بنى تَغْلِب فانطلقوا هاربين ، ولحقت طائفة منهم ببُعْدٍ من الأرض. فقال النعمان بن زُرْعة أو زُرْعة بن النعمان : أنشدك الله فى بنى تغلب ! فإنهم قوم من العرب يأنفون من الجزية ، وهم قومٌ شديدة نكايتهم فلا تُعِن عدوّك عليك بهم . فأرسل عمر فى طلبهم فردّهم وأضعف عليهم الصدقة .

٤٨٠ — حدثنا شيبان قال : حدثنا عبد العزيز بن مسلم قال : حدثنا ليث عن رجل عن سعيد بن جبير ،

عن ابن عباس قال : لا تُؤكل ذبائح نصارى بنى تَغْلِب ولا تُنكحُ (ص ١٨١) نساؤهم . ليسوا منّا ولا من أهل الكتاب .

٤٨١ — حدثنا عباس بن هشام عن أبيه ،

عن عَوانة بن الحكم وأبى مِخْنَف قالا : كتب عُمَيْر بن سعد إلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يُعلمه أنه أتى شِقّ الفرات الشامىّ ، ففتح عانات وسائر حصون الفرات ، وأنه أراد مَنْ هناك من بنى تغلب على الإسلام فأبوه وهمّوا باللّحاق بأرض الروم . وقبلهم أراد مَنْ فى الشِقّ الشرقى على ذلك فامتنعوا منه وسألوه أن يأذن لهم فى الجلاء ، واستطلع رأيه فيهم . فكتب إليه عمر رضى الله عنه يأمره أن يُضعِف عليهم الصدقة التى تُؤخذ من المسلمين فى كل سائمة وأرض ، وإن أَبوا ذلك حارَبْهم حتى تبيدهم أو يُسلموا . فقبلوا

أن يُؤخذ منهم ضعف الصدقة وقالوا : أما إذ لم تكن جزية كجزية الأعلاج فإنّا نرضى ونحفظ ديننا .

٤٨٢ — حدثنى عمرو الناقد قال : حدثنى أبو معاوية عن الشيبانى عن السفّاح ،

عن داود بن كُرْدوس قال : صَالح عمرُ بن الخطاب بنى تَغْلِب ، بعد ما قطعوا الفرات وأرادوا اللحاق بأرض الروم ، على أن لا يصبغوا صبياً ولا يكرهوه على دينهم ، وعلى أنّ عليهم الصدقة مضعّفة .

قال : وكان داود بن كُرْدوس يقول : ليست لهم ذمة لأنهم قد صبغوا فى دينهم ، يعنى المعمودية .

٤٨٣ — فحدثنى الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك عن يونس ابن يزيد الأيلى ،

عن الزهرى قال : ليس فى مواشى أهل الكتاب صدقة ، إلاّ نصارى بنى تغلب ، أو قال نصارى العرب ، الذين عامة أموالهم المواشى ، فإنّ عليهم ضعفَ ما على المسلمين .

٤٨٤ — حدثنا سعيد بن سليمان سعدويه حدثنا هُشيم عن مغيرة عن السفاح بن المثنى ،

عن زُرْعة بن النعمان أنه كان كلّم عمر فى نصارى بنى تَغْلِب وقال : قوم عرب يأنفون من الجزية ، وإنما هم أصحاب حروث ومواش . وكان عمر قد همّ أن يأخذ الجزية منهم فتفرّقوا فى البلاد . فصالحهم على أن أضعف عليهم (ص ١٨٢) ما يؤخذ من المسلمين من صدقاتهم فى الأرض والماشية ، واشترط عليهم أن لا يُنَصِّروا أولادهم .

قال مغيرة : فكان علىّ عليه السلام يقول: لئن تفرّغتُ لبنى تَغْلِب ليكوننّ لى فيهم رأى . لأقتلنّ مقاتلتهم ولأسبينّ ذريتهم ، فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة حين نصّروا أولادهم .

٤٨٥ — وحدثنى أبو نصر التمار قال : حدثنا شريك بن عبد الله عن إبراهيم ابن مهاجر ،

عن زياد بن حُدَيْر الأسدى قال : بعثنى عمر إلى نصارى بنى تغلب آخذ منهم نصف عشر أموالهم ، ونهانى أن أعشّر مسلماً أو ذِمّياً يؤدى الخراج .

٤٨٦ — حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن ابن أبى سبرة عن عبد الملك بن نوفل ،

عن محمد بن إبراهيم بن الحارث أنّ عثمان أمر أن لا يقبل من بنى تغلب فى الجزية إلا دهيك الذهب والفضة . فجاءه الثبت أن عمر أخذ منهم ضعف الصدقة . فرجع عن ذلك .

قال الواقدى : وقال سفيان الثورى ، والأوزاعى ، ومالك بن أنس ، وابن أبى ليلى ، وابن أبى ذئب ، وأبو حنيفة ، وأبو يوسف : يؤخذ من التغلبى ضعف ما يؤخذ من المسلم فى أرضه وماشيته وماله . فأما الصبى والمعتوه منهم فإنّ أهل العراق يَرَوْن أن يؤخذ ضعف الصدقة من أرضه ولا يأخذون من ماشيته شيئاً . قال أهل الحجاز : يؤخذ ذلك من ماشيته وأرضه . وقالوا جميعاً : إنّ سبيل ما يؤخذ من أموال بنى تغلب سبيلُ مال الخراج لأنه بدلٌ من الجزية.

الثغور الجزريّة

٤٨٧ — قالوا : لما استُخلف عثمان بن عفّان رضى الله عنه كتب إلى معاوية بولايته الشام . وولّى عُمَيْر بن سعد الأنصارى الجزيرة ثم عزله . وجمع لمعاوية الشام (ص ١٨٣) والجزيرة وثغورها ، وأمره أن يغزو شِمْشاط ، وهى أرمينية الرابعة ، أو يُغزيها . فوجّه إليها حبيب بن مَسْلَمَة الفِهرى وصفوانَ بن مُعَطَّل السُّلَمى ففتحاها بعد أيام من نزولهما عليها على مثل صلح الرُّها . وأقام صفوان بها ، وبها توفى فى آخر خلافة معاوية . ويقال بل غزاها معاوية نفسه ، وهذان معه . فولاّها صفوانَ فأوطنها وتوفى بها .

٤٨٨ — قالوا : وقد كان قُسطنطين الطاغية أناخ عليها بعد نزوله فى مَلَطْيَة فى سنة ثلاث وثلاثين ومئة ، فلم يمكنه فيها شىء فأغار على ما حولها ، ثم انصرف . ولم تزل شِمْشاط خراجيةً حتى صيّرها المتوكل على الله رحمه الله عُشرية أسوةَ غيرِها من الثغور .

٤٨٩ — وقالوا : غزا حبيب بن مَسْلَمَة حصن كَمْخ بعد فتح شِمْشاط ، فلم يقدر عليه . وغزاه صفوان فلم يمكنه فتحه . ثم غزاه فى سنة تسع وخمسين ، وهى السنة التى مات فيها ومعه عُمَيْر بن الحُباب السُّلمى . فعلا عُمير سوره ولم يزل يجالد عليه وحده حتى كشف الروم وصعد المسلمون ، ففتحه لعُمير بن الحُباب ، وبذلك كان يَفْخَرُ ويُفخَرُ له .

ثم إن الروم غلبوا عليه ففتحه مَسْلَمَة بن عبد الملك . ولم يزل يُفتح وتغلب الروم عليه . فلما كانت سنة تسع وأربعين ومئة شخص المنصور عن بغداد

حتى نزل حديثة الموصل ، ثم أغزى منها الحسن بن قَحْطَبة و بعــده محمد ابن الأشعث ، وجعل عليهما العباس بن محمد وأمره أن يغزو بهم كَمْخ . فمات محمد ابن الأشعث بآمِد ، وسار العباس والحسن حتى صارا إلى مَلَطْية فحملا منهـا الميرة ثم أناخا على كَمْخ ، وأمر العباس بنصب المنجنيق عليه ، فجعلوا على حصنهم خشب العرعر لئلا تضرّ به حجارة المنجنيق ، ورموا المسلمين فقتلوا منهم بالحجارة مائتى زجل ، فاتخذ المسلمون الدبابات وقاتلوا قتالاً (ص ١٨٤) شديداً حتى فتحوه ، وكان مع العباس بن محمد بن علىّ فى غزاته هذه مَطَر الورّاق . ثم إن الروم أغلقوا كَمْخ . فلما كانت سنة سبع وسبعين ومئة غزا محمد بن عبــد الله ابن عبد الرحمن بن أبى عَمْرَة الأنصارى ، وهو عامل عبد الملك بن صالح على شِمْشاط ، ففتحه ودخله لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة . فلم يزل مفتوحاً حتى كان هَيْجُ محمد بن الرشيد ، فهرب أهله وغلبت عليه الروم . ويقال إن عبيد الله بن الأقطع دفعه إليهم وتخلّص ابنه ، وكان أسيراً عندهم . ثم إن عبــد الله بن طاهر فتحه فى خلافة المأمون فــكان فى أيدى المسلمين ، حتى لطف قوم من نصارى شِمْشاط وقاليقلا و بِقْـراط بن أشُوط بَطْريق خِلاط ، فى دفعه إلى الروم والتقرُّب إليهم بذلك بسبب ضياعٍ لهم فى عمل شِمْشاط .

مَلَطْيَـــة

٤٩٠ — وقالوا : وجّه عياضُ بن غَنْم حبيبَ بن مَسْلمة الفهرى من شِمْشاط إلى مَلَطْيَة ففتحها ، ثم أُغلقت . فلما وُلّى معاوية الشامَ والجزيرةَ وجّه إليها حبيبَ بن مَسْلَمة ففتحها عنوةً ، ورتّب فيها رابطةً من المسلمين مع عاملها. وقدِمها معاوية وهو يريد دخول الروم فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرها ، فكانت طريقَ الصوائف . ثم إن أهلها انتقلوا عنها فى أيام عبد الله ابن الزبير ، وخرجت الروم فشعّثتها ثم تركتها . فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط .

٤٩١ — وحدثنى محمد بن سعد ،

عن الواقدى فى اسناده قال : كان المسلمون نزلوا طُرَنْدَة بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ثلاث وثمانين ، و بنوا بها مساكن . وهى من مَلَطْيَة على ثلاث مراحل واغلة فى بلاد الروم . ومَلَطْيَة يومئذ خراب ليس بها إلا ناسٌ من أهل الذمة من الأرمن وغيرهم . فكانت تأتيهم طالعة من جند الجزيرة فى الصيف ، فيقيمون بها إلى أن ينزل الشتاء وتسقط الثلوج ، فإذا كان ذلك قفلوا . فلما (ص١٨٥) وُلّى عمرُ بن عبد العزيز رضى الله عنه رحّل أهل طُرَنْدَة عنها وهم كارهون ، وذلك لإشفاقه عليهم من العدوّ ، واحتملوا فلم يدعوا لهم شيئاً حتى كسروا خوابى الخل والزيت ، ثم أنزلهم مَلَطْيَة وأخرب طُرَنْدَة ، وولّى على مَلَطْيَة جَعْوَنة بن الحارث أحد بنى عامر ابن صَعْصَعَة .

٤٩٢ — قالوا : وخرج عشرون ألفاً من الروم فى سنة ثلاث وعشرين ومئة

فنزلوا على مَلَطْيَة . فأغلق أهلها أبوابها ، وظهر النساء على السور عليهن العمائم فقاتلن . وخرج رسول لأهل مَلَطْيَة مستغيثاً . فركب البريد وسار حتى لحق بهشام بن عبد الملك وهو بالرُّصافة . فندب هشام الناس إلى مَلَطْيَة . ثم أتاه الخبر بأنّ الروم قد رحلت عنها ، فدعا الرسول فأخبره وبعث معه خيلاً ليرابط بها . وغزا هشام نفسه ، ثم نزل مَلَطْيَة وعسكر عليها حتى بنيت ، فكان ممرّه بالرقة ، دخلها متقلداً سيفاً ولم يتقلده قبل ذلك فى أيامه .

٤٩٣ — قال الواقدى : لما كانت سنة ثلاث وثلاثين ومئة أقبل قُسطنطين الطاغية عامداً لِمَلَطْيَة ، وكَمْخ يومئذ فى أيدى المسلمين وعليها رجل من بنى سُلَيْم . فبعث أهلُ كَمْخ الصريخ إلى أهل مَلَطْيَة . فخرج إلى الروم منهم ثمانى مئة فارس ، فواقعتهم خيل الروم فهزمتهم . ومال الرومى فأناخ على مَلَطْيَة فحصر مَنْ فيها ، والجزيرة يومئذ مفتونة ، وعاملها موسى بن كعب بحرّان . فوجّهوا رسولاً لهم إليه فلم يمكنه إغاثتهم . وبلغ ذلك قسطنطين فقال لهم : يا أهل ملطية ! إنى لم آتكم إلا على علم بأمركم وتشاغلِ سلطانكم . انزلوا على الأمان واخلوا المدينة وأُخربها وأمضى عنكم . فأبوا عليه ، فوضع عليها المجانيق . فلما جهدهم البلاء واشتد عليهم الحصار سألوه أن يوثق لهم ففعل . ثم استعدوا للرحلة وحملوا ما استدق لهم ، وألقوا كثيراً مما ثقل عليهم فى الآبار والمخابى ، ثم خرجوا . وأقام لهم الروم صفّين من باب المدينة إلى منقطع آخرهم مخترطى السيوف ، طرف سيف كل واحد منهم (ص١٨٦) مع طرف سيف الذى يقابله حتى كأنها عقد قنطرة ، ثم شيّعوهم حتى بلغوا مأمنهم وتوجّهوا نحو الجزيرة فتفرقوا فيها . وهدم الروم مَلَطْيَة فلم يُبقْوا منها إلا هُرْياً ، فإنهم شعّثوا منه شيئاً يسيراً ، وهدموا حصن قَلُوذِية .

فلما كانت سنة تسع وثلاثين ومئة كتب المنصور إلى صالح بن علىّ يأمره ببناء مَلَطْيَة وتحصينها . ثم رأى أن يوجِّه عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والياً على الجزيرة وثغورها ، فتوجّه فى سنة أربعين ومئة ومعه الحسن قَحْطَبَة فى جنود أهل خراسان . فقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة ، فتوافى معه سبعون ألفاً . فعسكر على مَلَطْيَة وقد جمع الفَعَلَة من كل بلد فأخذ فى بنائها .وكان الحسن بن قَحْطَبَة ربما حمل الحجر حتى يناوله البَنَّاء . وجعل يُغَدِّى الناس وَيُعَشِّيهم من ماله مبرزاً مطابخه . فغاظ ذلك عبد الوهاب فكتب إلى أبى جعفر يُعلمه أنه يُطعم الناس ، وأنّ الحسن يُطعم أضعافَ ذلك التماساً لأن يطوله ويفسد ما يصنع ويهجّنه بالاسراف والرياء ، وأنّ له منادين ينادون الناس إلى طعامه . فكتب إليه أبو جعفر : ياصبى ! يُطعم الحسن من ماله ، وتُطعم من مالى. ما أُتيتَ إلاّ من صِغَرِ خطرك وَقِلّةِ همّتك وسَفَه رأيك . وكتب إلى الحسن: أطْعِم ولا تتخذ منادياً . فكان الحسن يقول : مَنْ سبق إلى شرفة فله كذا . فجدّ الناس فى العمل حتى فرغوا من بناء مَلَطْيَة ومسجدها فى ستة أشهر ، وبنى للجند الذين أسكنوها لكلِ عِرافةٍ بيتان سفليّان وعُلِّيّتان فوقهما واصطبل ، والعرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلا . وبنى لها مَسْلَحة على ثلاثين ميلاً منها ، ومسلحة على نهر يدعى قُبَاقِب يدفع فى الفرات . وأسكن المنصور مَلَطْيَة أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم ، على زيادة عشرة دنانير فى عطاء كل رجل ومعونة مئة دينار ، سوى (ص ١٨٧) الجعل الذى يتجاعله القبائل بينها . ووضع فيها شحنتها من السلاح ، وأقطع الجند المزارع ، وبنى حصن قَلوذِية . وأقبل قسطنطين الطاغية فى أكثر من مئة ألفٍ فنزل جَيْحان ، فبلغه كثرةُ العرب فأحجم عنها .

٤٩٤ — وسمعت من يذكر أنه كان مع عبد الوهاب فى هذه الغزاة نصر بن مالك الخزاعى ونصر بن سعد الكاتب مولى الأنصار . فقال الشاعر :

تــكَنَّفك النصران نَصْرُ بن مالكٍ ونصرُ بن سعدٍ عزّ نصرُك من نصرِ

وفى سنة إحدى وأربعين ومئة أغزى محمد بن إبراهيم مَلَطْيَةَ فى جند من أهل خراسان وعلى شرطته المسيَّب بن زُهير. فرابط بها لئلا يطمع فيها العدو، فتراجع إليها من كان باقياً من أهلها . وكانت الروم عرضت لمَلَطْيَةَ فى خلافة الرشيد فلم تقدر عليها ، وغزاهم الرشيد رحمه الله فأشجاهم وقمعهم .

٤٩٥ — وقالوا : وجّه أبو عبيدة بن الجرّاح وهو بمَنبِج خالدَ بن الوليد إلى ناحية مَرْعَش ، ففتح حصنها على أن جلا أهله ثم أخرب به . وكان سفيان بن عَوْف الغامدى لما غزا الروم فى سنة ثلاثين رحل من قبل مَرْعَش فساح فى بلاد الروم . وكان معاوية بنى مدينة مَرْعَش وأسكنها جنداً ، فلما كان موت يزيد بن معاوية كثُرت غارات الروم عليهم فانتقلوا عنها . وصالح عبد الملك الروم بعد موت أبيه مروان بن الحكم وطلبه الخلافة على شىء كان يؤدّيه إليهم . فلما كانت سنة أربع وسبعين غزا محمد بن مروان الروم وانتقض الصلح .

ولما كانت سنة خمس وسبعين غزا الصائفة أيضاً محمد بن مروان . وخرجت الروم فى جمادى الأولى من قبل مَرْعَش إلى الأعماق . فزحف إليهم المسلمون وعليهم أبان بن الوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيْط ، ومعه دينار بن دينار مولى عبد الملك بن مروان ، وكان على قِنّسرين وكورها . فالتقوا بعمق مَرْعَش ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت الروم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون . وكان دينار لقى فى هــذا العام (ص ١٨٨) جماعة من الروم بجسر يَغْرا ، وهو من شِمْشاط على نحوٍ من عشرة أميال ، فظفر بهم . ثم إن العباس بن الوليد بن عبد الملك صار إلى مَرْعَش فعمرها وحصّنها ونقل الناس إليها ، وبنى لها مسجداً جامعاً . وكان يُقطع فى كل عام على أهل قِنَّسرين بعثاً إليها .

فلما كانت أيام مروان بن محمد وشغل بمحاربة أهل حمص خرجت الروم وحصرت مدينة مَرْعَش حتى صالحهم أهلها على الجلاء ، فخرجوا نحو الجزيرة وجند قِنَّسرين بعيالاتهم ، ثم أخربوها . وكان عامل مروان عليها يومئذ الكوثر بن زُفر بن الحارث الكلابى . وكان الطاغية يومئذ قسطنطين بن اليون. ثم لما فرغ مروان من أمر حمص وهدم سورها بعث جيشاً لبناء مَرْعَش فبُنيت ومُدِّنت . فخرجت الروم فى فتنته فأخربتها ، فبناها صالح بن علىّ فى خلافة أبى جعفر المنصور وحصّنها وندب الناس اليها على زيادة العطاء . واستُخلف المهدىّ فزاد فى شحنتها وقوّى أهلها .

٤٩٦ — حدثنى محمد بن سعد ،

عن الواقدى قال : خرج ميخائيل من درب الحَدَث فى ثمانين ألفاً ، فأتى عمق مَرْعَش ، فقتل وأحرق وسبى من المسلمين خلقاً ، وصار إلى باب مدينة مَرْعَش وبها عيسى بن علىّ ، وكان قد غزا فى تلك السنة ، فخرج اليه موالى عيسى وأهل المدينة ومقاتلتهم فرشقوه بالنبل والسهام، فاستطرد لهم حتى إذا نحّاهم عن المدينة كرّ عليهم فقتل من موالى عيسى ثمانية نفر ، واعتصم الباقون بالمدينة فأغلقوها فحاصرهم بها . ثم انصرف حتى نزل جَيحان . و بلغ الخبر ثُمامة بن الوليد العبسى وهو بدابق ، وكان قد وُلِّى الصائفة سنة إحدى وستين ومئة ، فوجّه اليه خيلاً كثيفة فأصيبوا إلاّ مَنْ نجا منهم ، فأحفظ ذلك المهدى ، واحتفل لإغزاء الحسن بن قَحْطَبَة فى العام المقبل وهو سنة اثنتين وستين ومئة .

٤٩٧ — قالوا : وكان حصن الحَدَث مما فتح أيام عمر ، فتحه حبيب بن مَسْلَمَة من قبل عياض بن غَنْم . وكان معاوية يتعهده (ص ١٨٩) بعد ذلك

وكان بنو أمية يسمون درب الحَدَث السلامة للطّيرة ، لأن المسلمين كانوا أُصيبوا به فكان ذلك الحَدَث فيما يقول بعض الناس .

وقال قوم : لقى المسلمين غلامٌ حَدَث على الدرب فقاتلهم فى أصحابه ، فقيل درب الحَدَث .

ولما كان زمن فتنة مروانِ بن محمد خرجت الروم فهدمت مدينة الحَدَث وأجلت عنها أهلها كما فعلت بملطية . ثم لما كانت سنة إحدى وستين ومئة خرج ميخائيل إلى عمق مَرْعَش ، ووجّه المهدى الحسنَ بن قَحْطَبَة ساح فى بلاد الروم فثَقُلَتْ وطأته على أهلها حتى صوّروه فى كنائسهم . وكان دخوله من درب الحَدَث ، فنظر إلى موضع مدينتها فأُخبر أنَّ ميخائيل خرج منه ، فارتاد الحسنُ موضع مدينته هناك ، فلما انصرف كلّم المهدى فى بنائها و بناء طَرَسُوس ، فأمر بتقديم بناء مدينة الحَدَث . وكان فى غزاة الحسن هذه مَنْدَل العَنَزِى المحدِّث الكوفى ، ومُعْتَمِر بن سليمان البصرى ، فأنشأها علىٌّ بن سليمان بن على وهو على الجزيرة وقِنَّسرين ، وسُميت المحمّدية ، وتوفى المهدى مع فراغهم من من بنائها فهى المهدية والمحمّدية . وكان بناؤها باللّبن ، وكانت وفاته سنة تسع وستين ومئة . واستخلف موسى الهادى ابنه فعزل علىَّ بن سليمان ووَلَّى الجزيرة وقِنّسرين محمدَ بن ابراهيم بن محمد بن على . وقد كان على بن سليمان فرغ من بناء مدينة الحَدَث ، وفرض محمدٌ لها فرضاً من أهل الشام والجزيرة وخراسان فى أربعين ديناراً من العطاء ، وأقطعهم المساكن ، وأعطى كل امرىء ثلاثمئة درهم . وكان الفراغ منها فى سنة تسع وستين ومئة . وقال أبو الخطاب : فرض على بن سليمان بمدينة الحَدَث لأربعة آلاف فأسكنهم إياها ، ونقل اليها من ملطية وشِمْشاط وكَيْسُوم ودُلُوك ورَعْبان ألفى رجل .

٤٩٨ — قال الواقدى : ولما بُنيت مدينة الحَدَث هجم الشتاء والثلوج وكثُرت الأمطار ، (ص ١٩٠) ولم يكن بناؤها بمستوثَق منه ولا محتاط فيه ، فتثلّمت المدينة وتشعّثت ونزل بها الروم ، فتفرّق عنها مَنْ كان فيها من جندها وغيرهم . و بلغ الخبر موسى فقطع بعثاً مع المُسَيِّب بن زُهير و بعثاً مع رَوْح بن حاتم و بعثاً مع حمزة بن مالك فمات قبل أن ينفذا . ثم وُلِّي الرشيد الخلافة فأمر ببنائها وتحصينها وشحنتها و إقطاع مقاتلتها المساكن والقطائع .

٤٩٩ — وقال غير الواقدى : أناخ بَطريقٌ من عظماء بطارقة الروم فى جمع كثيف على مدينة الحَدَث حين بُنيت ، وكان بناؤها بلبن قد حمل بعضه على بعض ، وأضرَّت به الثلوج . وهرب عاملها ومَنْ فيها ، ودخلها العدو فحرق مسجدها وأخربها واحتمل أمتعة أهلها ، فبناها الرشيد حين استخلف .

٥٠٠ — وحدثنى بعض أهل مَنْبِج قال : إن الرشيد كتب إلى محمد بن ابراهيم بإقراره على عمله ، فجرى أمر مدينة الحَدَث وعمارتها من قِبَل الرشيد على يده ثم عزله .

٥٠١ — قالوا: وكان مالك بن عبد الخَثْعَمى الذى يقال «مالك الصوائف» ، وهو من أهل فلسطين ، غزا بلاد الروم سنة ست وأربعين وغنم غنائم كثيرة ، ثم قفل. فلما كان من درب الحدَث على خمسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرَّهْوَة أقام فيها ثلاثاً . فباع الغنائم وقسم سهام الغنيمة ، فسُمّيتْ تلك الرَّهوة رَهْوة مالك .

٥٠٢ — قالوا : وكان مرج عبد الواحد حمى لخيلِ المسلمين . فلما بنى الحَدَث وزِبَطْرَة استغنى عنه فازدرع .

قالوا : وكانت زِبَطْرَة حصناً قديماً رومياً ففُتح مع حصن الحَدَث القديم ، فتحه حبيب بن مَسْلَمة الفهرى ، وكان قائماً إلى أن أخربته الروم فى أيام الوليد ابن يزيد ، فبُنى بناء غير محكم . فأناخت الروم عليه فى أيام فتنة مروان بن محمد فهدمته ، فبناه المنصور . ثم خرجت اليه فشعّثته ، فبناه الرشيد على يدى محمد بن ابراهيم وشحنه . فلما كانت خلافة المأمون (ص ١٩١) طرقه الروم فشعثوه وأغاروا على سرح أهله فاستاقوا لهم مواشى ، فأمر المأمون بمرمّته وتحصينه . وقدم وفد طاغية الروم فى سنة عشر ومائتين يسأل الصلح فلم يجبه اليه ، وكتب إلى عمال الثغور فساحوا فى بلاد الروم فأكثروا فيها القتل ودوّخوها وظفروا ظفراً حسناً ، إلا أنّ يقظان بن عبد الأعلى بن أحمد بن يزيد بن أسيد السُّلَمى أُصيب. ثم خرجت الروم إلى زِبَطْرَة فى خلافة المعتصم بالله أبى اسحاق بن الرشيد فقتلوا الرجال وسبوا النساء وأخربوها ، فأحفظه ذلك وأغضبه فغزاهم حتى بلغ عَمُّورِيَة وقد أخرب قبلها حصوناً ، فأناخ عليها حتى فتحها ، فقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية ثم أخربها ، وأمر ببناء زِبَطْرَة وحصّنها وشحنها فرامها الروم بعد ذلك فلم يقدروا عليها .

٥٠٣ — وحدثنى أبو عمرو الباهلى وغيره قالوا : نُسب حصن منصور إلى منصور بن جَعْوَنَة بن الحارث العامرى من قيس ، وذلك أنه تولّى بناءه ومرمّته ، وكان مقيماً به أيام مروان ليردّ العدوّ ومعه جند كثيف من أهل الشام والجزيرة . وكان منصور هذا على أهل الرُّها حين امتنعوا فى أول الدولة ، فحصرهم المنصور وهو عامل أبى العباس على الجزيرة وأرمينية ، فلمّا فتحها هرب منصور ثم أُمِّن فظهر ، فلما خلع عبد الله بن على أبا جعفر المنصور ولاّه شرطته ، فلما هرب عبدالله

إلى البصرة استخفى، فدُلّ عليه فى سنة إحدى وأربعين ومئة، فأُتى المنصور به فقتله بالرقّة منصرفه من بيت المقدس. وقوم يقولون إنه أُمّن بعد هرب ابن علىّ، فظهر. ثم وجُدت له كتب إلى الروم بغشّ الاسلام. فلما قدم المنصور الرقة من بيت المقدس سنة إحدى وأربعين ومئة وجّه من أتاه به فضرب عنقه بالرقة، ثم انصرف إلى الهاشميّة بالكوفة. وكان الرشيد بنى حصن منصور وشحنه فى خلافة المهدى (ص ١٩٣).

نقل ديوان الرومية

٥٠٤ — قالوا : ولم يزل ديوان الشام بالرومية حتى وُلِّى عبد الملك بن مروان ، فلما كانت سنة إحدى وثمانين أمر بنقله . وذلك أن رجلاً من كتّاب الروم احتاج أن يكتب شيئاً فلم يجد ماء فبال فى الدواة . فبلغ ذلك عبد الملك فأدّبه، وأمر سليمانَ بن سعد بنقل الديوان فسأله أن يعينه بخراج الأُرْدُنّ سنة ، ففعل ذلك وولّاه الأُرْدُنّ فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله وأتى به عبد الملك . فدعا بسَرْجون كاتبه فعرض ذلك عليه فغمّه وخرج من عنده كئيباً ، فلقيه قومٌ من كتّاب الروم فقال : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم .

قال : وكانت وظيفة الأردُن التى قطعها معونة مئة ألف وثمانين ألف دينار، ووظيفة فلسطين ثلاث مئة ألفٍ وخمسين ألف دينار ، ووظيفة دمشق أربع مئة ألفِ دينار، ووظيفة حِمْص مع قِنَّسرين والكور التى تُدعى اليوم العواصم ثمان مئة ألفِ دينار ، ويقال سبع مئة ألفِ دينار .

فتوح أرمينية

٥٠٥ — حدثنى محمد بن اسماعيل من ساكنى بَرْذَعَة وغيره عن أبى براء عنبسة بن بحر الأرمنى ، وحدثنى محمد بن بشر القالى عن أشياخه وبرمك بن عبد الله الديلى ومحمد بن المخيس الخلاطى وغيرهم،

عن قوم من أهل العلم بأمور أرمينية سقتُ حديثهم ورددتُ من بعضه على بعض قالوا : كانت شِمْشاط وقالِيقَلا وخِلاط وأرْجِيش وباجُنَيْس تُدعى أرمينية الرابعة (ص ١٩٣) ، وكانت كورة البُسْفُرَّجان ودَبيل وسِراج طَيْر وبَغْرَوَنْد تدعى أرمينية الثالثة ، وكانت جُرْزان تدعى أرمينية الثانية ، وكانت السِيسَجان وأرَّان تدعى أرمينية الأولى .

ويقال : كانت شِمْشاط وحدها أرمينية الرابعة . وكانت قالِيقَلا وخِلاط وأرْجِيش وباجُنَيْس تُدعى أرمينيـة الثالثة ، وسِراج طَيْر وَبَغْرَوَنْد ودَبيل والبُسْفُرَّجان تدعى أرمينية الثانيـــة ، وسِيسَجان وأرَّان وتَفْليس تدعى أرمينية الأولى .

وكانت جُرْزان وأرَّان فى أيدى الخزر ، وسائر أرمينيـة فى أيدى الروم يتولاها صاحب أرمَنْياقُس . وكانت الخزر تخرج فتُغير وربما بلغت الدِينَوَر . فوجَّه قُباذ بن فيروز الملك قائداً من عظماء قواده فى اثنى عشر ألفاً فوطِئ بلاد أرَّان وفتح ما بين النهر الذى يُعْرَف بالرسِّ إلى شَروان . ثم إنَّ قُباذ لحق به فبنى بأرَّان مدينة البَيْلَقان ، ومدينة بَرْذَعَة ، وهى مدينة الثغر كله ، ومدينة قَبَلَة وهى الخزر . ثم بنى سُدَّ اللّبِن فيما بين أرض شَرْوان وباب اللاّن ، وبنى على سُدِّ اللبن ثلاث مئة وستين مدينة خربت بعد بناء الباب والأبواب . ثم إنه ملك بعد قُباذ ابنه أنو شروان كسرى بن قباذ ، فبنى مدينة الشَّابِران ومدينة

مَسْقَط ، ثم بنى مدينة الباب والأبواب . وإنما سُمّيت أبواباً لأنها بُنيت على طريق فى الجبل . وأسكن ما بُنى من هـذه المواضع قوماً سمّاهم السِيَاسيجين . و بنى بأرض أرّان أبواب شَـكّن والقَمبيران وأبواب الدُّودانيّة ، وهم أمّة يزعمون أنهم من بنى (ص ١٩٤) دُودان بن أسد بن خُزَيْمة ، و بنى الدُّرْذُقِيّة وهى اثنا عشر باباً ، كل باب منها قصر من حجارة ، و بنى بأرض جُرْزان مدينة يقال لها سُغْدَبيل وأنزلها قوماً من السُغْد وأبناء فارس ، وجعلها مسلحة ، و بنى مما يلى الروم فى بلاد جُرْزان قصراً يقال له باب فِيرُوزقُباذ ، وقصراً يقال له باب لاذِقة ، وقصراً يقال له باب بارِقة ، وهو على بحر طَرَابَزُنْدة ، و بنى باب اللاّن و باب سَمْسَخى ، و بنى قلعة الجَرْدَمان ، وقلعة شَمْشُلْدىٰ . وفتح أنوشروان جميع ما كان فى أيدى الروم من ارمينية ، وعمر مدينة دَبيل وحصّنها ، و بنى مدينة النَّشَوىٰ ، وهى مدينةُ كورة البُسْفُرَّجان ، و بنى حصن وَيْص ، وقلاعاً بأرض السِّيسَجَان منها قلعة الـكلاب ، وساهيونس ، وأسكن هـذه الحصون والقلاع ذوى البأس والنجدة من سِياسِيجيّة . ثم إن أنوشروان كتب إلى ملك الترك يسأله الموادعة والصلح وأن يكون أمرهما واحداً ، وخطب اليه ابنته ليؤنسه بذلك ، وأظهر له الرغبة فى صهره ، و بعث اليه بأمةٍ كانت تبنّتها امرأة من نسائه ، وذكر أنها ابنته . فهدى التركى ابنته اليه . ثم قدم عليه فالتقيا بالبَرْشَلِيّة وتنادما أياماً وأنس كلٌّ واحدٍ منهما بصاحبه ، وأظهر برّه ، وأمر أنوشروان جماعةً من خاصته وثقاته أن يبيتوا طرفاً من عسكر التركى و يحرقوا فيه ، ففعلوا . فلما أصبح شكا ذلك إلى أنوشروان فأنكر أن يكون أمر به أو علم أنّ أحداً من أصحابه فعله . ولما مضت لذلك ليالٍ أمر أولئك القوم بمعاودة مثل الذى كان منهم ، ففعلوا . فضجّ التركىُّ من فعلهم (ص ١٩٥) حتى رفق به أنوشروان واعتذر اليه فسكن . ثم إن أنوشروان أمر فأُلقيت النار فى ناحيـة من عسكره لم يكن بها إلا أكواخ قد اتخذت من حشيش وعيدان ، فلما أصبح ضجّ أنوشروان إلى التركى وقال : كاد

أصحابك يذهبون بعسكرى ، وقد كان فأتنى بالظنة . فحلف أنه لم يعلم لشىء مما كان سبباً . فقال أنوشروان : يا اخى ! جندنا وجندك قد كرهوا صلحنا لانقطاع ما انقطع عنهم من النيل فى الغارات والحروب التى كانت تكون بيننا ولا آمن أن يحدثوا أحداثاً تفسد قلوبنا بعد تصافينا وتخالصنا حتى نعود إلى العداوة بعد الصهر والمودة ، والرأى أن تأذن لى فى بناء حائط يكون بينى و بينك ونجعل عليه باباً فلا يدخل إليك من عندنا و إلينا من عندك إلاّ مَنْ أردت وأردنا . فأجابه الى ذلك . فانصرف الى بلاده وأقام أنوشروان لبناء الحائط ، فبناه وجعله من قِبَلِ البحر بالصخر والرصاص ، وجعل عرضه ثلاثمئة ذراع ، وألحقه برؤوس الجبال ، وأمر أن تحمل الحجارة فى السفن و بتغريقها فى البحر حتى إذا ظهرت على وجه الماء بنى عليها فقاد الحائط فى البحر ثلاثة أميال . فلما فرغ من بنائه علق على المدخل منه أبواب حديد ووكل به مائة فارس يحرسونه بعد أن كان موضعه يحتاج إلى خمسين ألفاً من الجند ، وجعل عليه دبّابة ، فقيل لخاقان بعد ذلك : إنه خدعك وزوجّك غير ابنته وتحصن منك . فلم يقدر على حيلة .

وملك أنوشروان ملوكاً رتّبهم ، وجعل لكل امرىء منهم شاهيّة ناحية . فمنهم خاقان الجبل وهو صاحب السرير ويدعى وهرارزانشاه ، ومنهم ملك فِيلان وهو فِيلان شاه ، ومنهم طَبَرْسرَ انشاه ، وملك اللَّكز ويُدعى جرشانشاه ، وملك مَسْقَط وقد بطلت مملكته ، وملك ليران ويدعى ليرانشاه ، وملك شَرْوان ويدعى شروانشاه (ص ١٩٦) ، وملّك صاحبَ بُخّ على بُخّ ، وصاحب زرِيكران عليها ، وأقرّ ملوك جبل القَبَق على ممالكهم وصالحهم على الأتاوة . فلم تزل أرمينية فى أيدى الفرس حتى ظهر الاسلام ، فرفض كثير من السياسيجين حصونهم ومدائنهم حتى خربت ، وغلب الخزر والروم على ما كان فى ايديهم بدياً .

٥٠٦ — قالوا : وقد كانت أمور الروم تشتّتت فى بعض الأزمنه وصاروا كملوك الطوائف . فملك أرمنيا قُس رجل منهم، ثم مات فملكتها بعده امرأته ،وكانت تسمى قالى . فبنت مدينة قاليقلا وسمتها قاليقاله ، ومعنى ذلك إحسان قالى . قال : وصورت على باب من أبوابها ، فأعربت العرب قاليقاله فقالوا : قاليقلا .

٥٠٧ — قالوا : ولما استُخلف عثمان بن عفان كتب إلى معاوية ، وهو عامله على الشام والجزيرة وثغورها ، يأمره أن يوجّه حبيب بن مَسْلَمَة الفهرى إلى أرمينية . وكان حبيب ذا أثر جميلٍ فى فتوح الشام وغزو الروم ، قد علم ذلك منه عمر ثم عثمان رضى الله عنهما ثم مَنْ بعده . ويقال بل كتب عثمان إلى حبيب يأمره بغزو أرمينية ، وذلك أثبتُ . فنهض اليها فى ستة آلاف، ويقال فى ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة . فأتى قاليقَلا فأناخ عليها وخرج اليه أهلها فقاتلهم ثم ألجأهم إلى المدينة ، فطلبوا الأمان على الجلاء والجزية ، فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم . وأقام حبيب بها فيمن معه أشهراً . ثم بلغه أنّ بَطريق أرْمَنْياقس قد جمع للمسلمين جمعاً عظيماً و انضمت اليه أمداد أهل اللاّن وأفْخاز وسَمَنْدَر من الخزر . فكتب إلى عثمان يسأله المدد ، فكتب إلى معاوية يسأله أن يُشْخص إليه من أهل الشام والجزيرة قوماً ممن يرغب فى الجهاد والغنيمة . فبعث اليه معاوية ألفى رجل أسكنهم قاليقَلا وأقطعهم (ص ١٩٧) بها القطائعَ وجعلهم مرابطة بها . ولما ورد على عثمان كتاب حبيبَ كتب إلى سعيد بن العاصى بن سعيد ابن العاصى بن أمية ، وهو عامله على الكوفة ، يأمره بإمداده بجيش عليه سلمان ابن ربيعة الباهلى وهو سلمان الخيل . وكان خيِّراً فاضلاً غَزّاء . فسار سلمان الخيل اليه فى ستة آلاف رجل من أهل الكوفة ، وقد أقبلت الروم ومَنْ معها فنزلوا على الفرات،وقد أبطأ على حبيب المدد ،فبيّتهم المسلمون فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم.

وقالت أم عبد الله بنت يزيد الكلبية امرأة حبيب ليلتئذ له : أين موعدك ؟ قال : سرادق الطاغية أو الجنة ، فلما انتهى إلى السرادق وجدها عنده .

٥٠٨ — قالوا : ثم إن سَلمان ورد وقد فرغ المسلمون من عدوهم ، فطالب أهل الكوفة اليهم أن يشركوهم فى الغنيمة فلم يفعلوا ، حتى تغالظ حبيب وسلمان فى القول وتوعد بعض المسلمين سلمان بالقتل . قال الشاعر :

إنْ تقتُلُوا سَلْمَان نَقْتُلْ حَبيبكمْ وإنْ ترحلوا نحو ابنِ عفّانَ نَرْحَلِ

وكتب الى عثمان بذلك فكتب : إنّ الغنيمة باردة لأهل الشام . وكتب الى سلمان يأمره بغزو أرّان .

وقد روى بعضهم أنّ سلمان بن ربيعة توجه الى أرمينية فى خلافة عثمان فسبى وغنم وانصرف الى الوليد بن عقبة وهو بحديثة الموصل سنة خمس وعشرين . فأتاه كتاب عثمان يعلمه أنّ معاوية كتب يذكر أن الروم قد أجلبوا على المسلمين بجموع عظيمة يسأل المدد ويأمره أن يبعث اليه ثمانية آلاف رجل ، فوجّه بهم وعليهم سلمان بن ربيعة الباهلى ، ووجّه معاويةُ حبيب بن مَسْلَمة الفهرى معه فى مثل تلك العدة ، فافتتحا حصوناً وأصابا سبياً وتنازعا الامارة ، وهمّ أهلُ الشام بسلمان فقال الشاعر : إنْ تقتلوا ، البيت .

والخبر الأول أثبت حدثنى به عدة من مشايخ أهل قاليقَلا ، وكتب إلىّ به العطاف بن سفيان أبو الأصبغ قاضيها .

٥٠٩ — وحدثنى (١٩٨) محمد بن سعد عن الواقدى عن عبد الحميد بن جعفر ،

عن أبيه قال : حاصر حبيب بن مسلمة أهل دبيل فأقام عليها . فلقيه المَوْرِيان الرومى ، فبيّته وقتله وغنم ما كان فى عسكره ، ثم قدم سلمان عليه . والثبت عندهم أنه لقيه بقاليقَلا .

٥١٠ — وحدثنى محمد بن بشر وابن ورز الماليان ،

عن مشايخ أهل قاليقَلا قالوا : لم تزل مدينة قاليقَلا منذ فتحت ممتنعة بمن فيها من أهلها حتى خرج الطاغية فى سنة ثلاث وثلاثين ومئة ، فحصر أهل ملطية وهدم حائطها وأجلى مَنْ بها من المسلمين إلى الجزيرة . ثم نزل مرج الحصى فوجه كوسان الأرمنى حتى أناخ على قاليقَلا ، فحصرها وأهلها يومئذ قليلٌ وعاملها أبو كريمة . فنقب اخوان من الأرمن من أهل مدينة قاليقَلا ردماً كان فى سورها وخرجا إلى كوسان فأدخلاه المدينة فغلب عليها . فقتل وسبى وهدمها وساق ما حوى إلى الطاغية وفرّق السبى على أصحابه .

٥١١ — وقال الواقدى : لما كانت سنة تسع وثلاثين ومئة فادى المنصور بمن كان حياً من أسارى أهل قاليقَلا ، وبنى قاليقَلا وعمرها وردّ من فادى به إليها وندب إليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم . وقد كان طاغية الروم خرج إلى قاليقَلا فى خلافة المعتصم بالله فرمى سورها حتى كاد يسقط ، فأنفق المعتصم عليها خمس مئة ألف درهم حتى حصنت .

٥١٢ — قالوا : ولما فتح حبيب مدينة قاليقَلا سار حتى نزل مربالا ، فأتاه بطريق خِلاط بكتاب عياض بن غَنْم . وكان عياض قد أمّنه على نفسه وماله وبلاده وقاطعه على اتاوة ، فانفذه حبيب له ، ثم نزل منزلاً بين الهرَك ودَشت الورك ، فأتاه بطريق خِلاط بما عليه من المال ، وأهدى له هدية لم يقبلها منه ، ونزل خِلاط ثم سار منها إلى الصسانه (كذا) فلقيه بها صاحب مُكْس ، وهى ناحية من نواحى البُسْفُرَّجَان ، فقاطعه على بلاده (ص ١٩٩) ووجّه معه رجلاً وكتب له كتاب صلح وأمان ووجّـه إلى قرى أرْجيش وبَاجُنَيْس من غلبه

عليها وجبى جزية رؤوس أهلها ، وأتاه وجوههم فقاطعهم على خراجها ، فأما بحيرة الطِّرِّيخ فلم يعرض لها ولم تزل مباحة حتى وُلى محمد بن مروان بن الحكم الجزيرة وأرمينية فحوى صيدها و باعه ، فكان يستغلها . ثم صارت لمروان بن محمد فقبضت عنه .

قال : ثم سار حبيب وأتى أزْدِساط ، وهى قرية القِرْمِز ، وأجاز نهر الأكراد ونزل مرج دَبيل ، فسرَّب الخيول إليها ، ثم زحف حتى نزل على بابها فتحصّن أهلها ورموه ، فوضع عليها منجنيقاً ورماهم ، حتى طلبوا الأمان والصلح فأعطاهم إياه ، وجالت خيوله فنزلت جُرْنى و بلغت أشوش وذات اللُّجْم والجبل كونتة (؟) ووادى الأحرار ، وغلبت على جميع قرى دَبيل ، ووجَّه إلى سِراج طَيْرَ و بَغْرَوَنْد فأتاه بَطريقها فصالحه عنها على اتاوه يؤدّيها ، وعلى مناصحة المسلمين وقراهم ومعاونتهم على أعدائهم . وكان كتاب صلح دَبيل :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من حبيب بن مَسْلَمَة لنصارى أهل دَبيل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم . إنى أمَّنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم و بِيَعِكم وسور مدينتكم فأنتم آمنون ، وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم وأديتم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيدا . وختم حبيب ابن مَسْلَمَة » .

ثم أتى حبيب النَّشَوَى ففتحها على مثل صلح دَبيل ، وقدم عليه بطريق البُسْفُرُجَان فصالحه عن جميع بلاده ، وأرضى هصابلة (كذا) وافارستة (كذا) على خرج يؤديه فى كل سنة ، ثم أتى السِيسَجان فحاربهم أهلها ، فهزمهم وغلب على وَيْص ، وصالح (ص ٢٠٠) أهل القلاع بالسِيسِجان على خرج يؤدّونه ، ثم سار إلى جُرْزان .

٥١٣ — حدثنى مشايخ من أهل دَبيل منهم بَرْمَك بن عبد الله قالوا : سار حبيب بن مَسْلَمة بمن معه يريد جُرْزان . فلما انتهوا إلى ذات اللُّجُم سرّحوا بعض دوابهم وجمعوا لُجُمها . فخرج عليهم قوم من العلوج فأعجلوهم عن الإلجام فقاتلوهم ، فكشفهم العلوج وأخذوا تلك اللُّجُم وما قدروا عليه من الدواب . ثم إنهم كرّوا عليهم فقتلوهم وارتجعوا ما أخذوا منهم ، فسُمّى الموضع ذات اللُّجُم . قالوا : وأتى حبيباً رسولُ بطريق جُرْزان وأهلها وهو يريدها ، فأدّى إليه رسالتهم وسأله كتاب صلح وأمان لهم ، فكتب حبيب إليهم :

« أما بعد فإن نُقْلى رسولكم قدم علىّ وعلى الذين معى من المؤمنين فذكر عنكم . إنا أمة أكرمنا الله وفضّلنا ، وكذلك فِعْلُ الله وله الحمد كثيراً وصلى الله على محمد نبيه وخيرته من خلقه وعليه السلام . وذكرتم أنكم أحببتم سلمنا ، وقد قوّمتُ هديتكم وحسبتها من جزيتكم ، وكتبت لكم أماناً واشترطت فيه شرطاً ، فإن قبلتموه ووفيتم به وإلا فأذنوا بحرب من الله ورسوله والسلام على من اتبع الهدى » .

ثم ورد تَفْليس وكتب لأهلها صلحاً :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من حبيب بن مَسْلَمة لأهل طَفْليس من مَنْجَليس من جُرْزان القِرْمز بالأمان على أنفسهم وبِيَعِهم وصوامعهم وصلواتهم ودينهم ، على إقرارٍ بالصّغار والجزية ، على كل أهل بيت دينار ، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفاً للجزية ولا لنا أن نفرّق بينهم استكثاراً منها ، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما استطعتم ، وقِرى المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا ، وإن انقطع برجل من

المسلمين عندكم فعليكم أداؤه إلى أدنى فئة من (ص ٢٠١) المؤمنين إلا أن يحال دونهم ، وإن أنبتم وأقمتم الصلاة فإخواننا فى الدين ، وإلاّ فالجزية عليكم ، وإن عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوُّكم فغير مأخوذين بذلك ، ولا هو ناقض عهدكم . هذا لكم وهذا عليكم . شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيدا » .

وكتب الجرّاح بن عبد الله الحكمى لأهل تفليس كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من الجرّاح بن عبد الله لأهل تَفْليس من رستاق مَنْجَليس من كورة جُرْزان . انه أتونى بكتاب أمان لهم من حبيب بن مَسْلمة على الإقرار بصغار الجزية ، وأنه صالحهم عن أرضين لهم وكرومٍ وأرحاء يُقال لها أوارى وسابينا من رستاق مَنْجَليس ، وعن طعام ، وديدونا من رستاق قُحُوِيط من كورة جُرْزان ، على أن يؤدّوا عن هذه الأرحاء والكروم فى كل سنة مئة درهم بلا ثانية . فأنفذتُ لهم أمانهم وصلحهم وأمرتُ ألاّ يُزادَ عليهم ، فمن قرئ عليه كتابى فلا يتعدَّ ذلك فيهم إن شاء الله وكتب » .

٥١٤ — قالوا : وفتح حبيب حوارح وكَسْفَرىس (كذا) وكِسَال وخنان وسَمْشَخِى والجرَدْمان وكستسجى وشَوْشِت وبازّليت ، صلحاً على حقن دماء أهلها وإقرار مصلّياتهم وحيطانهم ، وعلى أن يؤدّوا اتاوة عن أرضهم ورؤوسهم . وصالح أهل قَلَرْجيت وأهل (ص ٢٠٢) ثَرْياليت وخاخيط وخوخيط وأرْطهَال وباب اللاّل ، وصالح الصَّنَّارية والدُّودانية على اتاوة .

٥١٥ — قالوا : وسار سَلمان بن ربيعة الباهلى حين أمره عثمان بالمسير إلى أرَّان ففتح مدينة البَيْلَقان صلحاً على أن أمّنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم ، واشترط عليهم أداء الجزية والخراج . ثم أتى سلمان بَرْذَعة فعسكر على الثُّرْثور ، وهو نهر منها على أقلّ من فرسخ ، فأغلق أهلها دونه أبوابهم ، فعاناها أياماً وشنّ الغارات فى قراها ، وكانت زروعُها مُستحصَدة فصالحوه على مثل صلح البَيْلَقان ، وفتحوا له أبوابها فدخلها وأقام بها . ووجَّه خيله ففتحت شفشين والمسفوان وأوذ والمصريان (كذا) والهرحليان وتبار وهى رساتيق ، وفتح غيرها من أرَّان ، ودعا أكراد البلاسجان إلى الإسلام فقاتلوه ، فظفر بهم فأقرّ بعضهم بالجزية وأدّى بعض الصدقة وهم قليل .

٥١٦ — وحدثنى جماعة من أهل بَرْذَعة قالوا : كانت شَمْكور مدينة قديمة ، فوجّه سلمانُ بن ربيعة الباهلى مَنْ فتحها . فلم تزل مسكونة معمورة حتى أخربها السَّاوَرْدِيَّة ، وهم قوم تجمعوا فى أيام انصرف يزيد بن أُسَيْد عن أرمينية ، فغلظ أمرهم وكثرت نوائبهم . ثم إن بُغا مولى المعتصم بالله رحمه الله عمرها فى سنة أربعين ومائتين وهو والى أرمينية وأذَرْبَيْجَان وشِمْشاط ، وأسكنها قوماً خرجوا إليه من الخزَر مستأمنين لرغبتهم فى الاسلام ، ونقل إليها التجار من بَرْذَعة وسماها المتوكلية .

٥١٧ — قالوا : وسار سَلمان إلى مجمع الرسّ والكُرّ خلف برديج فعبر الكرّ ففتح قَبَلَة ، وصالحه صاحب شَكّن والقَميبران على اتاوة . وصالحه (ص ٢٠٣) أهل خَيْزان وملك شَرْوان وسائر ملوك الجبال ، وأهل مَسْقَط والشابِران ومدينة الباب . ثم أغلقت بعده ولقيه خاقان فى خيوله خلف نهر

البَلَنْجَر فقتل رحمه الله فى أربعة آلاف من المسلمين ، فكان يُسمع فى مأزقهم التكبير . وكان سَلْمان بن ربيعة أول من استقضى بالكوفة ، أقام أربعين يوماً لا يأتيه خصم ، وقد روى عن عمر بن الخطاب . وفى سَلْمان وقُتَيْبة بن مسلم يقول ابن جُمانة الباهلى :

وإن لنا قبرين قبرُ بَلَنْجَرٍ وقبرٌ بصين اسْتان يا لك من قبرِ
فذاك الذى بالصين عمتْ فتوحُه وهذا الذى يُسْقى به سَبَلُ القَطْرِ

وكان مع سلمان ببلنجر قَرَظَةُ بن كعب الأنصارى ، وهو جاء بنعيه إلى عثمان .

٥١٨ — قالوا : ولما فتح حبيب ما فتح من أرض أرمينية كتب به إلى عثمان بن عفان ، فوافاه كتابه وقد نعى إليه سَلمان ، فهمّ أن يولّيه جميع أرمينية ، ثم رأى أن يجعله غازياً بثغور الشام والجزيرة لغنائه فيما كان ينهض له من ذلك ، فولّى ثغر أرمينية حُذَيْفَةَ بن اليمان العبسى . فشخص إلى بَرْذَعة ووجّه عمّاله على ما بينها وبين قاليقَلا وإلى جيزان ، فورد عليه كتاب عثمان يأمره بالانصراف وتخليف صِلة بن زُفَر العبسى ، وكان معه . فخلّفه وسار حبيب راجعاً إلى الشام . وكان يغزو الروم . ونزل حمص فنقله معاوية إلى دمشق فتوفى بها سنة اثنتين وأربعين وهو ابن خمس وثلاثين سنة . وكان معاوية وجّه حبيباً فى جيش لنصرة عثمان حين حوصر ، فلما انتهى إلى وادى القرى (ص ٢٠٤) بلغه مقتل عثمان فرجع .

٥١٩ — قالوا : وولّى عثمانُ المغيرةَ بن شُعْبَة أذَرْبَيْجان وأرمينية ، ثم عزله وولّى القاسمَ بن ربيعة بن أميّة بن أبى الصَّلْت الثقفى أرمينية ، ويُقال ولاّها

عمرو بن معاوية بن المُنتَفِق العُقَيْلي . و بعضهم يقول : وليها رجل من بنى كلاب بعد المغيرة خمسة عشر سنة ، ثم وليها العقيلي . وولّى الأشعث بن قيس لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أرمينية وأذَرْبَيْجان ، ثم وليها عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلي من قبل معاوية فمات بها ، فوليها عبد العزيز بن حاتم ابن النعمان أخوه ، فبنى مدينة دَبيل وحصّنها وكبّر مسجدها ، و بنى مدينة النَّشَوى ، ورمّ مدينة بَرْذَعة ، ويقال إنه جدّد بناءها ، وأحكم حفر الفارقين حولها ، وجدّد بناء مدينة البَيْلقان ، وكانت هذه المدن متشعّثةً مستهدمة . و يقال إن الذى جدّد بناء بَرْذَعة محمد بن مروان فى أيام عبد الملك بن مروان ، وقال الواقدى : بنى عبد الملك مدينة بَرْذَعَـة على يد حاتم بن النعمان الباهلي أو ابنه ، وقد كان عبد الملك ولّى عثمان بن الوليد بن عُقبَـة بن أبى مُعَيْط أرمينيـة .

٥٢٠ — قالوا : ولمـا كانت فتنة ابن الزبير انتقضت أرمينية وخالف أحرارها وأتباعهم . فلما وُلِّى محمد بن مروان من قبل أخيه عبد الملك أرمينية حاربهم ، فظفر بهم فقتل وسبى وغلب على البلاد . ثم وعد من بقى منهم أن يعرض لهم فى الشرف ، فاجتمعوا لذلك فى كنائس من عمل خِلاط ، فأغلقها عليهم ، ووكل بأبوابها ثم حرّقهم . وفى تلك الغزاة سُبيت أم يزيد بن أَسَيْد من السِيسجان ، وكانت بنت بطريقها .

٥٢١ — قالوا : ووَلّى سليمان بن عبد الملك أرمينية عَـدِيّ بن عميرة الـكندى . وكان عَدِىُّ بن عميرة ممن نزل الرقة مفارقاً لعلى بن أبى طالب ، ثم ولاّه إياها عمر بن عبد العزيز ، وهو صاحب نهر عدىّ بالبَيْلَقان .

وروى بعضهم أن عامل عمر كان حاتم بن النعمان وليس (ص ٢٠٥) ذلك بثبت .

ثم ولّى يزيد بن عبد الملك معْلَق بن صَفّار البَهْرانى ثم عزله وولّى الحارث بن عمرو الطائى . فغزا أهل اللَّـكز ففتح رستاق وحسمدان . وولّى الجراح ابن عبد الله الحَكَمى من مَذْحِج أرمينية فنزل بَرْذَعة ، فرُفع اليه اختلافُ مكاييلها وموازينها ، فأقامها على العدل والوفاء ، واتخذ مكيالاً يدعى الجرّاحى ، فأهلها يتعاملون به الى اليوم . ثم إنه عبر الكُرّ وسار حتى قطع النهر المعروف بالسَّمُور ، وَصار إلى الخزر فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقاتل أهل بلاد حمزين ، ثم صالحهم على أن نقلهم إلى رستاق خَيْزان ، وجعل لهم قريتين منه . وأوقع بأهل غوميك ، وسبى منهم ، ثم قفل فنزل شكّى وشتا جنده ببرذَعة والبيلقان . وجاشت الخزر وعبرت الرسّ ، فحاربهم فى صحراء وَرْثان، ثم انحازوا الى ناحية أردبيل فواقعهم على أربعة فراسخ مما يلى أرمينية ، فاقتتلوا ثلاثة أيام ، فاستشهد وَمَنْ معه ، فسمى ذلك النهر نهر الجرّاح ونُسب جسرٌ عليه الى الجرّاح أيضاً . ثم إن هشام بن عبد الملك ولّى مسلمة بن عبد الملك أرمينية ، ووجّه على مقدمته سعيد بن عمرو بن أسود الجُرَشى ومعه اسحاق بن مسلم العُقَيلى وإخوته ،وجَعْوَنة ابن الحارث بن خالد أحد بنى عامر بن ربيعة بن صَعْصَعَة ، وذُفافة وخالد ابنا عُمَيْر بن الحُباب السُّلمى ، والفُرات بن سلمان الباهلى ،والوليد بن القَعْقاع العبسى . فواقع الخزر وقد حاصروا وَرْثان، فكشفهم عنها وهزمهم . فأتوا مَيْمَذ من عمل آذَرْبَيْجان ، فلما تهيّأ لقتالهم أتاه كتابُ مَسْلَمَة بن عبد الملك يلومه على قتاله الخزر قبل قدومه ، ويُعلمه أن قد ولّى أمر عسكره عبد الملك بن مُسْلِم العُقَيلى . فلما بلغ العسكر أخذه رسول مَسْلَمة فقيّده وحمله إلى بَرْذَعة ، فحُبس فى سجنها (ص٢٠٦) . وانصرف الخزر فاتبعهم مَسْلَمة وكتب بذلك إلى هشام ، فكتب إليه :

أتتركهم بميْمَذَ قد تراهم　　وتطلبهم بمنقَطَع التراب

وأمر باخراج الُجرَشى من السجن .

٥٢٢ — قالوا : وصالح مَسْلَمَة أهل جيزان وأمر بحصنها فهُدم ، واتخذ لنفسه به ضياعاً ، وهى اليوم تعرف بحوز جيزان . وساله ملوك الجبال فصار إليه شَرْوانشاه وليرانشاه وطَبَرْسَرانْشاه وفيلانْشاه وجَرْشانْشاه ، وصار إليه صاحب مَسْقَط . وصمد لمدينة الباب ففتحها ، وكان فى قلعتها ألف أهل بيت من الخزر فحاصرهم ورماهم بالحجارة ثم بحديد اتخذه على هيئة الحجارة فلم ينتفع بذلك . فعمد إلى العين التى كان أنوشروان أجرى منها الماء إلى صهريجهم فذبح البقر والغنم وألقى فيه الفرث والحلتيث فلم يمكث ماؤهم الا ليلة حتى دوّد وانتن وفسد . فلما جُنّ عليهم الليل هربوا وأخلوا القلعة . وأسكن مَسْلَمَة بن عبد الملك مدينة الباب والأبواب أربعة وعشرين ألفا من أهل الشام على العطاء ، فأهل الباب اليوم لا يدعون عاملاً يدخل مدينتهم إلا ومعه مال يفرّقه بينهم . وبنى هُرياً للطعام وهُرياً للشعير ، وخزانة للسلاح وأمر بكبس الصهريج ورمّ المدينة وشرّفها وكان مروان بن محمد مع مَسْلَمَة ، وواقع معه الخزر فأبلى وقاتل قتالاً شديداً . ثم وَلّى هشام بعد مسلمة سعيداً الجُرَشى فأقام بالثغر سنتين ، ثم ولى الثغر مروان بن محمد فنزل كِسال، وهو بنى مدينتها وهى من بَرْذَعة على أربعين فرسخاً ، ومن تفليس على عشرين فرسخا . ثم دخل أرض الخزر مما يلى باب اللّان ، وأدخلها أَسيد ابن زافر السُلَمى أبا يزيد ، ومعه ملوك الجبل من ناحية الباب والأبواب . فأغار مروان على (ص ٢٠٧) صقالبة كانو بأرض الخزر فسبى منهم عشرين ألف أهل بيت ، فأسكنهم خاخيط . ثم إنهم قتلوا أميرهم وهربوا فلحقهم وقتلهم .

٥٢٣ — قالوا : ولما بلغ عظيم الخزر كثرة من وطىء به مروان بلاده من الرجال ، وماهم عليه من عدتهم وقوتهم نخب ذلك قلبه وملأه رعباً . فلما دنا منه أرسل اليه رسولاً يدعوه إلى الاسلام أو الحرب . فقال : قد قبلتُ الاسلام ، فأرسلْ إلىّ مَنْ يعرضه علىّ . ففعل ،فأظهر الاسلام ووادع مروان على أن أقرّه فى مملكته . وسار مروان معه بخلق من الخزر فأنزلهم ما بين السّمور والشّابِران فى سهل أرض اللّكز . ثم إن مروان دخل أرض السَّرير فأوقع بأهلها وفتح قلاعاً فيها ، ودان له ملك السَّرير وأطاعه ، فصالحه على ألف رأس : خمس مئة غلام وخمس مئة جارية سود الشعور والحواجب وهدب الأشفار كلّ سنة ؛ وعلى مئة ألف مدى تصبّ فى أهراء الباب ، وأخذ منه الرهن . وصالح مروان أهل تُومان على مائة رأس : خمسين جارية وخمسين غلاماً خماسيين سود الشعور والحواجب وهدب الأشفار ، وعشرين ألف مدىً للأهراء فى كل سنة . ثم دخل أرض زِرِيكِران ، فصالحه ملكُها على خمسين رأساً وعشرة آلاف مُدىٍ للأهراء فى كل سنة . ثم أتى أرض حمزين ، فأبى حمزين أن يصالحه ، فافتتح حصنهم بعد أن حاصرهم فيه شهراً ، فاحرق وأخرب ، وكان صلحه إياه على خمس مئة رأس يؤدُّونها دفعة واحدة ، ثم لا يكون عليه سبيل ، وعلى أن يحمل ثلاثين ألف مدىٍ إلى أهراء الباب فى كل سنة . ثم أتى سندان فافتتحها صلحاً على مئة رأسٍ يعطيه إياها صاحبها دفعة ، ثم لا يكون عليه سبيل فيما يستقبل ، وعلى أن يحمل فى كل سنة إلى أهراء الباب خمسة آلاف مدى . ووظف على أهل طَبَرْسَرانشاه عشرة آلاف مدى فى كل سنة تحمل (ص ٢٠٨) إلى أهراء الباب . ولم يوظف علىَ فيلانْشاه شيئاً ، وذلك لحسن غنائه وجميل بلائه وإحماده أمره . ثم نزل مروان على قلعة اللّكز وقد امتنع من أداء شىء من الوظيفة . وخرج يريد صاحب الخزر فقتله راعٍ بسهم رماه به وهو لا يعرفه . فصالح أهل اللّكز على عشرين ألف مدى تُحمل إلى الأهراء ، ووَلّى عليهم

خَشْرَماً السُّلَمى . وسار مروان إلى قلعة صاحب شَرْوان، وهى تُدعى خِرش، وهى على البحر، فأذعن بالطاعة والانحدار إلى السهل . وألزمهم عشرة آلاف مدى فى كل سنة . وجعل على صاحب شَرْوان أن يكون فى المقدمة إذا بدأ المسلمون بغزو الخزر، وفى الساقة إذا رجعوا ، وعلى فيلانشاه أن يغزو معهم فقط ، وعلى طَبَرْسَرَانْشاه أن يكون فى الساقة إذا بدأوا ، وفى المقدمة إذا انصرفوا . وسار مروان إلى الدُّودانية فأوقع بهم . ثم جاءه قتلُ الوليد بن يزيد ، وخالف عليه ثابت بن نُعَيْم الجُذامى ، وأتى مُسافر القصّاب وهو ممن مكّنه بالباب الضحّاك الخارجى فوافقه على رأيه وولّاه أرمينية وأذَرْبَيْجان . وأتى أرْدَبيل مستخفياً فخرج معه قوم من الشراة منها ، وأتوا باجَرْوان فوجدوا بها قوماً يرون رأيهم فانضموا اليهم ، فأتوا وَرْثان فصحبهم من أهلها بشر كثير كانوا على مثل رأيهم ، وعبروا إلى البَيْلَقان فصحبتْهم منهم جماعة كثيرة كانوا على مثل رأيهم . ثم نزل يوناز (كذا) وولّى مروان بن محمد اسحاقَ بن مسلم أرمينية ، فلم يزل يقاتل مسافراً وكان فى قلعة الكلاب بالسِيسَجَان .

ثم لما جاءت الدولة المباركة وولّى أبو جعفر المنصور الجزيرة وأرمينية فى خلافة السفاح أبى العباس رحمه الله وجّه إلى مُسافر وأصحابه قائداً من أهل خراسان فقاتلهم حتى ظفر بهم وقتل مسافراً . وكان أهل البَيْلَقان متحصنين فى قلعة الكلاب ورئيسهم قدد بن أصفر البَيْلَقانى فاستنزلوا بأمان .

ولما استُخلف المنصور رحمه الله وَلّى يزيدَ أُسَيْد السُّلَمى أرمينية . ففتح باب (ص ٢٠٩) اللّان ورتّب فيه رابطة من أهل الديوان ، ودوّخ الصَّنارِيّة حتى أدّوا الخراج . فكتب اليه المنصور يأمره بمصاهرة ملك الخزر ففعل . وولدت له ابنته منه ابناً فمات وماتت فى نفاسها . وبعث يزيد إلى نفّاطة أرض شَرْوان وملّاحاتها فجباها ، ووكّل بها . وبنى يزيد أرْجيل الصغرى ومدينة أرْجيل الكبرى وأنزلها أهل فِلَسْطين .

٥٢٤ — حدثنى محمد بن اسماعيل ،

عن جماعة من مشايخ أهل بَرْذَعة قالوا . الشَّماخِيّة التى فى عمل شَرْوان نُسبت إلى الشّماخ بن شُجاع ، فكان ملك شَرْوان فى ولاية سعيد بن سالم الباهلى أرمينية .

٥٢٥ — وحدثنى محمد بن اسماعيل ،

عن المشيخة أنّ أهل أرمينية انتقضوا فى ولاية الحسن بن قَحْطبة الطائى بعد عزل ابن أَسَيْد و بكار بن مُسْلم العُقَيْلى . وكان رئيسهم مُوشائيل الأرمنى . فبعث اليه المنصور رحمه الله الإمداد وعليهم عامرُ بن اسماعيل . فواقع الحسنُ موشائيل فقُتل وفُضّتْ جموعه واستقامت له الأمور . وهو الذى نُسب اليه نهر الحسن بالبَيْلقَان ، والباغ الذى يعرف بباغ الحسن ببَرْذَعة ، والضياع المعروفة بالحسنية . ووُلّى بعد الحسن بن قحطبة عثمان بن عمارة بن خُرَيم ، ثم رَوْح ابن حاتم المهلبى ، ثم خُزَيْمة بن خازم ، ثم يزيد بن مَزْيد الشيبانى ، ثم عُبيدالله ابن المهدى ، ثم الفضل بن يحيى، ثم سعيد بن سالم ، ثم محمد بن يزيد بن مَزْيد ، وكان خُزَيْمة أشدّهم ولايةً ، وهو الذى سنّ المساحة بدَبِيل والنّشَوَى، ولم يكن قبل ذلك ، ولم يزل بطارقة أرمينية مقيمين فى بلادهم يحمى كلّ واحدٍ منهم ناحيته ، فإذا قدم الثغرَ عاملٌ من عماله داروه ، فإن رأوا منه عفة وصرامةً وكان فى قوة وعدة أدُّوا اليه الخراج وأذعنوا له بالطاعة ، (ص ٢١٠) والا اغتمزوا فيه واستخفّوا بأمره ، ووليهم خالد بن يزيد بن مَزْيد فى خلافة المأمون فقبل هداياهم وخلطهم بنفسه فأفسدهم ذلك من فعله وجرأهم على من بعده من عمال المأمون .

ثم وَلّى المعتصمُ بالله الحسنَ بن علىّ الباذَغيسى ، المعروف بالمأمونى ، الثغرَ

فأهمل بطارقته وأحراره ، ولان لهم حتى ازدادوا فساداً على السلطان وكَلَباً على من يليهم من الرعية . وغلب اسحاقُ بن اسماعيل بن شُعَيْب مولى بنى أمية على جُرْزان ، ووثب سهل بن سَنْباط البطريق على عامل حيدر بن كاوس الأفْشين على أرمينية فقتل كاتبه وأفلت بحشاشة نفسه . ثم وُلى أرمينية عمالٌ كانوا يقبلون من أهلها العفو ويرضون من خراجها بالميسور .

ثم إنّ أمير المؤمنين المتوكل على الله وَلّى يوسُف بن محمد بن يوسف المروزى أرمينية لسنتين من خلافته . فلما صار بخلاط أخذ بطريقها بُقْراط بن أشوط فحمله إلى سُرَّمَنْ رأى ، فأوحش البطارقة والأحرار والمتغلّبة ذلك منه . ثم إنه عمد عامل له يقال له العلاء بن أحمد إلى دير بالسيسَجَان يُعرف بدير الأقداح لم تزل نصارى أرمينية تعظمه وتهدى إليه فأخذ منه جميع ما كان فيه وعسف أهله ، فأكبرت البطارقة ذلك وأعظمته وتكاتبت فيه وحضّ بعضاً على بعض على الخلاف والنقض ، ودسّوا إلى الخويثية وهم علوج يُعرفون بالأرطان ، فى الوثوب بيوسف ، وحرضوهم عليه لما كان من حمله بُقراط بطريقهم ، ووجّه كل امرىءٍ منهم ومن المتغلبة خيلاً ورجالاً ليؤيدوهم على ذلك ، فوثبوا به بطرُون ، وقد فرّق أصحابه فى القرى فقتلوه واحتووا على ما كان فى عسكره ، فولّى أمير المؤمنين المتوكل على الله بُغا الكبير أرمينية فلما صار إلى بَدْليس أخذ (ص ٢١١) موسى بن زُرَارَة ، وكان ممن هَوِىَ قتلَ يوسُف وأعان عليه غضباً لبُقراط ، وحارب الخويثية فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وسبى سبياً كثيراً ، ثم حاصر أشوط ابن حمزه (؟) بن جاجق بطريق البُسْفُرَّجَان وهو بالباق ، فاستنزله من قلعته وحمله إلى سُرَّمَنْ رأى وسار إلى جُرْزان ، فظفر باسحاق بن اسماعيل فقتله صَبْراً ، وفتح جُرْزان وحمل مَنْ بأرّان وظاهر أرمينية مِمّن بالسيسجان مِنْ أهل الخلاف والمعصية من النصارى وغيرهم ، حتى صلحُ ذلك الثغر صلاحاً لم يكن على مثله ، ثم قدم سُرَّمَنْ رأى فى سنة إحدى وأربعين ومائتين .

٥٢٦ — قالوا : وكان عمرو بن العاصى حاصر قَيْسارية بعد انصراف الناس من حرب اليَرْموك ، ثم استخلف عليها ابنه حين ولى يزيد بن أبى سفيان ، ومضى إلى مصر من تلقاء نفسه فى ثلاثة آلاف وخمس مئة . فغضب عمر لذلك وكتب إليه يوبّخه ويعنّفه على افتياته عليه برأيه ، وأمَرَه بالرجوع إلى موضعه إنْ وافاه كتابه دون مصر . فورد الكتاب عليه وهو بالعَريش .

وقيل أيضاً إنّ عمر كتب إلى عمرو بن العاصى يأمره بالشخوص إلى مصر فوافاه كتابه وهو محاصر قَيْسارية ، وكان الذى أتاه شَريكُ بن عَبْدَةَ ، فأعطاه ألف دينار فأبى شريك قبولها ، فسأله أن يستر ذلك ولا يخبر به عمر .

٥٢٧ — قالوا : وكان مسيرُ عمروٍ إلى مصر فى سنة تسع عشرة . فنزل العَريش ثم أتى الفَرَماء وبها قوم مستعدّون للقتال . فحاربهم فهزمهم وحوى عسكرهم ، ومضى قُدُماً إلى الفُسْطاط (ص ٢١٢) فنزل جنان الرَّيْحان وقد خندق أهل الفُسْطاط . وكان اسم المدينة اليُونة فسماها المسلمون فُسطاطاً لأنّهم قالوا : هذا فسطاط القوم ومجمعهم . وقوم يقولون إن عمراً ضرب بها فُسْطاطاً فسُمِّيَتْ بذلك .

٥٢٨ — قالوا : ولم يلبث عمرو بن العاصى وهو محاصر أهل الفَسطاط أنْ وَرَدَ عليه الزُّبير بن العوّام بن خُوَيْلد فى عشرة آلاف ، ويقال فى اثنى عشر ألفاً ، فيهم خارِجة بن حُذافة العدوىّ وعُمَيْر بن وَهْب الجُمَحى . وكان الزُّبير

قد همَّ بالغزو وأراد إتيان أنطاكية فقال له عمر يا أبا عبد الله هل لك فى ولاية مصر ؟ فقال : لا حاجة لى فيها ، ولكنّى أخرجُ مجاهداً وللمسلمين معاونا ، فإن وجدتُ عَمْراً قد فتحها لم أعرض لعمله وقصدتُ إلى بعض السواحل فرابطتُ به وإن وجدتُه فى جهادٍ كنتُ معه . فسار على ذلك .

٥٢٩ — قالوا : وكان الزبير يقاتل من وجهٍ وعمرو بن العاصى من وجه ، ثم إنّ الزُّبير أتى بسلم فصعد عليه حتى أوفى على الحصن ، وهو مجرِّد سيفه ، فكبّر وكبّر المسلمون واتبعوه . ففتح الحصن عنوةً واستباح المسلمون ما فيه ، وأقرّ عمرو أهلَه على أنَّهم ذمة ، ووضع عليهم الجزية فى رقابهم والخراج فى أرضهم . وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأجازه ، واختط الزُّبير بمصر وابتنى داراً معروفة ، وإياها نزلَ عبدُ الله بن الزُّبير حين غزا إفريقية مع ابن أبى سَرْح . وسُلَّمَ الزُّبير باقٍ فى مصر .

٥٣٠ — وحدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة ،

عن هشام بن عُرْوَة أنّ الزُّبير بن العوّام بعث إلى مصر . فقيل له : إنّ بها الطعن والطاعون . فقال : إنّما جئنـــا للطعن والطاعون . قال : فوضعوا السلاليم فصعدوا عليها .

٥٣١ — وحدثنى عمرو الناقد قال : حدثنى عبـــد الله بن وهب المصرى عن ابن لهيعة ،

عن يزيد بن أبى حبيب أنّ عمرو بن العاصى دخـــل مصر ومعهُ ثلاثة آلاف وخمس مئة . وكان عمرُ بن الخطاب قد أشفق لِما أُخبر به من أمرها .

فأرسل الزبير (ص ٢١٣) بن العوّام فى اثنى عشر ألفاً ، فشهد الزبير فتحَ مصر واختط بها .

٥٣٢ — وحدثنى عمرو الناقد عن عبد الله بن وهب المصرى عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الله بن المغيرة بن أبى بردة ،

عن سُفيان بن وَهْب الخولانى قال : لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير فقال : اقسمها يا عمرو . فأبى . فقال الزُّبير : واللهِ لنقسمنّها كما قسمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خَيْبَرَ ، فكتب عمرو إلى عمر فى ذلك . فكتب إليه عمر : أقِرّها حتى يغزو منها حَبَلُ الحَبَلَة .

قال : وقال عبد الله بن وهب وحدثنى ابن لُهَيْعة عن خالد بن ميمون عن عبد الله ابن المغيرة عن سفيان بن وهب بنحوه .

٥٣٣ — وحدثنى القاسم بن سلّام قال : حدثنا أبو الأسود عن ابن لهيعة ،

عن يزيد بن أبى حبيب أنّ عمرو بن العاصى دخل مصر فى ثلاثة آلاف وخمس مئة . وكان عمر قد أشفق من ذلك ، فأرسل الزُّبير بن العوّام فى اثنى عشر ألف ، فشهد معه فتح مصر . قال : فاختطّ الزُّبيرُ بمصر والإسكندرية خطّتين .

٥٣٤ — وحدثنى ابراهيم بن مسلم الخوارزمى عن عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى فراس ،

عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال : اشتبه على الناس أمر مصر ، فقال قوم : فُتحت عنوةً ، وقال آخرون . فُتِحت صلحاً ، والثَلَجُ فى أمرها أنّ أبى قدمها ، فقاتله أهل اليونة ، ففتحها قهراً وأدخلها المسلمين ، وكان الزُّبير أول من

علا حصنها . فقال صاحبها لأبى : إنّه قد بلغنا فعلكم بالشام ، ووضعكم الجزية على النصارى واليهود ، وإقراركم الأرض فى أيدى أهلها يعمرونها ويؤدّون خراجها . فإن فعلتم بنا مثل ذلك كان أردّ عليكم من قتلنا وسبينا وإجلائنا . قال . فاستشار أبى المسلمين ، فأشاروا عليه بأن يفعل ذلك ، إلا نفراً منهم سألوا أن يقسم الأرض بينهم ، فوضع على كلّ حالم دينارين جزية ، إلاّ أن يكون فقيراً . وألزم كلّ ذى أرض مع (ص ٢١٤) الدينارين ثلاثة أرادب حنطة وقسطى زيت وقسطى عسل وقسطى خل رزقاً للمسلمين تجمع فى دار الرزق وتقسم فيهم . وأحصِىَ المسلمون فألزمَ جميع أهلِ مصر لكل رجل منهم جبّةَ صوف وبرنساً أو عمامةً وسراويلَ وخفين فى كل عام ، أو عَدْلَ الجبة الصوف ثوباً قبطياً ، وكتب عليهم بذلك كتاباً ، وشرط لهم إذا وفوا بذلك أن لا تباع نساؤهم وأبناؤهم ولا يُسبَوْا ، وأن تقرّ أموالهم وكنوزهم فى أيديهم . فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر فأجازه ، وصارت الأرضُ أرضَ خراجٍ ، إلاّ أنه لما وقع هذا الشرط والكتاب ظنّ بعضُ الناس أنها فتحت صلحاً .

قال : ولما فرغ ملك اليونة من أمر نفسه ومَنْ معه فى مدينته صالح عن جميع أهل مصر على مثل صلح اليونة . فرضوا به وقالوا : هؤلاء الممتنعون قد رضوا وقنعوا بهذا ، فنحن به أقنع ، لأننا فرش لا منعة لنا . ووضع الخراج على أرض مصر ، فجعل على كل جريب ديناراً وثلاثة أرادب طعاماً ، وعلى رأس كل حالم دينارين ، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

٥٣٥ — وحدثنى عمرو الناقد عن عبد الله بن وهب المصرى عن الليث ،

عن يزيد بن أبى حبيب أنّ المُقَوْقِس صالح عمرو بن العاصى على أن يسير من الروم من أراد ويقرّ من أراد الإقامة من الروم على أمرٍ سمّاه ، وأن يفرض

على القبط دينارين ، فبلغ ذلك ملك الروم فتسخّطه و بعثَ الجيوشَ ، فأغلقوا باب الإسكندرية وآذنوا عَمْراً بالحرب ، فخرج إليه المُقَوْقِس فقال : أسألك ثلاثاً : أنْ لا تبذل للروم مثل الذى بذلت لى فإنهم قد استغشّونى ، وأن لا تنقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قبلهم ، وإن مت فَمُرْ بدفنى فى كنيسةٍ بالإسكندرية ذكرها . فقال عمرو : هذه أهونهنَّ علىَّ . وكانت قرى من مصر قاتلت ، فسبى منهم . والقرى : بِلْهيت والخَيْس وسُلْطَيْس . فوقع (ص ٢١٥) سباؤهم بالمدينة ، فردّهم عمر بن الخطاب وصيّرهم وجماعة القبط أهل ذمة . وكان لهم عهد لم ينقضوه . وكتب عمرو بفتح الإسكندرية إلى عمر :

« أما بعد ، فإنّ الله قد فتح علينا الإسكندرية عنوةً قسراً بغير عهد ولا عقد » .

وهى كلها صلح فى قول يزيد بن أبى حبيب .

٥٣٦ — حدثنى أبو أيوب الرقى عن عبد الغفار عن ابن لهيعة ،

عن يزيد بن أبى حبيب قال : جبى عمرو خراجَ مصر وجزيتها ألفىْ ألف ، وجباها عبد الله بن سعد بن أبى سرح أربعة آلاف ألف ، فقال عثمان لعمرو : إنّ اللّقاح بمصر بعدك قد درّت ألبانها . قال : ذاك لأنكم أعجفتم أولادها .

قال : وكتب عمر بن الخطاب فى سنة إحدى وعشرين إلى عمرو بن العاصى يُعلمه ما فيه أهل المدينة من الجهد ويأمره أن يحمل ما يفيض من الطعام فى الخراج إلى المدينة فى البحر . فكان ذلك يُحمل ويُحمل معه الزيت . فإذا ورد الجار تولى قبضه سعد الجار . ثم جُعل فى دار بالمدينة وقسم بين الناس بمكيال . فانقطع ذلك فى الفتنة الأولى ، ثم حُمل فى أيام معاوية ويزيد ، ثم انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان ، ثم لم يزل يُحمل إلى خلافة أبى جعفر أو قُبَيْلَها .

٥٣٧ — وحدثنى بكر بن الهيثم قال : حدثنى أبو صالح عبد الله بن صالح عن الليث ابن سعد ،

عن يزيد بن أبى حبيب أنّ أهلَ الجزية بمصر صولحوا فى خلافة عمر بعد الصلح الأوّل مكان الحنطة والزيت والعسل والخل على دينارين دينارين . فألزم كلُّ رجل أربعة دنانير ، فرضوا بذلك وأحبوه .

٥٣٨ — وحدثنى أبو أيوب الرقى قال : حدّثنى عبد الغفار الحرّانى عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ،

عن الجيشانى قال : سمعتُ جماعة ممن شهد فتح مصر يخبرون أنّ عمرو ابن العاصى لما فتح الفُسطاط وجّه عبدَ الله بن حُذافة السهمى إلى عَيْنِ شمس ، فغلب على (ص ٢١٦) أرضها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفُسطاط . ووجّه خارجةَ بن حُذافة العدوىّ إلى الفيّوم والأشْمونين ، وإخْمِيم ، والبُشْرُودات ، وقرى الصَّعيد ، ففعل مثل ذلك . ووجّه عُمير بن وهب الجُمحى إلى تِنِّيس ، ودِمْياط ، وتُونَة ، ودَميرة ، وشَطَا ، ودِقَهْلَة ، وبَنَا ، وبُوصِير ، ففعل مثل ذلك . ووجّه عُقبةَ بن عامر الجُهَنى ، ويقال وَرْدان مولاه صاحب سوق وَرْدان بمصر ، إلى سائر قرى أسفل الأرض ، ففعل مثل ذلك . فاستجمع عمرو بن العاصى فتح مصر ، فصارت أرضها أرض خراج .

٥٣٩ — وحدثنا القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الغفار الحرّانى عن ابن لهيعة عن إبراهيم بن محمد عن أيوب بن أبى العالية ،

عن أبيه قال : سمعتُ عمرو بن العاصى يقول على المنبر : لقد قعدتُ مقعدى هذا وما لِأحدٍ من قبط مصر علىّ عهد ولا عقد . إن شئتُ قتلتُ ، وإن شئتُ خمسْتُ ، وإن شئت بعتُ ، إلاّ أهل أَنْطابُلُس فإن لهم عهداً يوفَى لهم به .

٥٤٠ — وحدثنى القاسم بن سلام قال : حدثنى به عبد الله بن صالح عن موسى بن على ابن رباح اللخمى ،

عن أبيه قال : المغربُ كله عنوة .

٥٤١ — حدثنا أبو عبيد عن سعيد بن أبى مريم عن ابن لهيعة ،

عن الصَّلْت بن أبى عاصم كاتب حيّان بن شُرَيْح أنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيّان ، وكان عامله على مصر ، أنَّ مصر فُتحت عنوةً بغير عهد ولا عقد .

٥٤٢ — وحدثنى أبو عُبيد قال : حدثنا سعيد بن أبى مريم عن يحيى بن أيوب ،

عن عُبيد الله بن أبى جعفر قال: كتب معاوية إلى وَردان مولى عمرو أن زِد على كل امرىء من القبط قيراطاً . فكتب اليه : كيف أزيدُ عليهم وفى عهدهم أن لا يُزاد عليهم

٥٤٣ — وحدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن عبد الحميد بن جعفر ،

عن ابيه قال : سمعتُ عُروة بن الزّبير يقول : أقمتُ بمصر سبع سنين ، وتزوجت بها ، فرأيت أهلها مجاهيد ، قدحمل عليهم فوق طاقتهم ، وإنما فتحها عمرو بصلحٍ وعهدٍ (ص ٢١٧) وشىء مفروض عليهم

٥٤٤ — وحدثنى بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى علاقة ،

عن عقبة بن عامر الجُهنى قال : كان لأهل مصر عهدٌ وعقد . كتب لهم عمرو أنهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم لا يُباع منهم أحد ،

وفرض عليهم خراجاً لايُزاد عليهم، وأن يدفَعَ عنهم خوف عدوهم . قال عقبة : وأنا شاهد على ذلك ،

٥٤٥ — وحدثنى الحسين بن الأسود قال : حدثنى يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ،

عن من سمع عبد الله بن المغيرة بن أبى بردة قال : سمعت سفيان بن وهب الخولانى يقول : لما افتتحنا مصر بلا عهد قام الزّبير بن العوام فقال : يا عمرو ا اقسمها بيننا . فقال عمرو : لا والله ، لا أقسمها حتى أكتب إلى عمر . فكتب إلى عمر ، فكتب اليه فى جواب كتابه : أَن اقرّها حتى يغزو منها حَبَلُ الحَبَلَة أو قال يغدو .

٥٤٦ — وحدثنى محمد بن سعد عن الواقدى محمد بن عمر عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه ،

عن جده قال : فتح عمرو بن العاصى مصر سنة عشرين ، ومعه الزبير . فلما فتحها صالحه أهل البلد على وظيفة وظفها عليهم ، وهى ديناران على كل رجل، وأخرج النساء والصبيان من ذلك . فبلغ خراج مصر فى ولايته ألفى ألف دينار . فكان بعد ذلك يبلغ أربعة آلاف ألف دينار .

٥٤٧ — وحدثنى أبو عبيد قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث ،

عن يزيد بن أبى حبيب أنّ المُقَوْقِس صاحب مصر صالح عمروَ بن العاصى على أن فرض على القبط دينارين دينارين . فبلغ ذلك هِرَقْل صاحب الروم ، فسخط أشدّ السخط ، وبعث الجيوش إلى الإسكندريّة وأغلقها . ففتحها عمرو ابن العاصى عنوةً .

٥٤٨ — وحدثنى ابن القتات ، وهو أبو مسعود ، عن الهيثم عن المجالد ،

عن الشعبى أنّ علىّ بن الحسين أو الحسين نفسه كلّم (ص ٢١٨) معاوية فى جزية أهل قرية أمّ ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر ، فوضعها عنهم . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يوصى بالقبط خيراً .

٥٤٩ — وحدثنى عمرو عن عبد الله بن وهب عن مالك والليث عن الزهرى ،

عن ابنٍ لكعب بن مالك أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإنّ لهم ذمة ورحماً . وقال الليث : كانت أم اسماعيل منهم .

٥٥٠ — أبو الحسن المدائنى ،

عن عبد الله بن المبارك قال : كان عمر بن الخطاب يكتب أموال عماله إذا ولاّهم ، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك ، وربما أخذه منهم . فكتب إلى عمرو ابن العاصى : إنه قد فشتْ لك فاشيةٌ من متاع ورقيق وآنيةٍ وحيوان لم تكن حين وُلّيت مصر . فكتب إليه عمرو : إنّ أرضنا أرض مزدرعٍ ومتّجر ، فنحن نصيب فضلاً عن ما نحتاج إليه لنفقتنا . فكتب إليه : إني قد خُبِّرتُ من عُمّال السوء ما كفى ، وكتابك إلىّ كتاب مَنْ قد أقلقه الأخذُ بالحق . وقد سؤت بك ظناً ، وقد وجّهتُ إليكَ محمد بن مَسْلَمة ليقاسمك مالك . فأطلِعْهُ طلعه ، وأخْرِجْ إليه ما يطالبك ، واعفِه من الغلظة عليك ، فإنه برح الخفاء . فقاسمَهَ ماله .

٥٥١ — المدائنى عن عيسى بن يزيد قال : لما قاسم محمدُ بن مَسْلَمَة عمروَ ابن العاصى قال عمرو : إن زماناً عاملنا فيه ابن حَنْتَمَة هذه المعاملة لزمان سوء . لقد كان العاصى يلبس الخز بكفاف الديباج . فقال محمد : مَهْ ! لولا زمانُ ابن حَنْتَمَة هذا الذى تكرهه أُلْفِيتَ مُعْتَقِلاً عنزا بفناء بيتك يسرُّك غزرها ويسوءك بكؤها . قال : أنشدك الله أن لا تُخبر عمر بقولى ، فإنّ المجالس بالأمانة . فقال : لا أذكر شيئاً مما جرى بيننا وعمر حىّ .

٥٥٢ — وحدثني عمرو الناقد عن عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة ، عن عبد الله بن هُبيرة أنّ مصر فتحت عنوة .

٥٥٣ — وحدثنى عمرو عن ابن وهب عن ابن (ص ٢١٩) لهيعة عن ابن أنعم عن أبيه ، عن جده ، وكان ممن شهد فتح مصر ، قال : فُتحت مصرُ عنوةً بغير عهد ولا عقد .

فتح الإسكندرية

٥٥٤ — قالوا : لما افتتح عمرو بن العاصى مصر أقام بها . ثم كتب إلى عمر بن الخطاب يستأمرُه فى الزحف إلى الإسكندرية . فكتب إليه يأمره بذلك . فسار إليها فى سنة إحدى وعشرين واستخلف على مصر خارجةَ بن حُذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عُبيد بن عويج بن عَدِىّ بن كعب ابن لُؤىّ بن غالب . وكان مَنْ دون الإسكندريّة من الروم والقبط قد تجمعوا له ، وقالوا : نغزوه بالفُسطاط قبل أن يبلغنا ويروم الإسكندرية . فلقيهم بالكِرْيَوْن فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وكان فيهم من أهل سَخَا ، وبِلْهيت ، والخَيْس ، وسُلْطَيْس ، وغيرهم قوم رفدوهم وأعانوهم . ثم سار عمرو حتى انتهى إلى الإسكندرية فوجد أهلها معدّين لقتاله ، إلاّ أن القبط فى ذلك يحبّون الموادعة . فأرسل إليه المُقَوْقِس يسأله الصلح والمهادنة إلى مدة ، فأبى عمرو ذلك . فأمر المُقَوْقِس النساء أن يقمنَ على سور المدينة مقبلاتٍ بوجوههن إلى داخله ، وأقام الرجال فى السلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليُرهبَهم بذلك . فأرسل إليه عمرو : إنّا قد رأينا ما صنعتَ ، وما بالكثرة غلبنا من غلبنا . فقد لقينا هِرَقْل ملككم فكان من أمره ما كان . فقال المُقَوْقِسُ لأصحابه : قد صدق هؤلاء القوم . أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى أدخلوه القسطنطينية ، فنحن أولى بالإذعان . فأغلظوا له القول وأبوا إلاّ المحاربة . فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً وحصروهم ثلاثة أشهر . ثم إن عَمْراً فتحها بالسيف ، وغنم ما (ص ٢٢٠) فيها واستبقى أهلها ، ولم يسبِ ، وجعلهم ذمةً كأهل اليُونة . فكتب إلى عمر بالفتح مع معاوية بن حُدَيْج الكندى ثم السَّكونى وبعث إليه معه بالخمس

ويقال إنّ المُقَوْقِس صالح عَمْراً على ثلاثة عشر ألف دينار ، على أن يخرج من الإسكندرية مَنْ أراد الخروج ويقيم بها من أحبّ المقام ، وعلى أن يفرض على كل حالم من القبط دينـــارين . فكتب لهم بذلك كتاباً . ثم إن عمرو ابن العاص استخلف على الإسكندرية عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدّى ابن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤى فى رابطـةٍ من المسلمين وانصرف إلى الفُسطاط . وكتب الروم إلى قُسْطَنْطِين بن هِرَقْل ، وهو كان الملك يومئذ ، يُخبرونه بقلّة مَنْ عندهم من المسلمين ، وبما هم فيه من الذّلة وأداء الجزية . فبعث رجلاً من أصحابه يُقال له مَنُويل فى ثلاث مئة مركب مشحونة بالمقاتلة . فدخل الإسكندرية وقتل مَنْ بها من روابط المسلمين إلا من لطف للهرب فنجا ، وذلك فى سنة خمس وعشرين . وبلغ عَمْراً الخبر فسار إليهم فى خمسة عشر ألفاً ، فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيثون فيما يلى الإسكندرية من قرى مصر . فلقيهم المسلمون فرشقوهم بالنّشّاب ساعة والمسلمون متترّسون ، ثم صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم إن أولئك الكفرة ولّوا منهزمين ، فلم يكن لهم ناهية ولا عرجة دون الإسكندرية . فتحصّنوا بها ونصبوا العرّادات . فقاتلهم عمرو عليها أشدّ قتالٍ ، ونصب المجانيق فأخرب جُدُرها ، وألحّ بالحرب حتى دخلها بالسيف عنوةً، فقتل المقاتلة وسبى الذرّية . وهرب بعضُ رومها إلى الروم ، وقُتل عدوُ الله مَنُويل . وهدم عمرو والمسلمون جدار الإسكندرية ، وكان عمرو نذر لئن فتحها ليفعلنّ ذلك .

وقال بعضُ الرواة : إنّ هذه الغزاة كانت فى سنة ثلاث وعشرين . وروى بعضهم أنهم نقضوا فى سنة ثلاث وعشرين (ص ٢٢١) وسنة خمس وعشرين . والله أعلم .

٥٥٥ — قالوا : ووضع عمرو على أرض الإسكندرية الخراج وعلى أهلها الجزية . ورُوِى أنّ المُقَوْقِس اعتزل أهل الإسكندرية حين نقضوا، فأقرّه عمرو ومَنْ معه على أمرهم الأول . ورُوِى أيضاً أنه كان مات قبل هذه الغزاة .

٥٥٦ — حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن اسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن حبّان بن شُرَيْح ،

عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه قال : لم نفتح قرية من المغرب على صلح إلا ثلاثاً : الاسكندريّة وكَفْرَطيس وسُلْطَيْس . فكان عمر يقول : من أسلم من أهل هذه المواضع خلّى سبيله وسبيل ماله .

٥٥٧ — حدثنى عمرو الناقد قال : حدثنا ابن وهب المصرى عن ابن لهيعة ،

عن يزيد بن أبى حبيب أنه قال : افتتح عمرو بن العاصى الاسكندريّة فسكنها المسلمون فى رباطهم ، ثم قفلوا ، ثم غزوا وابتدروا إلى المنازل . فكان الرجل يأتى المنزل الذى كان ينزله فيجد صاحبه قد نزله وبدر إليه . فقال عمرو: إنى أخاف أن تخرب المنازل إذا كنتم تتعاورونها . فلما غزا فصاروا عند الكِرْيَوْن قال لهم : سيروا على بركة الله . فمن ركز منكم رمحاً فى دار فهى له ولبنى أبيه . فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى بعض بيوتها ، ويأتى الآخر فيركز رمحه كذلك أيضاً . فكانت الدار بين النفسين والثلاثة ، فكانوا يسكنونها ، فإذا قفلوا سكنها الروم . فكان يزيد بن أبى حبيب يقول : لا يحلّ لأحد شىء من كرائها ، ولا تُباع ولا تورث ، إنما كانت لهم سكنى أيام رباطهم . فلما كان قتالها الآخر وقدمها مَنُويل الرومى الخصىّ أغلقها أهلها ففتحها عمرو وأخرب سورها .

٥٥٨ — قالوا : ولما وَلّى عمرو وَرْدان مولاه الإسكندرية ورجع إلى الفسطاط فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتاه عزله . فولّى عثمانُ بعدَه عبدَ الله بن سعد بن أبي سَرْح بن الحارث أحد بني عامر بن لؤى . وكان أخا عثمان من الرضاعة . وكانت ولايته فى سنة خمس وعشرين .

ويقال : (ص٢٢٢) إن عبدالله بن سعد كان على خراج مصر من قِبَل عثمان . فجرى بينه وبين عمرو كلام . فكتب عبدالله يشكو عمْراً ، فعزله عثمان وجمع العملين لعبد الله بن سعد . وكتب اليه يُعلمه أن الإسكندرية فُتحت مرةً عُنوة وانتقضت مرتين ، ويأمره أن يلزمها رابطةً لا تُفارقُها ، وأن يدرّ عليهم الأرزاق ، ويعقب بينهم فى كل ستة أشهر .

٥٥٩ — وحدثنى محمد بن سعد ،

عن الواقدى أنّ ابن هرمز الأعرج القارىء كان يقول : خيرُ سواحلكم رباطاً الإسكندرية . فخرج اليها من المدينة مرابطاً فمات بها سنة سبع عشرة ومئة .

٥٦٠ — وحدثنى بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن موسى بن على ،

عن أبيه قال : كانت جزية الإسكندرية ثمانية عشر ألفَ دينار . فلما كانت ولاية هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار .

٥٦١ — حدثنى عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة ،

عن يزيد بن أبى حبيب قال : كان عثمان عزل عمرو بن العاصى عن مصر وجعل عليها عبد الله بن سعد . فلما نزلت الروم الإسكندرية سأل أهلُ مصر عثمان أن يقرّ عمْراً حتى يفرغ من قتال الروم ، لأنّ له معرفةً بالحرب وهيبةً

فى أنفس العدو . ففعل ، حتى هزمهم . فأراد عثمان أن يجعل عَمْراً على الحرب وعبدَ الله على الخراج . فأبى ذلك عمرو وقال : أنا كماسكِ قَرْنَىِ البقرة والأمير يحلبها . فولّى عثمانُ ابنَ سعد مصر . ثم أقامت الحبش من البِـيَما بعد فتح مصر يقاتلون سبع سنين ما يقدر عليهم لما يفجِّرون من المياه فى الغياض .

قال عبد الله بن وهب : وأخبرنى الليث بن سعد عن موسى بن على عن أبيه أن عمْراً فتح الإسكندرية الفتحَ الآخر عنوةً فى خلافة عثمان بعد وفاة عمر رحمه الله (ص٢٢٣) .

فتحُ بَرْقة وزَوِيلَة

٥٦٢ — حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن شُرَحْبِيل بن أبى عون ،

عن عبد الله بن هُبيرة قال : لما فتح عمرو بن العاصى الإسكندريّة سار فى جنده يريد المغرب ، حتى قدم بَرْقَة ، وهى مدينة أنطابُلُس . فصالح أهلها على الجزية وهى ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبّوا بيْعه .

٥٦٣ — حدثنى بكر بن الهيثم قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن سهيل بن عقيل ،

عن عبد الله بن هُبيرة قال : صالح عمرو بن العاصى أهل أنطابُلُس ومدينتها بَرْقَة ، وهى بين مصر وإفريقية ، بعد أن حاصرهم وقاتلهم على الجزية ، على أن يبيعوا من أبنائهم مَنْ أرادوا فى جزيتهم . وكتب لهم بذلك كتابا .

٥٦٤ — حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن مَسْلَمَة بن سعيد ،

عن اسحاق بن عبد الله ابن أبى فَروة قال : كان أهل بَرْقَة يبعثون بخراجهم إلى والى مصر من غير أن يأتيهم حاثٌّ أو مُسْتَحِثٌّ . فكانوا أخصب قوم بالمغرب ، ولم يدخلها فتنة .

قال الواقدى : وكان عبد الله بن عمرو بن العاصى يقول : لولا مالى بالحجاز لنزلتُ بَرْقَة فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها .

٥٦٥ — وحدثنى بكر بن الهيثم قال : حدثنا عبد الله بن صالح ،

عن معاوية بن صالح قال : كتب عمرو بن العاصى إلى عمر بن الخطاب يُعلمه أنه قد ولّى عقبة بن نافع الفِهرى المغرب فبلغ زَوِيلَة ، وأنّ من بين زَوِيلة

وبَرقة سلم كلهم حسنة طاعتهم ، قد أدّى مُسلمهم الصدقة وأقرّ معاهدهم بالجزية ، وأنه قد وضع على أهل زَوِيلة ومَنْ بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه . وأمر عمّاله جميعاً (ص ٢٢٤) أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردّوها فى الفقراء ، ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل إليه بمصر ، وأن يؤخذ من أرض المسلمين العُشر ونصف العُشر ، ومِن أهل الصلح صلحهم .

٥٦٦ — وحدثنى بكر بن الهيثم قال : سألت عبد الله بن صالح عن البربر فقال : هم يزعمون أنهم ولد برّ بن قيس ، وما جعل الله لقيس ولداً يقال له برّ ، وإنما هم من الجبّارين الذين قاتلهم داود عليه السلام . وكان منازلهم على أيادى الدهر فِلَسْطين ، وهم أهل عمود فأتوا المغرب فتناسلوا به .

٥٦٧ — حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث ابن سعد ،

عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاصى كتب فى شرطه على أهل لُواتَة من البربر من أهل برقة : إن عليكم أن تبيعوا أبناءكم ونساءكم فيما عليكم من الجزية .

قال الليث : فلو كانوا عبيداً ماحلّ ذلك منهم .

٥٦٨ — وحدثنى بكر بن الهيثم قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة ،

عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر بن عبد العزيز كتب فى اللُواتيّات أنّ من كانت عنده لُواتيّة فليخطبها إلى أبيها أو فليرددها إلى أهلها . قال : ولُواتة قرية من البربر كان لهم عهد .

فتح أَطْرا بُلس

٥٦٩ — حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح ،

عن عليّ بن أبي طلحة قال : سار عمرو بن العاصي حتى نزل أَطْرا بُلس في سنة اثنتين وعشرين . فقوتل، ثم افتتحها عنوةً واصاب بها أحمالَ بُزْيُون كثيرةً مع تجّار من تجارها ، فباعه وقسم ثمنه بين المسلمين . وكتب إلى عمر بن الخطاب :

إنا قد بلغنا أَطْرا بُلس وبينها و بين إفريقية تسعة أيام . فإن رأى أمير المؤمنين (ص ٢٢٥) أن يأذنَ لنا في غزوها فعل .

فكتب إليه ينهاه عنها ويقول : ماهي بإفريقية ولكنها مفرِّقة غادرة مغدور بها. وذلك أن أهلها كانوا يؤدّون إلى ملك الروم شيئاً فكانوا يغدرون به كثيراً ، وكان ملك الأندلس صالحهم ثم غَدَرَ بهم . وكان خبرهم قد بلغ عمر .

٥٧٠ — حدثني عمرو الناقد قال : حدثنا عبد الله بن وهب ،

عن اللّيث بن سعد قال : حدثني مشيختنا أن أَطْرا بُلس فُتحت بعهدٍ من عمرو بن العاصي .

فتح إفريقيّة

٥٧١ — قالوا : لما وُلّى عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح مصر والمغرب بعث المسلمين فى جرائد خيل ، فأصابوا من أطراف إفْرِيقيّة وغنموا . وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه متوقفاً عن غزوها ، ثم إنه عزم على ذلك بعد أن استشار فيه . وكتب إلى عبد الله فى سنة سبع وعشرين ويقال فى سنة ثمان وعشرين ويقال فى سنة تسع وعشرين ، يأمره بغزوها ، وأمدّه بجيش عظيم فيه مَعْبَدُ بن العباس ابن عبد المطلب ، ومروانُ بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية ، والحارثُ بن الحكم أخوه ، وعبد الله بن الزّبير بن العوّام ، والمِسْوَر بن مَخْرَمَة بن نوفل بن أُهَيْب ابن عبد مَناف ابن زُهرة بن كِلاب ، وعبدالرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعاصم بن عمر ، وعُبيد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله بن عمرو بن العاصى ، وبُسْرُ بن أرْطاة بن عُوَيْمَر العامرى ، وأبو ذؤيب خُوَيْلد بن خالد الهذلى الشاعر وبها توفى ، فقام بأمره ابن الزّبير حتى واراه فى لحده . وخرج فى هذه الغزاة ممن حول المدينة من العرب خلق كثير .

٥٧٢ — حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن أسامة بن زيد بن أسلم عن نافع مولى آل الزبير ،

عن عبد الله بن الزّبير قال : (ص ٢٢٦) أغزانا عثمان بن عفان إفْرِيقيّة . وكان بها بَطْريق سُلطانه من أطْرابُلُس إلى طَنجَة . فسار عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح حتى حَلّ بعَقُوبَة ، فقاتله أياماً فقتله الله ، وكنتُ أنا الذى قتلته . وهرب جيشه فتمزّقوا . وبثّ ابن أبى سَرْح السرايا ففرّقها فى البلاد ، فأصابوا غنائم كثيرة واستاقوا من المواشى ما قدروا عليه . فلما رأى ذلك عظماء إفْرِيقيّة

اجتمعوا فطلبوا إلى عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم ثلاث مئة قنطار من ذهب ، على أن يكفّ عنهم ويخرج من بلادهم . فقبل ذلك .

٥٧٣ — وحدثني محمد بن سعد عن الواقدى عن أسامة بن زيد الليثى ،

عن ابن كعب أنّ عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح صالح بَطْريق إفْرِيقِيّة على ألفى ألفِ دينار وخمس مئة ألف دينار .

٥٧٤ — وحدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن موسى بن ضمرة المازنى ،

عن أبيه قال : لما صالح عبد الله بن سعد بَطْرِيق إفرِيقِيّة رجع إلى مصر ولم يولِّ على إفريقية أحداً . ولم يكن لها يومئذ قيروان ولا مصرٌ جامع .

قال : فلما قُتل عثمان ووُلِّى أمر مصر محمد بن حذيفة بن عُتبة بن ربيعة لم يوجّه إليها أحداً . فلما وُلِّى معاوية بن ابى سفيان وَلّى معاوية بن حُدَيْج السّكونى مصر . فبعث فى سنة خمسين عُقبةَ بن نافع بن عبد قيس بن لقيط الفهرى فغزاها واختطّها .

٥٧٥ — قالوا : ووجّه عقبةُ بُسْرَ بن أرطاة إلى قلعة من القيروان فافتتحها وقتل وسبى ، وهى اليوم تُعرف بقلعة بُسر ، وهى بالقرب من مدينة تدعى مجّانة عند معدن الفضة .

٥٧٦ — وقد سمعتُ مَنْ يذكر أنّ موسى بن نُصَيْر وجّه بُسْراً ، وبُسْرُ ابن اثنين وثمانين سنة ، إلى هذه القلعة فافتتحها .(ص ٢٢٧) وكان مولد بُسْر قبل

وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين . وغير الواقدى يزعم أنه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

٥٧٧ — وقال الواقدى : ولم يزل عبد الله بن سعد والياً حتى غلب محمد بن أبي حُذيفة على مصر ، وهو كان أنغلها على عثمان . ثم إن علياً رضى الله عنه ولّى قيس بن سعد بن عُبادة الأنصارى مصر ، ثم عزله واستعمل عليها محمد بن أبي بكر الصديق ، ثم عزله وولّى مالكاً الأشتر ، فاعتل بالقُلزُم . ثم ولّى محمد بن أبي بكر ثانيةً وردّه عليها . فقتله معاوية بن حُدَيْج وأحرقه فى جوف حمار .

وكان الوالى عمرو بن العاصى من قبل معاوية بن أبي سفيان . فمات عمرو بمصر يوم الفطر سنة اثنتين وأربعين ، ويقال سنة ثلاث وأربعين ، وولّى عبد الله بن عمرو ابنه بعده . ثم عزله معاوية وولى معاوية بن حُدَيْج ، فأقام بها أربع سنين ، ثم غزا فغنم . ثم قدم مصر فوجّه عُقْبَةَ بن نافع بن عبد قيس الفهرى ، ويقال بل ولّاه معاوية المغربَ ، فغزا إفريقيّة فى عشرة آلاف من المسلمين . فافتتح إفريقيّة واختطّ قيرُوانها . وكان موضعَ القيرُوان غيضة ذات طرفاء وشجر لا يُرام من السباع والحيّات والعقارب القتّالة . وكان ابن نافع رجلاً صالحاً مستجابَ الدعوة . فدعا ربه فأذهب ذلك كله ، حتى إن كانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها .

٥٧٨ — وقال الواقدى : قلتُ لموسى بن علىّ : رأيتَ بناء إفريقيّة المتصل المجتمع الذى نراه اليوم مَنْ بناه ؟ فقال : أول من بناها عُقبة بن نافع الفهرى ، اختطها ثم بنى وبنى الناس معه الدور والمساكن ، وبنى المسجد الجامع بها .

قال : وبإفريقيّة استشهد معبد بن العباس رحمه الله فى غزاة ابن أبي سَرْح فى خلافة عثمان ، ويقال بل مات فى أيام القتال . واستشهاده أثبت .

٥٧٩ — وقال الواقدى وغيره : عزل معاوية بن أبى سفيان معاوية بن حُدَيْج وولّى مصر والمغرب مَسْلَمَةَ بن مَخْلَد الأنصارى . فولّى المغربَ أبا المهاجر مولاه . فلما وُلّى يزيدُ بن معاوية ردّ عُقبة بن نافع على (ص ٢٢٨) عمله . فغزا السوس الأدنى وهو خلف طَنْجَة ، وجوّل فيما هناك لا يعرض له أحد ولا يقاتله ، فانصرف . ومات يزيد بن معاوية وبويع لابنه معاوية بن يزيد ، وهو أبو ليلى . فنادى : الصلاة جامعة . ثم تبرّأ من الخلافة وجلس فى بيته ، ومات بعد شهرين . ثم كانت ولاية مروان بن الحكم وفتنة ابن الزّبير . ثم وُلّى عبد الملك بن مروان فاستقام له الناس . فاستعمل أخاه عبد العزيز على مصر ، فولّى إفريقيّة زُهَيْر بن قيس البلوى . ففتح تونس ثم انصرف إلى بَرْقَة . فبلغه أنّ جماعةً من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا ، فتوجّه إليهم فى جريدةِ خيلٍ فلقيهم فاستُشهد ومَنْ معه ، فقبره هناك . وقبورهم تدعى قبور الشهداء . ثم وُلّى حسانُ بن النعمان الغسّانى ، فغزا ملكة البربر الكاهنة فهزمته . فأتى قصوراً فى حيّز برقة فنزلها . وهى قصور يضمّها قصر سقوفه ازاج ، فسُمّيت قصور حسان . ثم إن حسان غزاها ثانية فقتلها وسبى سَبْياً من البربر ، وبعث به إلى عبد العزيز . فكان أبو مِحْجَن نُصَيْب الشاعر يقول : لقد حضرت عند عبد العزيز سبياً من البربر ما رأيت قط وجوهاً أحسن من وجوههم .

٥٨٠ — قال ابن الكلبى : وُلّى هشام كُلْثومَ بن عياض بن وَحْوَح القُشيرى إفريقيّة ، فانتقض أهلها عليه فقُتل بها .

وقال ابن الكلبى : كان إفْريقيس بن قيس بن صَيْفى الحِمْيَرى غلبَ على إفريقيّة فى الجاهلية ، فسُمّيت به . وهو قتل جُرْجِير ملكها . فقال للبرابرة : ما أكثر بَرْبَرَة هؤلاء ! فسُمّوا البرابرة .

٥٨١ — وحدّثنى جماعة من أهل إفريقيّة عن أشياخهم أن عقبة بن نافع الفِهرى لما أراد تمصير القيروان فكّر فى موضع المسجد منه . فأُرِى فى منامه كأن رجلاً أذّن فى الموضع الذى جعل فيه مئذنته . فلما أصبح (ص ٢٢٩) بنى المنار فى موقف الرجل ، ثم بنى المسجد .

٥٨٢ — وحدثنى محمد بن سعد ، عن الواقدى قال : وُلِّى محمد بن الأشعث الخزاعى إفريقيّة من قِبَل أبى العباس أمير المؤمنين . فرمّ مدينة القَيْرَوان ومسجدَها . ثم عزله المنصور ووَلَّى عمرَ بن حَفْص هِزارْمَرْد مكانه .

فتح طَنْجَــــة

٥٨٣ — قال الواقدى : وجّه عبدُ العزيز بن مروان موسى بن نُصَيْر مولى بنى أمية — وأصله من عين التمر . ويقال بل هو من أراشة من بَلِىّ ، ويقال هو من لخم — والياً على إفريقِيّة . ويقال بل وليها فى زمن الوليد بن عبد الملك سنة تسع وثمانين . ففتح طَنْجَة ونزلها ، وهو أول من نزلها واختطّ فيها للمسلمين . وانتهت خيله إلى السوس الأدنى وبينه وبين السوس الأقصى نيّف وعشرون يوماً ، فوطئهم وسبى منهم ، وأدّوا إليه الطاعة ، وقبض عامله منهم الصدقة . ثم ولاّها طارقَ بن زياد مولاه وانصرف إلى قيروان إفريقِيّة .

فتح الأندلس

٥٨٤ — قال الواقدى : غزا طارقُ بن زياد عاملُ موسى بن نُصَيْر الأندلس وهو أول من غزاها ، وذلك فى سنة اثنتين وتسعين . فلقيه أُلْيان وهو والٍ على مجاز الأندلس فآمنه طارق على أن حمله وأصحابَه إلى الأندلس فى السفن . فلما صار إليها حارب أهلها ففتحها ، وذلك فى سنة اثنتين وتسعين . وكان ملكها فيما يزعمون من الأشبان ، وأصلهم من أصبهان . ثم إن موسى بن نُصَيْر كتب إلى طارق كتاباً غليظاً (ض ٢٣٠) لتغريره بالمسلمين وافتياته عليه بالرأى فى غزوه ، وأمره أن لا يُجاوز قُرْطُبَة . وسار موسى إلى قُرْطُبَة من الأندلس فترضّاه طارق فرضِى عنه . فافتتح طارق مدينة طُلَيْطُلَة ، وهى مدينة مملكة الأندلس ، وهى مما يلى فرنجة ، وأصاب بها مائدةً عظيمة أهداها موسى بن نُصير إلى الوليد بن عبد الملك بدمشق حين قفل سنة ست وتسعين ، والوليد مريض . فلمّا وُلّى سليمان ابن عبد الملك أخذ موسى بن نُصير بمئة ألف دينار . فكلّمه فيه يزيد بن المهلب فأمسك عنه . ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ولّى المغرب اسماعيلَ بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بنى مخزوم . فسار أحسنَ سيرة ، ودعا البربر إلى الإسلام . وكتب إليهم عمر بن عبد العزيز كتباً يدعوهم بعد إلى ذلك . فقرأها اسماعيل عليهم فى النواحى فغلب الإسلام على المغرب .

٥٨٥ — قالوا : ولما وُلّى يزيد بن عبد الملك وَلَّى يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج بن يوسف إفريقيّة والمغْرِب . فقدم إفريقيّة فى سنة اثنتين ومئة . وكان حرسه البربر ، فوسم كل امرئ منهم على يده حرسىّ . فانكروا ذلك وملّوا

سيرته فدبّ بعضهم إلى بعض وتضافروا على قتله ، فخرج ذات عشيةٍ لصلاة المغرب فقتلوه فى مصلاّه .

فولّى يزيدُ بِشْرَ بن صَفْوان الكلبي ، فضرب عنق عبد الله بن موسى بن نصير بيزيد . وذلك أنه اتهم بقتله وتأليب الناس عليه .

ثم وَلّى هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان أيضاً ، فتوفى بالقَيْرُوان سنة تسع ومئة . فولّى مكانه عُبيدة بن عبد الرحمن القيسى .

ثم استعمل بعده عبد الله بن الحَبْحَاب مولى بنى سَلُول . فأغزا عبد الرحمن ابن حبيب بن أبى عبيدة بن عُقبة بن نافع الفِهرى السوسَ وأرضَ السودان . فظفر ظفراً لم (ص ٢٣١) يرَ أحدٌ مثله قطّ ، وأصاب جاريتين من نساء ما هناك ليس للمرأة منهنّ إلاّ ثدى واحد وهم يسمون تراجان .

ثم ولّى بعد ابن الحَبْحَاب كلثومَ بن عِياض القُشَيْرى ، فقدم إفرِيقيّة فى سنة ثلاث وعشرين فقُتل . ثم ولّى بعده حَنْظَلَة بن صفوان الكلبي أخا بشر بن صفوان فقاتل الخوارج وتوفى هناك وهو وال .

وقام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فخالف عليه عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، وكان محبباً فى ذلك الثغر ، لِما كان من أثار جده عُقبة بن نافع فيه ، فغلب عليه وانصرف عنه حنظلة . فبقى عبد الرحمن عليه .

ووُلّى يزيد بن الوليد الخلافة فلم يبعث إلى المغرب عاملاً .

وقام مروان بن محمد فكاتبه عبد الرحمن بن حبيب وأظهر له الطاعة و بعث إليه بالهدايا . وكان كاتبه خالد بن ربيعة الإفريقى ، وكان بينه و بين عبد الحميد ابن يحيى مودّة ومكاتبة ، فأقرّ مروانُ عبدَ الرحمن على الثغر .

ثم وُلّى بعده الياس بن حبيب ، ثم حبيب بن عبد الرحمن ، ثم غلب البربر والإباضيّة من الخوارج .

ثم دخل محمد بن الأشعث الخزاعى إفريقيـة والياً عليها فى آخر خلافة أبى العباس فى سبعين ألفاً ، ويقال فى أربعين ألفاً ، فوليها أربع سنين . فرمّ مدينة القَيْرُوان . ثم وثب عليه جند البلد وغيرهم .

وسمعت من يُحدِّث أن أهل البلد والجند المقيمين فيه وثبوا به فمكث يقاتلهم أربعين يوماً وهو فى قصره ، حتى اجتمع إليه أهل الطاعة ممن كان شَخَصَ معه من أهل خراسان وغيرهم ، وظفر بمن حاربه ، وعرضهم على الأسماء : فمن كان اسمه معاوية أو سفيان أو مروان أو اسماً موافقاً لأسماء بنى أمية قتله ، ومن كان اسمه خلاف ذلك استبقاه . فعزله المنصور ، وولّى عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبى صُفْرة العَتَكى ، وهو الذى سُمِّى هِزارْمَرْد ، وكان المنصور به معجباً . فدخل إفريقية وغزا منها حتى بلغ أقصى بلاد البربر ، (ص ٢٣٢) وابتنى هنالك مدينة سمّاها العباسية . ثم إن أبا حاتم السَّدْراتى الإباضى من أهل سَدْراتة ، وهو مولى لكندة ، قاتله . فاستُشهد وجماعة من أهل بيته ، وانتقض الثغر وهُدمت تلك المدينة التى ابتناها . وولّى بعد هِزارْمَرْد يزيدَ بن حاتم بن قَبيصة ابن المهلّب . فخرج فى خمسين ألفاً ، وشيّعه أبو جعفر المنصور إلى بيت المقدس ، وأنفق عليه مالاً عظيماً . فسار يزيدُ حتى لقى أبا حاتم بأَطْرَابُلُس ، فقتله ودخل إفريقية . فاستقامت له . ثم ولّى بعد يزيد بن حاتم روحَ بن حاتم ، ثم الفضلَ ابن روح فوثب الجند عليه فذبحوه .

٥٨٦ — وحدثنى أحمد بن ؛ قد مولى بنى الأغلب قال : كان الأغلب بن سالم التميمى من أهل مَرْو الرُّوذ فى مَنْ قَدِم مع المُسَوِّدة من خُراسان ، فولاّه

موسى الهادى المغرب . فجمع له حَرِيش ، وهو رجل كان من جنـد الثغر من تونس ، جمعاً وسار إليه وهو بقيرُوان إفريقية فحصره . ثم إن الأغلب خرج إليه فقاتله ، فأصابه فى المعركة سهم فسقط ميتاً وأصحابه لا يعلمون بمصابه . ولم يعلم به أصحاب حَرِيش . ثم إن حريشاً انهزم وجيشه فاتبعهم أصحاب الأغلب ثلاثة أيام فقتلوهم وقتلوا حَرِيشاً بموضع يُعرف بسوق الأحد . فسُمّى الأغلب الشهيد .

قال : وكان ابراهيم بن الأغلب من وجوهِ جند مصر . فوثب واثنا عشر رجلاً معه فأخذوا من بيت المال مقدار أرزاقهم لم يزدادوا على ذلك شيئاً وهربوا ، فلحقوا بموضع يقال له الزاب ، وهو من القيروان على مسيرة أكثر من عشرة أيام ، وعاملُ الثغر يومئذ من قِبَل الرشيد هارون هَرْثَمَة بن أعْيَن . واعتقد ابراهيم بن الأغلب على مَنْ كان من تلك الناحية من الجند وغيرهم الرياسة ، وأقبل يهدى إلى هَرْثَمَة ويلاطفه ويكتب إليه يُعلمه أنه لم يُخرج يداً من طاعة ولا اشتمل على معصية (ص ٢٣٣) ، وأنه إنما دعاه إلى ما كان منه الأحواج والضرورة . فولاّه هَرْثَمَة ناحيته واستكفاه أمرها . فلما صُرف هَرْثَمَة من الثغر وليه بعده ابن العكىّ . فساء أثره فيه حتى انتقض عليه . فاستشار الرشيدُ هَرْثَمَة فى رجلٍ يوليه إيّاه ويقلده أمره . فأشار عليه باستصلاح ابراهيم واصطناعِه وتوليته الثغر . فكتب إليه الرشيد يُعلمه أنه قد صفح له عن جرمه وأقاله هفوتَه ورأى توليتَه بلاد المغرب اصطناعاً له ، ليستقبل به الاحسان ويستقبل به النصيحة . فولّى ابراهيم ذلك الثغر وقام به وضبطه .

ثم إن رجلاً من جند البلد يُقال له عِمْران بن مُجَالِد خالف ونقض . فانضمّ إليه جندُ الثغر وطلبوا أرزاقهم وحاصروا ابراهيم بالقيروان . فلم يلبثوا أن أتاهم العرّاض والمُعطون ومعهم مالٌ من خراج مصر . فلما أُعطوا تفرّقوا . فابتنى ابراهيم القصرَ الأبيض الذى فى قِبْلَةِ القيروان على ميلين منها . وخطّ للناس حوله .

فابتنوا ، ومَصَّرمنا هناك ، وبنى مسجداً جامعاً بالجص والآجر وعُمُد الرخام ، وسَقَفَه بالأرز ، وجعله مئتى ذراع فى نحو مئتى ذراع . وابتاع عبيداً أعتقهم فبلغوا خمسة آلاف ، وأسكنهم حوله . وسَمَّى تلك المدينة العباسية ، وهى اليوم آهلة عامرة .

وكان محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب أحدث فى سنة تسع وثلاثين ومائتين مدينةً بقرب تاهَرْت سمّاها العباسيّة أيضاً . فأخربها أفْلَحُ بن عبد الوهاب الإباضى ، وكتب إلى الأموىّ صاحب الأندلس يعلمه ذلك تقرباً إليه به . فبعث إليه الأُموىّ مئة ألف درهم .

٥٨٧ — وبالمغرب أرضٌ تُعرف بالأرض الكبيرة ، وبينها وبين بَرْقَة مسيرة خمسة عشر يوماً أو أقل من ذلك قليلاً وأكثر قليلا . وبها مدينةٌ على شاطىء البحر تدعى بارة ، وكان أهلها نصارى وليسوا بروم . غزاها حبلة مولى الأغلب فلم يقدر عليها . ثم غزاها خَلْفون البربرى ، ويقال إنه مولى لربيعة (ص ٢٣٤) ففتحها فى أول خلافة المتوكل على الله . وقام بعده رجلٌ يُقال له المفرّج بن سلاّم ففتح أربعة وعشرين حصناً واستولى عليها ، وكتب إلى صاحب البريد بمصر يُعلمه خبرَه وأنه لا يرى لنفسه ومَنْ معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام على ناحيته ويوليه اياها ليخرجَ من حدّ المتغلبين . وبنى مسجداً جامعاً . ثم إن أصحابه شغبوا عليه فقتلوه . وقام بعده سوران فوجّه رسوله إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله يسأله عقداً وكتابَ ولاية . فتوفى قبل أن ينصرف رسوله إليه . وتوفى المنتصر بالله وكانت خلافته ستة أشهر . وقام المستعينُ بالله أحمد بن محمد بن المعتصم بالله فأمر عامله على المغرب ، وهو اوتامش مولى أمير المؤمنين ، بأن يعقد على ناحيته . فلم يشخص رسوله من سُرَّ مَنْ رأى حتى قُتل اوتامش وولّى الناحية وصيف مولى أمير المؤمنين فعقد له وأنفذه .

فتح جزائر فى البحر

٥٨٨ — قالوا : غزا معاوية بن حُدَيْج الكندى أيام معاوية بن أبى سفيان سِقِلّيةَ ، وكان أول من غزاها . ولم تزل تُغزى بعد ذلك . وقد فتح آل الأغلب ابن سالم الإفريقى منها نيفاً وعشرين مدينة ، وهى فى أيدى المسلمين . وفتح أحمد بن محمد بن الأغلب منها فى خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله قصر يانة وحصن غليانة .

٥٨٩ — وقال الواقدى : سبى عبد الله بن قيس بن مَخْلَد الدِرَقى سِقِلّيَة فأصاب أصنام ذهب وفضةٍ مكلّلة بالجواهر . فبعث بها إلى معاوية ، فوجّه بها معاوية إلى البصرة لتُحمل إلى الهند فتُباع هناك ليثمن بها .

٥٩٠ — قالوا : وكان معاوية بن أبى سفيان يُغزى براً وبحراً ، فبعث (ص ٢٣٥) جُنَادَة بن أبى أمية الأزْدى إلى رُودِس — وجُنَادةُ أحدُ مَنْ رُوِى عنه الحديث ، ولقى أبا بكر وعمر ومُعاذ بن جَبَل ، ومات فى سنة ثمانين — ففتحها عنوةً . وكانت غيضة فى البحر . وأمره معاوية فأنزلها قوماً من المسلمين . وكان ذلك فى سنة اثنتين وخمسين .

٥٩١ — قالوا : ورودِس من أخصب الجزائر ، وهى نحو من ستين ميلاً فيها الزيتون والكروم والثمار والمياه العذبة .

٥٩٢ — وحدثني محمد بن سعد ،

عن الواقدي وغيره قالوا : أقام المسلمون بِرُودِس سبع سنين في حصن اتخذ لهم . فلما مات معاوية كتب يزيد إلى جُنَادة يأمره بهدم الحصن والقفل . وكان معاوية يُعاقب بين الناس فيها . وكان مجاهد بن جَبْر مقيماً بها يُقرىء الناس القرآن .

وفتح جُنَادة بن أبي أمية في سنة أربع وخمسين أرواد ، وأسكنها معاوية المسلمين . وكان ممن فتحها مجاهد وتُبَيْع ابن امرأة كعب الأحبار ، وبها أقرأ مجاهد تُبَيْعاً القرآن . ويقال إنه أقرأه القرآن بِرُودِس . وأرواد جزيرة بالقرب من القسطنطينية .

وغزا جُنَادة إقْرِيطِش . فلما كان زمن الوليد فتح بعضها . ثم أُغلق . وغزاها حُمَيْد بن مَعْيوف الهمداني في خلافة الرشيد ، ففتح بعضها . ثم غزاها في خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بالإقريطش ، وافتتح منها حصناً واحداً ونزله . ثم لم يزل يفتتح شيئاً بعد شيء حتى لم يبق فيها من الروم أحد وأخرب حصونهم .

صلح النّوبَة

٥٩٣ — حدثنى محمد بن سعد قال : حدثنى محمد بن عمر الواقدى عن الوليد بن كثير عن يزيد بن أبى حبيب ،

عن أبى الخير قال : لما فتح المسلمون مصر بعث عمرو بن العاصى إلى القرى التى حولها الخيل ليطأهم . فبعث عقبة بن نافع الفهرى ، وكان نافع أخا العاصى لأمه . فدخلت خيولهم أرض (ص ٢٣٦) النُّوبة كما تدخل صوائف الروم ، فلقى المسلمون بالنُّوبة قتالاً شديداً . لقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتى جُرِح عامتهم . فانصرفوا بجراحاتٍ كثيرة وحَدَقٍ مفقوءة ، فسُمّوا رُماة الحدق . فلم يزالوا على ذلك حتى وُلِّى مصر عبدُ الله بن سعد بن أبى سَرْح . فسألوه الصلح والموادعة ، فأجابهم إلى ذلك على غير جزيةٍ ، لكن على هدنة ثلاثمئة رأس ، فى كل سنة ، وعلى أن يهدى المسلمون إليهم طعاماً بقدر ذلك .

٥٩٤ — حدثنى محمد بن سعد قال : حدثنى الواقدى قال : حدثنا ابراهيم بن جعفر عن عمر ابن الحارث عن أبى قبيل حُىَىّ بن هانى المعافرى ،

عن شيخ من حِمير قال : شهدت النُّوبة مرتين فى ولاية عمر بن الخطاب ، فلم أر قوماً أَحَدَّ فى حرب منهم . لقد رأيت أحدهم يقول المسلم : أين تحب أن أضع سهمى منك ؟ فربما عبث الفتى منا فقال : فى مكان كذا . فلا يخطئه . كانوا يكثرون الرمى بالنبل فما يكاد يُرى من نبلهم فى الأرض شىء . فخرجوا إلينا ذات يوم فصافّونا ونحن نريد أن نجعلها حملة واحدة بالسيوف ، فما قدرنا على معالجتهم . رمونا حتى ذهبت الأعين فعُدَّتْ مئة وخمسون عيناً مفقوءة فقلنا : ما لهؤلاء خير من الصلح ، إنّ سلبهم لقليل وإنّ نكايتهم لشديدة

فلم يُصالحهم عمرو ، ولم يزل يكالبهم حتى نزع ووُلِّى عبد الله بن سعد بن أبى سرح فصالحهم .

قال الواقدى : وبالنوبة ذهبت عينُ معاوية بن حُدَيْج الكندى ، وكان أعور .

٥٩٥ — حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنا عبدالله بن صالح عن ابن لهيعة ،

عن يزيد بن أبى حبيب قال : ليس بيننا وبين الأساود عهد ولا ميثاق ، إنما هى هدنة بيننا وبينهم على أن نعطيهم شيئاً من قمحٍ وعدسٍ ويُعطونا رقيقاً ، فلا بأس بشراء رقيقهم منهم أو من غيرهم .

٥٩٦ — حدثنا أبو عبيد عن عبد الله بن صالح ،

عن الليث بن سعد قال إنما الصلح بيننا وبين النُّوبة على (ص ٢٣٧) أن لا نقاتلهم ولا يقاتلونا ، وأن يُعطونا رقيقاً ونعطيهم بقدر ذلك طعاماً ، فإن باعوا نساءهم لم أر بذلك بأساً أن يُشترى . .

ومن رواية أبى البُخْترى وغيره أنّ عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح صالح أهل النُّوبة على أن يهدوا فى السنة أربعمئة رأس يُخرجونها ويأخذون بها طعاما .

٥٩٧ — وكان المهدى أمير المؤمنين أمر بإلزام النُّوبة فى كل سنة ثلاثمئة رأس وستين رأساً وزرافة ، على أن يُعْطَوْا قمحاً وخلَّ خمرٍ وثياباً وفُرشا أو قيمته .

وقد ادّعوا حديثاً أنه ليس يجب عليهم البقط لكل سنة ، وأنهم كانوا طولبوا بذلك فى خلافة المهدى فرفعوا إليه أن هذا البقط مما يأخذون من رقيق أعدائهم ، فإذا لم يجدوا منه شيئاً عادوا على أولادهم فأعطوا منهم فيه بهذه العدة . فأمر أن يُحملوا فى ذلك على أن يُؤخذَ منهم لكل ثلاث سنين بقطُ سنة . ولم يوجد لهذه الدعوى ثبت فى دواوين الحضرة ، ووُجد فى الديوان بمصر .

وكان المتوكل على الله أمر بتوجيه رجل يُقال له محمد بن عبد الله ويعرف بالقُمّى إلى المعدن بمصر والياً عليه ، وولاّه القلزم وطريق الحجاز وبذرقة حاج مصر . فلما وافى المعدن حمل الميرة فى المراكب من القلزم إلى بلاد البُجَة ووافى ساحلا يُعرف بعيذاب . فوافته المراكب هناك . فاستعان بتلك الميرة وتقوّتها ومَنْ معه حتى وصل إلى قلعة ملك البُجَة . فناهضه . وكان فى عدة يسيرة فخرج إليه البُجَوِىّ فى الدهم على إبلٍ محزّمةٍ . فعمد القُمّى إلى الأجراس فقلّدها الخيل . فلما سمعت الإبلُ أصواتها تقطّعت بالبُجَوِيّين فى الأودية والجبال . وقُتل صاحب البُجَة . ثم قام من بعده ابن أخته ، وكان أبوه أحد ملوك البُجَوِيّين وطلب (ص ٢٣٨) الهدنة . فأبى المتوكل على الله ذلك إلا أن يطأ بساطه . فقدم سُرَّ مَنْ رأى فصولح فى سنة إحدى وأربعين ومائتين على أداء الاتاوة والبقط ، ورُدّ مع القُمّى . فأهل البُجَة على الهدنة يؤدّون ولا يمنعون المسلمين من العمل فى معدن الذهب . وكان ذلك فى الشرط على صاحبهم .

فى أمر القراطيس

٥٩٨ — قالوا : كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتى العربَ من قِبَل الروم الدنانير . فكان عبد الملك بن مروان أولَ من أحدث الكتاب الذى يُكتب فى رؤوس الطوامير من : ﴿ قُلْ هو الله أحد ﴾ ، وغيرها من ذكر الله . فكتب إليه ملك الروم :

« إنكم أحدثتم فى قراطيسكم كتاباً نكرهه ، فإن تركتموه وإلاّ أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيِّكم ما تكرهونه » .

قال : فكبُر ذلك فى صدر عبد الملك . فكره أن يدع سُنّةً حسنة سنّها . فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال له : يا أبا هاشم ! إحدى بنات طَبَق . وأخبره الخبر . فقال : أفرخْ رَوْعَك يا أمير المؤمنين . حرِّم دنانيرهم فلا يتعامل بها ، واضرب للناس سِكَكاً ، ولا تُعْفِ هؤلاء ، الكفرة مما كرهوا فى الطوامير . فقال عبد الملك : فرّجْتَها عنى فرّج الله عنك . وضرب الدنانير .

٥٩٩ — قال عوانة بن الحكم : وكانت الأقباط تذكر المسيح فى رؤوس الطوامير وتنسبه إلى الربوبيّة ، تعالى الله عُلُوّاً كبيرا ، وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم . فلذلك كرِه ملك الروم ما كَرِه ، واشتدّ عليه تغيير عبد الملك ما غيّره .

٦٠٠ — وقال المدائني :

قال مَسْلَمَةُ بن مُحارب : أشار خالد بن يزيد على عبد الملك بتحريم دنانيرهم ومنعِ التعامل بها ، وأن لا يدخل بلاد الروم شيء من القراطيس . فمكث حيناً لا يحمل إليهم .

فهرست

أبواب القسم الأول من فتوح البلدان

(١) إن صفحات المقدمة لا تدخل فى صفحات النص. وقد جعلنا أرقام صفحاتها فى أسفل. وأرقام صفحات النص فى أعلى .

صفحة

انتهى طبع القسم الأول

من فتوح البلدان للبلاذرى

فى شهر ديسمبر ١٩٥٦

فى مطبعة لجنة البيان العربى بالقاهرة

استدراك وتصويب

المقدمة ص	س	
٥		توفى المقريزى سنة ٨٤٥
٩	٢	اقرأ : ابن العديم بدلاً من ابن النديم
٩	٢١	اقرأ : سنة ٢٥٦
١٩	١٢	« : ورَدَدْتُ من
٢٥		ذكرنا أن دخويه اعتمد على ثلاث مخطوطتين فى جامعة ليدن والصحيح أنه اعتمد على مخطوطة واحدة وهى warn 430 وهى التى رمز إليها بحرف A . أما حرف B فقد رمز به إلى نسخة المتحف البريطانى . فصحح ما ذكرنا على هذا .
النص ص		
١	٥	اقرأ : كلثوم بن
١٤	١٤	« : وحدثنى عمرو بن الناقد
١٥	١٧	« : بجير الهلالية
١٦	١٧	« : غسانُ غسانٍ (بكسرتين)
١٩	٤	« : الفاسقين
٣١	١٢	« : من نسائه
٤١	١٦	« : ابن لهيعة (بفتح اللام وكسر الهاء)
٤٥	١٤	« : ثم طاف بالبيت وأتى
٤٨	٦،٧،١١	« : الإذخر (بكسر الأول)
٤٩	١٥	« : ينزلون حيث شاؤا
٥٧	٧	« : وحفرت رمّا
٥٨	٤	« : الخفير (بدون فتحة على الفاء)
٥٩	١٤	« : معمر (بسكون العين)
٧١	١٨	« : أهل مقنّا
١٠٣	٦	« : سنه اثنتى عشرة
١١٠	١	« : عباد بن الحارث بن عدىٍّ (بتشديد وكسرتين)
١٢٢	١٦	« : على العاصين
١٢٧	٦	« : النعمان بن بزرُج
١٣١	١٣	« : البهرانى
٨١٣	٥	« : التنوخى

النص ص	س	الموضـــوع
١٤٥	٦	اقرأ : عنوة بفتح العين ، وصححها حيثما وجدتها مضمومه (ص ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٥٩)
١٥٠	١٨	« : استخلف
١٥٦	٦	« : قضى إلى شيزر
١٥٨	٨	« : وكان سكان الحصن
١٦٠	٦	« : واجتمع المسلمون
١٦٠	١٥	« : غنيـه
١٧٦	١٢	« : دير طاما (كذا) بلا نقط
١٨٦	٥	« : بما يؤدون على أمور
١٩٨	١	« : محمد بن يوسف المروزى
٢٠٨	٦	« : شهر ربيع الآخر
٢٠١	١٢	« : أبواب مدينتهم
٢٤٠	١٢	« : أيام انصراف
٢٤٦	١٨	« : ولى يزيدَ بن أسيد
٢٤٨	١٨	« : سبى سبياً
٢٥٠	١١	« : وسُلِّم (بضم الأول والآخر)
٢٥٤	١١	« : خارجـه
٢٦٥	١٨	« : فليخطبها
٢٦٩	١٠	« : حُديَج
٢٧٠	١٥	« : نُصَيْب
٢٧٠	١٧	« : وَلِىَ (بفتح الأول)
٢٨٣	١١	« : للناس سِككاً سِككاً

من آثار المحقق

١ — سير أعلام النبلاء ، للذهبي : المجلد الأول ٥٠٦ ص . نشرته دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٦

٢ — قضاة دمشق ، لابن طولون : ٢٠٨ ص . من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٦

٣ — أمراء دمشق في الإسلام ، للصفدي : ٢٢٢ ص . من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٥

٤ — تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر : القسم الأول من المجلدة الثانية ٣٥٠ ص + مخططان لدمشق القديمة . من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٤

٥ — تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر : المجلدة الأولى ٩٦٠ ص . من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥١

٦ — فضائل الشام ودمشق للربعي : ١٨٢ ص . من مطبوعات المجمع العربي بدمشق ١٩٥٠ .

٧ — ولاة دمشق في العهـــد السلجوقي ، لابن عساكر : ٣٢ ص . دمشق ١٩٥٠

٨ — ولاة دمشق في العهد العثماني : ١٣٦ ص . دمشق ١٩٤٩

٩ — رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، لابن الفراء : ٢٠٠ ص لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧

١٠ — دور القرآن بدمشق ، للنعيمي : ١٠٤ ص . دمشق ١٩٤٦

مطبعة لجنة البيان العربي
٤ شارع مصطفى كامل - بالفجالة ت ٢٧٠٧٩

